

# التحقيق في الإمامة وشؤونها

الشيخ عبد اللطيف البغدادي

■ الإهداء

■ آيات افتتاحية من الذكر الحكيم

■ دعاء افتتاحي

■ مقدمة الكتاب في آيات مختارة

■ الفصل الأول: مَنْ هو الإمام المدعو كلّ اناس به يوم القيامة

■ الفصل الثاني: الإمامة كالنبوة اختارها بيد الله الحكيم الخبير

■ الفصل الثالث: هوية الإمام والإمامة في أحاديث

■ الفصل الرابع: صفات خمس لنبينا (ص) في القرآن شاركة بها أئمة الهدى

■ الفصل الخامس: تحقيق حضور النبي(ص) والأئمة عند المحتضرين

■ الفصل السادس: عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير

■ خاتمة الكتاب

## الإهداء

إليكم يا هداة العباد...

إليكم يا من جاهدتم في الله حق الجهاد...

إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الطاهرين...

إليكم جميعاً أعود - مرة أخرى - فأرفع هذا المجهود المتواضع وهو عنوان ولائي

الخالص لكم جميعاً راجياً التفضل عليّ بالقبول وهو حسبي

المؤلف

## آيات افتتاحية من الذكر الحكيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً

مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

[الجاثية/١٩-٢٢]

## دعاء افتتاحي

اللهم إني لو وجدتُ شفعاةً أقرب من محمدٍ صلى الله عليه وآله (وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعاةي إليك، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تُدخِلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير(١).

آخر زيارة الجامعة الكبيرة

١- راجعها بسندها في مفتاح الجنات ج ٢ ص ٢١٠.

## مقدمة الكتاب

في آياتٍ مختارة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ نَدُّهُ  
وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثِيرٌ فِيهِ آيَاتٌ لِلَّذِينَ  
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)  
[الكهف/١-٥].

(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ  
آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَمَا سَتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ)  
[الجاثية/٣٠-٣٢].

[إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ  
عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ]  
[الزمر/٤٢].

[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ  
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا]  
[النساء/٦٦].

[وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى]

[طه/٨٤].

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

## الفصل الأول

مَنْ هُوَ الْإِمَامُ الْمَدْعُوُّ كُلِّ أَنْاسٍ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

[يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا] [الإسراء/٧١-٧٢].

### مقدمة تمهيدية

تشتمل هاتان الآيتان على بحوث تحتاج إلى شيء من التفصيل والتحقيق نذكرهما - بعون الله - بعد ذكر مقدمة تمهيدية حول الآيتين ومفادهما.

استعرض الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة الإسراء منظراً ومشهداً من مشاهد يوم القيامة العامة ومناظرها، فصور لنا جلّ وعلا الخلائق وكأنها محشورة على صعيد واحد المهتدي منها والضال والبر والفاجر والراعي والرعية والإمام والمأموم وصارت كل جماعة منها تنادي وتدعى بالإمام الذي انتمت به وبمنهجه الذي كان عليه في الحياة الدنيا من أئمة الهدى والعدل المتبعة لنهج الحق والسعادة وأئمة الضلال والجور المتبعة لنهج الباطل والشقاء.

تُدعى كل جماعة بإمامها - أي تدعى باسمه أو معه - يُسَلَّم لها كتاب عملها وفيه بيان جزائها في الدار الآخرة لكل فردٍ منها قال تعالى: [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا]

[الإسراء/١٤-١٥].

وإنما تدعى كل جماعة بإمامها لأن الإمام - لغةً - هو المقتدى الذي يُقتدى به ويتبع في أمره ونواهيه، فقد يكون لانسٍ إمام هدى وقد يكون لانسٍ آخرين إمام ضلالة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى في القرآن باسم إمام وأئمة أفراداً من البشر وجماعات يهدون الناس بأمره تعالى كما في قوله مخاطباً خليله إبراهيم (عليه السلام): [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة/١٢٥]، وقال تعالى في مدح جملة من الأنبياء: [وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] [الأنبياء/٧٤]، وقال تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ] [السجدة/٢٥].

كما سمى جل وعلا جماعة آخرين - أيضاً - أئمة ولكن يُقتدى بهم في الضلال، وإنهم يدعون إلى النار، وأضافهم إلى الكفر، وأمر بقتالهم لعدم وفائهم بأيمانهم كما في قوله تعالى: [فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ] [التوبة/١٢]، وقال تعالى: [وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ] [القصص/٤٢].

أما المراد من أئمة الهدى، وأئمة الضلال فمعلوم أن أئمة الهدى والحق هم الذين يجتبيهم الله ويختارهم في كل زمان لهداية أهله، أنبياء كانوا كإبراهيم الخليل ومحمد الحبيب (صلى الله عليه وآله) أو غير أنبياء كأوصياء الأنبياء السابقين، وكأئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) وهم جميعاً يدعون الناس إلى الهدى بأمر الله لا بأمرهم ويقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، ويؤيدهم الله سبحانه بالمعجزات وخوارق العادات التي يجريها على أيديهم لتكون دليلاً على صدقهم، وأئمة الضلال والباطل هم الذين تسلطوا على الناس بالقوة، أو اتخذهم بعض الناس أئمة واختاروهم واقتدوا بهم في الدنيا بدون تشريع وإذن خاص من الله ورسوله، وهؤلاء يدعون إلى النار لأنهم يقدمون أمر قبل أمرهم الله وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم وأهواء أتباعهم خلاف ما في كتاب الله، والله تعالى يقول: [وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ] [المؤمنون/٧٢].

ومن المعلوم أن الله سبحانه قادر على عدم تمكينهم من السلطة والحكم ولكن قد يمتن ويبقى

أناساً على ذلك، وقد يحول بين بعضهم وبين ما يريدون، وذلك كله اختباراً لعباده وامتحاناً لهم ليرى ويشاهد من يتبع الحق وأهله ومن يتبع الباطل وأهله(١).

قال تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ \* وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ \* أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَنْبِيَئًا مِمَّا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] [الأنعام/١١٣-١١٥].

### تفسير الآيتين من سورة الإسراء

والآن وبعد هذا البيان الضافي نعود إلى بحوث الآيتين بشيء من التفصيل والتحقيق يقول تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ].

أولاً:- المراد من اليوم هو يوم القيامة بإجماع المفسرين وبلا خلاف بينهم، يُدعون فيه للحساب.

ثانياً:- الظاهر من الآية الكريمة أن هذه الدعوة تعم الناس جميعاً جيلاً فجيلاً من الأمم الماضية ومن هذه الأمة إلى يوم القيامة، يُدعون في ذلك اليوم إلى الحساب والجزاء، قال تعالى: [هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى] [المرسلات/٣٩].

ثالثاً:- [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] (معنى الباء) المعنى: يدعى كل أناسٍ باسم إمامهم - على حذف مضاف - فيقال مثلاً: يا شيعة فلان، ويا شيعة فلان، أو يا أتباع فلان ويا أتباع فلان، كقوله تعالى: [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] [يوسف/٨٣]، والمعنى: وأسأل أهل القرية، وأهل العير، ويقول آخرون من المفسرين المراد أن يدعى كل أناسٍ مع إمامهم، أي مصاحبين له ومختلطين معه، كما يقال مثلاً: ركب الأمير بجيشه، أي مع جيشه، والظاهر لنا احتمال كلا المعنيين وصحتها معاً، وذلك بان يدعى كل أناسٍ باسم إمامهم ومعه، ولعل إلى ذلك أشار سفيان بن مصعب العبدي الكوفي شاعر أهل البيت وأحد تلامذة الإمام الصادق(عليه السلام) يقول مخاطباً أئمة الهدى:

أئمستنا أنتم سندعى بكم غدًا\*\*\* إذا ما إلى رب العباد معاً قمنا

وانتم على الأعراف أعرف عارف\*\*\* بسىما الذي يهواكم والذي يشنا(٢)

رابعاً:- مَنْ هو الإمام في الآية الكريمة الذي يدعى كل أناسٍ به؟ الجواب نقول: للمفسرين في المراد من الإمام أقوال عديدة، ومذاهب شتى.

أقوال المفسرين في المراد من الإمام وهي ستة

١- إن المراد من الإمام مطلق مَنْ اتخذ إماماً من أئمة هدىً أو ضلال.

٢- إنه هو إمام الحق المنسوب من قبل الله نبياً كان أو وصياً.

٣- إنه هو إمام الحق مع الكتاب الذي أنزله الله على أحد رسله كالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والقرآن لمحمد(صلى الله عليه و آله) ومع سنة ذلك الرسول من أقواله وأفعاله وإقراره، وهذه الأقوال الثلاثة لها قسط من الحق، وهناك أقوال أخرى بعيدة عن الحقيقة والواقع وهي:

٤- إن المراد من الإمام كتاب أعمال الخلاق لأن لكل إنسان كتاباً يخصه وقد سُجِّل فيه عمله فيُدعى به.

٥- إنه اللوح المحفوظ الذي سجّل الله فيه كل ما سيكون قبل أن يكون.

٦- وشدّد بعضهم ففسر الإمام بالأمهات، وإن قوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ] أي بإمهاتهم، كل ذلك محاولة من بعضهم تضييع الحقيقة أو جهلاً بها(٣).

### أصح الأقوال ثلاثة:

ولكن الحقيقة التي تتلاءم مع الآيتين والآيات الأخر من القرآن، وتتلاءم مع الأخبار المروية عن النبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الأطهار من طرق الفريقين هي أحد القولين الأولين أو كلاهما مع القول الثالث وهذا هو الأظهر.

أما الأقوال الثلاثة الأخرى فمعلومة البطلان لمخالفتها لنص الآية الكريمة، فإن الآية تقول: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ] فلو كان المراد من الإمام الكتاب الذي فيه تسجيل عمل كل إنسان فرداً فرداً لقال: (يوم ندعو كل إنسان بإمامه)، ولو كان المراد من الإمام اللوح المحفوظ الذي فيه تسجيل كل ما قدر لبني الإنسان من أول إيجاده إلى آخر الدنيا لقال: (يوم

ندعو الناس جميعاً بإمامهم)، ولو كان المراد من الإمام الأمهات لقال: (يوم ندعو كل إنسان بإمامه)، أو: (ندعو كل الناس بإمامهم).

هذا مع العلم أيضاً أن كتاب تسجيل العمل لا يقال له إمام، لأن الإمام هو المقتدى المتبع كالرسل والأنبياء والأوصياء وما انزل الله عليهم من كتب وما شرع لهم ولأمامهم من نظم. وكذلك الأمهات لا تطلق عليها لفظة إمام، وعليه نعود إلى الأقوال الثلاثة الأولى وبيان الحقيقة فيها فنقول:

### القول الأول وأدلته:

أما القول الأول وهو أن المراد من الإمام مطلق من اتخذ إماماً وعلى هذا يكون معنى الآيتين، إن كل طائفة من الناس أو فرقة منهم اتخذت إماماً لها فبايعته أو اقتدت به في الحياة الدنيا واتبعته تدعى به يوم القيامة سواء كان ذلك الإمام إمام هدىً أو إمام ضلالة، واتباعها له في سبيل الحق كان أو في سبيل الباطل، فتدعى تلك الفرقة بإمامها الذي انتمت به في الحياة الدنيا، وإذا دعي كل إنسان بإمامهم فحينئذٍ من اقتدى منهم بإمام الحق والهدى وقد دعي بأسمه ومعه فأولئك يأخذون كتابهم بأيامتهم ويقروونه فرحين مستبشرين بالسعادة والنعيم [ولاً يُظلمون فتيلاً] والفتيل هو الحبل الذي يكون في شق النواة، والمعنى لا يظلمون مقدار فتيل بل يُوقون أجورهم تامة غير منقوصة، ثم يكونون أخيراً معهم في الجنة.

وأما من اقتدى بغير إمام الحق والهدى فيظهر حينئذٍ فيه العمى وهو عمى البصيرة الذي كان عليه في الدنيا، قال تعالى: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] [الحج/٤٧]، وظهر عليه في الآخرة، بل يظهر من الآية الكريمة أن عماءه في الآخرة يكون أشد من عماءه في الدنيا لذا قال: [وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا] أي أكثر عمىً وضلالاً.

والمعنى ومن كان في هذه الحياة الدنيا لا يعرف إمام الحق ولا يسلك سبيله فهو في الآخرة لا يجد السعادة والفلاح ولا يهتدي إلى المغفرة والرحمة، ويكون أخيراً مع إمام الضلال والباطل في النار.

ويؤيد ذلك قول النبي (صلى الله عليه و آله) في آخر خطبة خطبها في مسجده وهي خطبة

طويلة منها قال: «أيها الناس هذا علي بن أبي طالب كثر الله اليوم وما بعد اليوم فمن أحبه ووالاه اليوم وما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدى ما وجب عليه من الله، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى وأصم لا حجة له عند الله...» الخ (٤).

وربما يضاف - لهذا الإنسان - الى عمى البصيرة، ويؤيد ذلك قول الله عز وجل: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى] فقوله تعالى: [قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] المراد من العمى في هذه الآية الكريمة عمى البصر لا البصيرة.

وعلى كلٍ المراد من الإمام - في هذا القول الأول - مطلق من اتخذ إماماً من إمام هدى أو ضلالة، وهذا المعنى يلائم ظاهر الآية ولا يخالفها بشيء وتذكره بعض الأخبار المروية عن النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته وصحبه ومنها ما ورد عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليات كل قوم بمن يأتون به في الحياة الدنيا وذلك قول الله عز وجل: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ].

### قصة جماعة يدعون يوم القيامة وإمامهم الضب:

ولهذا الحديث قصة ذكرها المؤرخون والمحدثون منهم الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة)، والصدوق في (الأمالي)، والمفيد في (الاختصاص)، والسيد هاشم البحراني في (مدينة المعاجز) وغيرهم، ومجملها أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما أراد المسير إلى النهروان لقتال الخوارج، وكان (عليه السلام) قد أمر جيشه أن يعسكر بالمدائن قرب بغداد تخلف عن الخروج معه نفر من المنافقين الذين كانوا قد بايعوه، وكانوا يتظاهرون بحبه ونصرته، وهم - على ما في مدينة المعاجز - شيبث بن ربعي، والأشعث بن قيس الكندي، وجريث بن عبد الله البجلي، وعمرو بن حريث مع مواليهم.

أما رواية شيخنا الصدوق في (الخصال) بسنده عن الاصبغ بن نباتة يقول: تخلف عمرو ابن حريث في سبعة نفر، ولم يذكر أسماؤهم فسألهم أمير المؤمنين (عليه السلام) لِمَ تتخلفون؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين ان لنا حوائج نقضيها ثم نلحق بك، فقال(عليه السلام) لهم: والله مالكم من حاجةٍ تتخلفون عليها ولكنكم تتخلفون لتخلفوا بيعة أخي رسول الله وابن عمه وصهره وتنقضوا ميثاقه الذي أخذه الله ورسوله عليكم، فقالوا: والله يا أمير المؤمنين ما نريد إلا قضاء حوائجنا ونلحق بك، ثم مضى أمير المؤمنين إلى معسكره، وخرج هؤلاء النفر في اليوم التالي إلى الخورنق في الحيرة للنزهة وهياؤا طعامهم وشرابهم وجلسوا يأكلون ويشربون الخمر وبينما هم كذلك إذ مرّ بهم ضب (وهو حيوان بري كما في حياة الحيوان)(٥).

فأمروا غلمانهم فصادوه وجاءوا به إليهم، فقالوا: يا ضب أنت والله أحب إلينا من علي بن أبي طالب، وفي (الخصال) قال عمرو بن حريث: بايعوا هذا الضب فهذا أمير المؤمنين وبسط لهم كفه فبايعه السبعة وعمرؤ ثامنهم، ثم ارتحلوا متوجهين إلى المدائن، وقدموها يوم الجمعة وأمير المؤمنين(عليه السلام) يخطب في المسجد فدخلوا إليه، فلما نظر إليهم أمير المؤمنين قال أثناء خطابه: أيها الناس سمعت رسول الله(صلى الله عليه و آله) يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليأتي كل قومٍ بمن يأتون به في الحياة الدنيا، وذلك قول الله عزّ وجلّ: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] وكأني انظر يوم القيامة إلى قوم يحشرون وإمامهم الضب يسوقهم إلى النار.

وفي (الخصال): إن أمير المؤمنين قال حين دخلوا باب المسجد وهو يخطب: يا أيها الناس إن رسول الله(صلى الله عليه و آله) أسرّ إليّ ألف حديث في كل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله عزّ وجلّ يقول: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] وإني أقسم لكم بالله لَيَبْعَثَنَّ يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت.

قال الراوي فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما تسقط السعفة حياءً ولوماً.

وفي (مدينة المعاجز): أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) قال لهم: فبعداً لكم وسحقاً لئن كان مع رسول الله منافقون فإن معي أيضاً منافقون، أما والله يا شبيب بن ربعي وأنت يا عمرو بن حريث ومحمد ابنك يا أشعث لتقتلن ابني الحسين هكذا حدثني حبيبي، فالويل لمن كان خصمه رسول الله يوم القيامة(٦).

ومن الأحاديث التي تصرح من أن المراد من الإمام إمام هدى وإمام ضلالة ما ورد من طرق

أهل السنّة والشيعه مسنداً عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده زين العابدين أن بشر بن غالب الأسدي سأل الحسين - حين صادفه في طريقه إلى كربلاء - قال:

يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] فقال له الحسين (عليه السلام) نعم يا أخا بني أسد هما إمامان، إمام هدى دعا إلى هدى وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار، وهو قوله تعالى: [فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ] [الشورى/٨] (٧).

وروى المفسرون أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لبعض أصحابه: ألا تحمدون الله تعالى انه إذا كان يوم القيامة يدعى كل قوم إلى من يتولونه، وفزعنا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وفزعتم أنتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثاً (٨).

إلى غير ذلك من الأخبار المؤيدة لهذا المعنى، وهو مروى أيضاً من طرق أهل السنّة، فقد روى السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) قال:- أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] قال: إمام هدى وإمام ضلالة (٩).

### القول الثاني وأدلته

وهناك أخبار أخرى واردة عن النبي وأهل بيته الأطهار تدل على القول الثاني وهو أن المراد من قوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] أي بإمام زمانهم الذي جعله الله - بتشريعه - إماماً عليهم من نبي أو وصي.

فقد روى العياشي في تفسيره، وعلي بن إبراهيم في تفسيره، وغيرهما عن الفضيل بن يسار قال:- سألت أبا جعفر (أي الإمام الباقر) عن قول الله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] قال يجيء رسول الله في قومه، وفي نص في قرنه، وعلي في قومه، والحسن في قومه، والحسين في قومه، وكل من مات بين ظهرائي إمام جاء معه (١٠).

وقريب من هذا الحديث ما رواه البرقي في (المحاسن) بسنده عن يعقوب بن شعيب قال:- قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] فقال: يدعى كل قرن من هذه الأمة

بإمامهم، قلت: فيجيء رسول الله في قرنه، والحسن في قرنه، والحسين في قرنه، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم؟ قال: نعم (١١).

وروى العياشي في تفسيره عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال: إذا كان يوم القيامة يُدعى كلُّ بإمامه الذي مات في عصره، فإن أثبتته "أي أقرَّ بإمامته" أُعطي كتابه بيمينه لقوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ] إلى أن قال (عليه السلام): ومن نبذه وراء ظهره كما قال تعالى: [فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ] [آل عمران/١٧٨].

ومن أنكره كان من أصحاب الشمال الذين قال الله تعالى فيهم: [وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ] \* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ \* وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُومٍ [الواقعة/٤٢-٤٤] (١٢).

وفي تفسير العياشي عن عمار الساباطي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "لا تُترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرامه وهو قول الله: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ]، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية (١٣)، ونقله عنه السيد الطباطبائي في (الميزان).

### القول الثالث وأدلته

أما القول الثالث وهو أن المراد من الإمام في الآية إمام الحق مع الكتاب والسنة، فقد روى شيخنا الصدوق في (عيون أخبار الرضا)، والطبرسي في (مجمع البيان) قال بما نصه: ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى (عليه السلام) بالأسانيد الصحيحة أنه (عليه السلام) روى عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه و آله) انه قال فيه: «يُدعى كل أناسٍ بإمام زمانهم، وكتاب ربهم وسنة نبيهم» (١٤).

وهذا الحديث الشريف ممن رواه من العامة السيوطي في (الدر المنثور) قال: وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ] قال يُدعى كل قومٍ بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم (١٥).

### الجمع بين هذه الأقوال وأدلته

وهذه الأحاديث لا تنافي الآية الكريمة، ولا الأحاديث السابقة، بل يستفاد من مجموع هذه الأحاديث، ومن الآية الكريمة، ومن آيات قرآنية أخرى معنى أجمع وأشمل وهو:  
ان الله تعالى يدعو يوم القيامة كل أناس بإمام زمانهم الذي جعله الله إماماً عليهم المهتدي منهم والضال، فمن كان من اتباع إمام الحق وشيعته أوتي كتابه بيمينه وصار إلى النعيم المقيم، ومن لم يكن من اتباعه واتباع رؤساء الضلال وأئمة الجور مع وجود إمام الحق فيأتون مع إمامهم الحق ليشهد عليهم، ويكون خصماً لهم(١٦).

ولكن معهم الذين اقتدوا بهم واتبعوه من أئمة الجور والضلال فينادون باسمهم ويحاسبون ثم يعطون كتبهم بشمانلهم ويكون مصيرهم إلى النار والعذاب المقيم مع رؤسائهم وأئمتهم. وكيف ما كان هو أن الذي لا ريب فيه أن المهتدين يحشرون ويصيرون مع الهادين إلى الجنة، والضالين يحشرون ويصيرون مع المضلّين إلى النار، وهذا المعنى تصرّح به آيات كثيرة وأحاديث متواترة، ومن الآيات قوله تعالى: [وَلَوْ تَرَى إِدُ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ (١٧) إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالِ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [سبا/٣٢-٣٤].

وإذا صار المستكبرون والمستضعفون إلى العذاب والنار فحينئذٍ يطلب المستضعفون من الله تعالى أن يضاعف العذاب على رؤسائهم كما في قوله تعالى حاكياً عنهم وهو في النار [وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأضلونا السبيلاً(٦٧) ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً] [الأحزاب/٦٨-٦٩]، وهذا دعاء مستجاب منهم.

وكان النبي(صلى الله عليه و آله) يصرح به في كتبه ورسائله إلى ملوك وروساء العالم من الأكاسرة والقيصرة والأقابطة والاساقفة وغيرهم فمثلاً يكتب إلى كسرى ملك الفرس: أسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس، ويكتب إلى قيصر ملك الروم: اسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسيين، ويكتب إلى المقوقس ملك القبط في مصر: أسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم

القبط، وهكذا في سائر رسائله وكتبه (١٨).

وإذا كان الضالون يحشرون مع رؤسائهم المضلين، ويصيرون معهم إلى العذاب المقيم حسب نصوص تلك الآيات البينات، فالمهتدون يحشرون أيضاً مع رؤسائهم الهادين ويصيرون أخيراً معهم إلى النعيم المقيم، وقد نصت على ذلك بعض الآيات الواضحات ومنها قوله تعالى: [وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا] [النساء/٧٠-٧١].

وإلى كل ما ذكرناه يشير قوله تعالى: [وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ] [الجنات/٢٩-٣٢].

وأما الأخبار فقد تواترت تواتراً قطعياً عند جميع فرق المسلمين في أنّ الإنسان يحشر ويصير يوم القيامة مع من تولاه وأحبه من رؤساء الهدى أو الضلال، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد رووا عن انس بن مالك، وابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: المرء مع من أحب، وقال (صلى الله عليه و آله): من أحب قوماً حشر معهم، وفي نقل: من أحب قوماً حشره الله في زمرةهم (١٩).

وجاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حينما زار الإمام الحسين في زيارة الأربعين وزار أهل بيته وأصحابه، فكان فيما قال في زيارتهم: والذي بعث محمداً (صلى الله عليه و آله) بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال عطية: فقلت: يا جابر كيف شاركهم فيما دخلوا فيه؟ ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف؟ فقال يا عطية: سمعت رسول الله حبيبي يقول: من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قومٍ أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً نبياً أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين (عليه السلام) وأصحابه.. الخ (٢٠).

والمراد من الحب في هذه الأحاديث الشريفة هو الحب المقرون بالاتباع لأئمة الهدى أو لأئمة الضلال، ويؤيده ما رواه العياشي في تفسيره، والكليني في (أصول الكافي) في باب: أن الأئمة

في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار، ووراه المولى محسن الفيض في تفسيره الصافي مسنداً عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: لما نزلت هذه الآية: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] قال المسلمون: يا رسول الله ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال (صلى الله عليه و آله): أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر وأشياح الضلالة - فمن والاهم - أي الأئمة من الله واتبعهم فهو مني وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء (٢١).

ولنختتم هذا الفصل بقوله تعالى يخاطب نبيه (صلى الله عليه و آله) يأمره أن يقول لأمتة: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [آل عمران/٣٢].

- ١- راجع موضوع -الاختبار والامتحان- مفصلاً في (الحقائق الكونية) ج ٢ من أوله إلى ص ١٣٣.
- ٢- البيتان من قصيدة عصماء لسفيان بن مصعب العبدي ذكر بعضها الشيخ الأمين في الغدير ج ٢ ص ٢٩٢ وذكر ترجمة الشاعر وشرح بعض أبياتها.
- ٣- راجع الأقوال في تفسير (الكشاف) للزمخشري ج ٢ ص ٦٨٢ و(مفاتيح الغيب) للرازي ج ٥ ص ١٧-٤١٨، و(مجمع البيان) للطبرسي م ٣ ص ٢٩-٤٣٠ وغيرها.
- ٤- راجع الخطبة في (البحار) ج ٢٢ ص ٤٨٧.
- ٥- (حياة الحيوان) ج ٢ ص ١٣٥.
- ٦- (ينابيع المودة) ص ٧١ بسنده عن الأصمغ نقلاً عن كتاب المناقب، ونقلها عنه المرعشي في (احقاق الحق) ج ٧ ص ٥٩٨، والصدوق في (الخصال) ج ٢ ص ٦٤٤، والمفيد في (الاختصاص) ص ٢٧٧، و(شجرة طوبى) ج ٢ ص ١٤٩ نقلاً عن (مدينة المعاجز).
- ٧- راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج ١ ص ٢٢١، و(الأمالي) للصدوق ص ٩٣، و(تفسير الصافي) نقلاً عن المجالس عن تفسير الآية، والمجلسي في (البحار) ج ٤ ص ٣٦٧ عن اللهوف لابن طاووس ص ٦٠ ومثير الأحران لابن نما ص ٢١، ونقله عنهما

- السيد بحر العلوم في نقله ص ٢٢٤ مختصراً.
- ٨- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤٣٠، و(الصافي)، و(الميزان) ج ١٣ ص ٨١، نقلاً عن تفسير البرهان، عن ابن شهر آشوب والبحار ج ٨ ص ٨.
- ٩- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٩٤.
- ١٠- راجع (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٢، وعلي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٣، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٨ ص ٦، و(الصافي) ج ١ ص ٩٨١، و(البرهان) ج ٢ ص ٣٤٠.
- ١١- (المحاسن) ص ١٠٩، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٨ ص ١١.
- ١٢- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٢، و(البحار) ج ٨ ص ١١، و(الصافي) ج ١ ص ٩٨١، و(البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠.
- ١٣- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٣، وفي الحاشية: (البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠، (البحار) ج ٨ ص ١٢ نقلاً عن العياشي، و(الصافي) ج ١ ص ٩٨١، و(الميزان) ج ١٣ ص ١٨٢.
- ١٤- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤٣٠، و(البحار) ص ١٠، نقلاً عن (العيون) ص ٢٠١.
- ١٥- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٩٤.
- ١٦- سنذكر إن شاء الله شهادة النبي(صلى الله عليه و آله) والأئمة(عليهم السلام) في فصل مستقل في هذا الكتاب على الناس أجمعين فراجع.
- ١٧- في هذا النص "بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" إشارة واضحة إلى وسائل الإعلام الحديثة التي بواسطتها استطاع الظالمون أن يواصلوا مكرهم وخداعهم للشعوب المستضعفة ليلاً ونهاراً وبلا انقطاع "وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" [البروج/٢١].
- ١٨- (مكاتب الرسول لعلي بن حسين الأحمدي) ج ١ ص ٩٠ و ص ١٠٥.
- ١٩- راجع كتاب (الغدير) ج ٢ ص ٢٩٢ في مصادر هذه الأحاديث.
- ٢٠- راجع كتاب (بشارة المصطفى) ص ٩٠.
- ٢١- راجع (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٤، و(الشافعي في شرح أصول الكافي) مجلد ٣ ص ١٤٦، و(البحار) ج ٨ ص ١٣، و(تفسير البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠، و(الصافي) و(المحاسن)

للبرقي وغيرها.

## الفصل الثاني

### الإمامة كالنبوة اختياريها بيد الله الحكيم الخبير

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ)  
[القصص/٦٩-٧٠].

### الإمامة - عند الشيعة الإمامية - من أصول الدين

وهي عبارة عن الاعتقاد بأن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين هو الإمام والحجة والخليفة لله بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وكذلك أبنائه المعصومون من بعده أنمة وحجج الله على خلقه وخلفاؤه في عبادته وسفراؤه في أمره ونهيه.

كما يجب أن يعتقد - عندهم أيضاً - إن الإمامة إمرة إلهية كالنبوة أمرها بيد الله عز وجل لا بيد خلقه، لا بالاختيار والانتخاب من الناس، أما النبوة فقد اجتمع المسلمون قاطبة على عدم الخيرة للناس في نصب النبي، ولا خلاف في ذلك لأحد منهم.

وأما الإمامة فقد جوز أهل السنة الاختيار في نصب الإمام، والحقيقة إنه تجوز لا نراه يتفق أبداً مع حكم الكتاب والسنة والعقل والإجماع، وإليك البيان.

### بيان الأدلة الأربعة على عدم الخيرة للناس

## الأول – الكتاب الكريم

أما الكتاب فيه آيات كثيرة تدل على عدم الخيرة للناس، فمنها قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فأخبر جلّ وعلا:

أولاً:- إنه هو الذي يخلق ما يشاء، أي إنه هو الذي يوجد ما يشاء إيجاده.

ثانياً:- إنه هو الذي يختار من خلقه من يشاء، وعطف الاختيار على الخلق والإيجاد ليُعلم جميع عباده الذين يعتقدون إن الموجد هو الله وحده لا شريك له يُعلمهم أيضاً إن الاختيار كذلك بيده وحده لا شريك له وهو الخالق، وهو المختار، (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ).

ثالثاً:- نفى تبارك وتعالى – نفياً صريحاً – أن تكون الخيرة للخلق (مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) نعم الظاهر أن "ما" هنا نافية كما عليه المحققون كصاحب تفسير الميزان (١).

وقيل أن "ما" هنا موصولة بمعنى الذي فيكون المعنى أن الله هو الذي يختار لهم الذي فيه الخيرة وعلى كلا المعنيين تكون النتيجة إن الخيرة بيده لا بيد غيره.

رابعاً:- أخبر عن تنزيهه وتعالیه عن أن يشرك خلقه معه في الخلق والاختيار (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، ثم بين جَلّ وعلا في الآية التالية الحكمة في ذلك، وهي حكمة واضحة جلية، تلك هي أن الخالق أعلم بنفسيات خلقه ومن يصلح للرياسة عليهم ومن لا يصلح، (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ).

فإن قيل: هذا الاختيار المذكور في الآية مختص بمسألة النبوة دون غيرها؟ قلنا: ليس في صدر الآية أو ذيلها ما يُشعر – ولو من طرف خفي – بالاختصاص بالنبوة فقط، بل إن إطلاقها – بما تحمل فيه من صراحة ووضوح – تأبى كل قيد أو تأويل، كيف لا، والإمامة تُعتبر استمراراً لمقام النبوة وإتماماً للرسالة، وإن اختار النبي والإمام معاً بيد الله عزّ وجلّ.

وبهذا جاء النص الصريح عن النبي (صلى الله عليه و آله) الذي أنزل الله عليه القرآن وخاطبه بهذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) على ما هو منقول عن كتاب محمد بن مؤمن الشيرازي من علماء الجمهور المستخرج من التفاسير الاثني عشر، عن أنس بن مالك قال: سألت النبي (صلى الله عليه و آله) عن هذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) فقال (صلى الله عليه و آله) إن الله خلق آدم من الطين كيف يشاء ويختار، وإن الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجنا فجعلني الرسول، وجعل عليّ بن أبي طالب الوصي، ثم

قال: (مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه (٢).

وجاء في حديث الإمام الرضا (عليه السلام) في وصف الإمام والإمامة ومكانهما السامي، وهو حديث مهم وطويل، رواه جل علمائنا، وسنذكره إن شاء الله بعد هذا الفصل بكامله، ونذكر الآن محل الشاهد منه يقول (عليه السلام): ورغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

### محاورة ابن عباس مع الخليفة الثاني في الخلافة

ومما يؤيد ذلك إن عبد الله بن عباس وهو حبر الأمة وعالمها وابن عم نبيها، والذي يُعبر عنه بترجمان القرآن قد احتج بهذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أيام خلافته في كلام دار بينهما ذكره المؤرخون في كتب التاريخ والأدب، وذلك حين قال الخليفة لابن عباس: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكنتي أدري، قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجفخوا الناس جفخاً (٣).

فنظرت قريش لا نفسها فاختارت ووفقت وأصاب، فقال ابن عباس: أيميظ أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين: أن قريشاً كرهت أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة بقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [محمد/١٠]، وأما قولك فتجفخوا الناس جفخاً (أو تجفخوا الناس) فلو جفخنا بالخلافة لجفخنا بالقرابة ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال الله تعالى مخاطباً له: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم/٥]، وقال له: (وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء/٢١٦]، وأما قولك فنظرت قريش لا نفسها فاختارت ووفقت وأصاب، فإن الله تعالى يقول: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله قد اختار من خلقه من أختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لو فقت وأصاب.

فقال عمر: على رسلك يا بن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً و غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول، فقال ابن عباس مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الحسد والغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذي ظهره الله وزكاه مع أهل بيته الذين قال الله لهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب/ ٣٤].

وأما الحقد فكيف لا يحقد من غُصِبَ حقه ويراه بيد غيره؟

فقال عمر: أما أنت يا بن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي، قال: يا أمير المؤمنين إخبارني به، فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به، قال: بلغني إنك تقول: أخذ هذا الأمر "أمر الخلافة" حسداً وظلماً، قال: أما قولك يا أمير المؤمنين "حسداً" فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسودون، وأما قولك "ظلماً" فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو؟... الخ. أخيراً قال عمر لجلسائه:

وأها – أي عجباً – لابن عباس ما رأيته لاحي أحداً قط إلا خصمه(٤).

وشاهدنا من هذه المحاوراة استشهاد ابن عباس بالآية الكريمة لما قال له عمر: "ولكن اختارت فريش لا نفسها" قال: قال الله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) فلو كانت هذه الآية تخص النبوة فقط لما احتج بها ابن عباس في موضوع الإمامة، ولرَدَّ عليه عمر في محاورته معه، وهناك آيات أخر تصرح بأن الاختيار بيد الله لا بيد غيره مثل قوله تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الأنعام/ ١٢٥]، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [الدخان/ ٣٣]، وقوله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الملك/ ١٥].

ومن آيات الكتاب التي تدل على عدم الخيرة للناس حتى المؤمنين منهم قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب/ ٣٧].

والظاهر ان المراد من القضاء في هذه الآية هو القضاء التشريعي دون التكويني، وهو ما شرعه الله وحكم به تشريعياً في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد في شأن من شؤونهم

بواسطة رسولٍ من رسله (٥)، والمعنى ليس لأحدٍ من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله ورسوله التصرف في امرٍ من أمورهم أن يثبت لهم الاختيار بغير ما شرع الله لهم بحجة انتساب ذلك الأمر إليهم وكونه أمراً من أمورهم فيختاروا منه غير ما قضى الله ورسوله، لا، بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله وإرادة الرسول فهي المتقدمة على غيرها من الارادات.

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة نقول: الإمامة أن كانت ممّا قضى الله بتركها وعدم تشريعها مثلاً – وحاشا اللطيف الخبير تركها – فلا يجوز للناس الخيرة في إثباتها، وإن كانت ممّا قضى الله إثباتها وتشريعها – وهو الحق – كانت كغيرها من الأحكام والتشريعات التي قضى الله عليها وأمر بها ولم يهملها فهي منه لا من غيره من الناس، فإذا خالفوا الله وعصوه واختاروا خلاف ما اختار الله فقد ضلّوا ضلالاً مبيناً.

ومنها قوله تعالى مخاطباً رسوله الأكرم (صلى الله عليه و آله): (يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) [آل عمران/ ١٥٥] .

وهذه الآية المباركة صريحة الدلالة على أن ليس للأمة واحداً أمرٌ ولا حكم في شيء من الأشياء مطلقاً، بل كله لله عزّ وجلّ، فإذا لا يجوز اختيار الناس للإمام ونصبه من عند أنفسهم لانه من أعظم الأمور وأهمها حيث على الإمام تبني مصالح العباد الدينية والدينية وقبل هذه الآية بآيات خاطب الله رسوله (صلى الله عليه و آله) بقوله: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران/ ١٢٨].

ومن هنا نعلم أن أمر الإمامة ليس بيد مخلوقٍ مطلقاً حتى النبي (صلى الله عليه و آله) فضلاً عن أمته واحداً، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل بصراحة على أن الاختيار بيد الله لا بيد خلقه.

ولقد أجاد من قال:

نور الهداية لا يخفى على أحدٍ \*\*\* لو لا اتّباع الهوى والغي والحسد

قد بين الله ما يرضى ويسخطه \*\*\* منا وفرق بين الغي والرشد

بأحمد المصطفى الهادي وعترته \*\*\* من اهتدى بهداهم واستقام هُدي

إن الإمامة ربّ العرش نصّبها \*\*\* مثل النبوة لم تنقص ولم تزد

والله يختار مَنْ يرضاه ليس لنا\*\*\* نحن اختيار كما قد قال فاقصد(٦)

الثاني - السُّنة

وأما السُّنة النبوية فهي تابعة للكتاب في ذلك وفي غير ذلك إذ "ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً" - نص مقتطف من خطبة الزهراء الكبيرة - فهذا ابن هشام يروي في سيرته، والحلي في (السيرة الحلبية)، وزيني دحلان في (السيرة الدحلانية)، ومحمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد)، وأبو القاسم السهيلي في كتابه (الروض الانف)، كما نقل عنهم الأميني في (الغدِير) رَووا كلهم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله تعالى قال قائل منهم: رأيت إن نحن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله عليه وعلى مَنْ خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال (صلى الله عليه وآله) إن الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء(٧).

الثالث - العقل

وأما دليل العقل فإنه يدل على عدم الخيرة للناس في اختيار الإمام من جهات عديدة منها إن الإمامة من الوظائف الدينية باعتبار أن الإمام هو الحافظ للدين القائم به، وكل ما كان من الوظائف الدينية فليس أمره لغير الله، لأن الدين لله وهو الذي يختار له حافظاً وراعياً له قائماً به.

ثم إذا كانت عناية الله في العالم الإنساني واللفظ بهم أن يهيئ لهم كل ما يحتاجون إليه فيسخر لهم - بلطفه بهم - كل ما في السموات وما في الأرض، ويرسل السماء عليهم مدراراً بالمطر لحاجتهم لذلك، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثية/١٤].

وان لا يترك جوارح الإنسان بلا مدبر يديرها وهو القلب، فكيف يتخلف لطفه بهم فيترك العالم خالٍ من رئيس يديرهم ويرشدهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وكيف يكل ذلك إليهم مع أن العقل السليم يوجب أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها بل المهم منها من النفسيات الباطنة الخفية كالعصمة، والقداسة الروحية، والعلم الذي لا يضل معه في شيء من الأحكام، إلى كثير من الشرائط التي تقوم بها نفس الإمام، وهذه شرائط لا يعلمها إلا الله العالم بالضمائر المطلع على ما في السرائر: (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) لأن الأمة

المنكفى علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلى بتلك الشروط، والغالب على خيرتها الخطأ.

قصة السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى (عليه السلام)

ولك أكبر عبرة على ذلك ما قصه الله في القرآن من قصة السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى بن عمران إلى ميقات ربه، وقد ذكرها الله تعالى في آيات من القرآن منها قوله تعالى في سورة الأعراف: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّاي أَتُخَلِّكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) [الأعراف/١٥٦].

ومنها قوله تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة/٥٦-٥٧].

ومنها قوله تعالى في سورة النساء بقوله (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّن السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) [النساء/١٥٤].

ومجمل تلك القصة هي ان الله تعالى امر موسى بن عمران أن يأتي إلى ميقاته ومناجاته وان يختار من قومه خيرتهم في رايه، فلما جاء بهم، وكلمه الله، وسمع السبعون كلام الله له (فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) فهذا كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه وصلته بقومه وصلتهم به اختار من أعيانهم ووجوه رجالهم لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم، وإذا بخيرته قد وقعت على المنافقين الذين وصفهم الله في تلك الآيات بالظلم وانهم قالوا جهلاً منهم بربهم (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) فإذا كان اختيار من اصطفاه الله للنبوته قد وقع على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا حينئذ أن الاختيار للأصلح ليس إلا لمن (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [المؤمن/٢٠]، وهو الله وحده لا شريك له.

**بعض المنافقين لا يعلمهم إلا الله تعالى**

وهذا نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل المخلوقين

يخاطبه الله جل وعلا في القرآن المجيد بقوله: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ  
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)  
[التوبة/١٠١].

فقوله تعالى لنبيه(لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) صريح في ظاهره ان هناك منافقون معه في المدينة  
مردوا على النفاق، أي لجوا فيه واستمروا عليه، وهو لا يعلمهم، أي لا يعلمهم من نفسه  
وان كان الله سبحانه قد أعلمه بهم، وانه لولا إعلام الله له بهم ما علمهم، فإذن "لا يعلم  
الناس إلا خالق الناس".

وقد يقول بعض المفسرين: ان الخطاب في الآية وإن كان موجهاً للنبي(صلى الله عليه و آله)  
ولكن المراد به الأمة، وهو من باب "إياك أعني وأسمعي يا جارة" أي ان الأمة لا تعلمهم،  
وكيفما كان فالأمة لا تستطيع – بصورة قطعية – اختيار من يصلح لأن يكون مرجعاً لها  
ويقوم بصالحها، والوجدان يعني عن البيان فكم رأينا أهل الحل والعقد، والتدبير والعقل  
اتفقوا على تعيين والٍ في قريةٍ أو حكم ثم تبين لهم خطأهم في ذلك فغيروه وبدلوه فكيف تفي  
العقول الناقصة بتعيين رئيسٍ عامٍ على جميع الخلائق في أمور الدين والدنيا.

وأى يسوغ العقل ان تكون خيرة للخلق في الأمر مع وجود الأغراض والغايات، والميول  
والشهوات، ومع اختلاف الآراء وكثرة الأحزاب والفرق والطوائف المتشاكسة والمختلفة،  
وكم بالانتخاب هتكت حرمان واهينت مقدسات واختل النوم وأقلق السلام واضيعت حقائق،  
ودحض الحق الثابت حتى صار يطمع في الأمر طليق غاشم وخمار سكير ومستهتر مشاغب  
ومبعض متعصب وأموي ناصب، وخالصة القول: ان العقل يأبى من العزيز الحكيم ان يهمل  
الأمة مع نهاية رافته بهم وغاية شففته عليهم ولطفه لهم ولا يعين لهم رئيساً يقولون في  
المشكلات عليه، ويركنون في سائر الأمور إليه.

الرابع – الإجماع

**لم يقبض الله نبياً حتى يعين له وصياً**

أما دليل الإجماع فقد أجمع علماء المسلمين بجريان عادة الله تعالى من آدم إلى خاتم الأنبياء  
أنه لم يقبض نبياً حتى يعين له وصياً من بعده يكون خليفةً على أمته، فهذا آدم صفي الله

وصيه ولده هبة الله شيث، وهذا نوح شيخ المرسلين وصيه ولده سلم، أو سام، وهذا إبراهيم خليل الله وصيه ولده إسحاق، وهذا موسى كليم الله وصيه يوشع بن نون وهذا داود وصيه ولده سليمان، وهذا سليمان وصيه آصف بن برخيا، وهذا عيسى روح الله وصيه شمعون الصفا، وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين لكل نبي منهم وصي يقوم بالأمر من بعده.

راجع كتابنا (قبس من القرآن) في صفات الرسول الأعظم في فصوله ومنها الفصل الأول تحت عنوان (مقتضيات الخلود في الشريعة الإسلامية) والفصل الثالث تحت عنوان (الرسول الأعظم وبشائر الأنبياء به) (٨)، راجع إذا شئت كتاب (الوصية) للعلامة المحقق علي بن الحسين المعروف بالمسعودي صاحب كتاب "مروج الذهب".

فكيف إذن تخلّفت هذه العادة الجارية بين رسل الله وأنبيائه بالنسبة إلى نبينا فقط هذا مع ان الله تعالى يقول في محكم كتابه المجيد مخاطباً له: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الأحقاف/١٠].

### لا يسافر نبينا(صلى الله عليه و آله) ولا يبعث سرية حتى يعين له خليفة

واجمع المؤرخون وعلماء المسلمين أيضاً بجريان عادة نبينا(صلى الله عليه و آله) انه لم يسافر حتى يعين له خليفة بالمدينة حتى يرجع، ولم يبعث سرية قلّت أم كثرت إلا ويجعل لها قائداً والياً عليها، وقد يعين قواداً فيما إذا غلّم من الله ان القائد الأول سيقتل كما في سرية مؤتو حين عين ثلاثة قوادٍ وولاة وهم جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ونصّ(صلى الله عليه و آله) انه إذا قتل الأول يقوم الثاني مقامه وإذا قتل الثاني فالثالث يقوم مقامه.

وحيثما هاجر بعض المستضعفين من المؤمنين إلى أرض الحبشة من أذى قريش جعل عليهم والياً وهو جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) يرجعون إليه في أمور دينهم وسائر شؤونهم، فكيف إذن يترك أمته كلها من بعده بلا راعٍ يرعاهم مع انه قد طالّت أيام مرضه قبل وفاته إلى ثمانية عشر يوماً، على ما نصّ عليه الطبراني في معجمه، أما كان يُسأل من قبل أصحابه وسائر الناس الوافدين عليه عن وليّ عهده والقائم مقامه من بعده من هو؟ هذا ما لا يكون أبداً بحكم العقل وهو مخالف للإجماع.

## طريقة الخلفاء والرؤساء في الاستخلاف

ثم نرى طريقة الخلفاء والرؤساء الذين قاموا من بعده كل خليفة منهم يجعل له وصياً وخليفة من بعده يقوم مقامه، فهذا الخليفة الأول أبو بكر لم يهمل امر الأمة ولم ينس أمر الخلافة من بعده فقد نصّ بها على عمر، وهذا عمر لم يهمل أمر الأمة ولم ينس أمر الخلافة من بعده فقد جعلها شورى بين ستة ليختاروا واحداً منهم، وصار عثمان الخليفة الثالث ببيعة عبد الرحمن بن عوف له، وهو أحد أصحاب الشورى (٩).

ولولا مقتل عثمان والفتنة التي حدثت، لحدثنا التاريخ عن خليفة رابع ينص عليه عثمان لم يكن بالحسبان، ولكن معاوية بن أبي سفيان من بعده ادعى الخلافة لقرابته من عثمان وحيث انه رأى الطريق معبداً له وممهداً فسار فيه.

ثم نراه - مع علمه بنفسه وانه غاصب لها، ومع علمه بابنه يزيد وما هو عليه من الخمر والفجور، مع هذا كله - لم يهمل أمر الخلافة بل نصّ بها عليه من بعده، وهكذا بقية رجال الدولة الأموية، ومن بعدها الدولة العباسية الغاصبين لحق محمد وآل محمد نرى كل واحد منهم لم يهمل أمر الأمة، ولم ينس أمر الخلافة بل ينصّ بها على من بعده.

وهكذا جرت سنة الكون إلى يومنا هذا لا بد للخليفة أو الملك أو الرئيس من ولي عهد، أو نائب أول يقوم بالأمر من بعده، فكيف إذن تخلفت هذه العادة والطريقة الكونية - الجارية في العالم الإسلامي والإنساني من يومه الأول إلى اليوم وإلى يوم القيامة - بالنسبة إلى خاتم الأنبياء المرسل إلى هذه الأمة المرحومة بأن يهملها ويتركها سدى، هذا كله مع انقطاع الأنبياء والرسل وبقاء التكليف إلى يوم القيامة؟

وكيف يُعقل أن يترك النبي (صلى الله عليه وآله) أمته سدى بلا راعٍ يرعاهم وهو الشفيق عليهم الرؤوف الرحيم بهم، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة/ ٢٨]، وقال جل جلاله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء/ ١٠٨].

إنكار أم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن عمر على أبيه

أما كان (صلى الله عليه و آله) يخشى على أمتة الفتنة والاختلاف؟ وهذه عائشة دعت عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد ما طعن أباه أبو لؤلؤة، وعلم إن أيام حياته قد انتهت أظهر أولاً أنه سوف لا يستخلف أحداً بعده – لاقتضاء سياسته – وبلغ ذلك عائشة لذا دعت ابنه عبد الله وقالت له – كما في كتاب الإمامة والسياسة -: يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راعٍ استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هُملاً فأني أخشى عليهم الفتنة... الخ. بربك قل لي – أيها المنصف – أفكانت عائشة اشفق على أمة محمد (صلى الله عليه و آله) منه؟ بحيث هي تخشى عليهم الفتنة – إذا تركوا من غير خليفة – وهو (صلى الله عليه و آله) لا يخشى على أمتة الفتنة والاختلاف؟

### وقوع الاختلاف والحروب الدامية بين الأمة

كما وقد وقعت الفتنة والاختلافات الكثيرة بعده، بل وقعت تلك الحروب الدامية من أجل الخلافة كحروب الردة أيام الخلفاء الثلاث، وكحرب الجمل بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين طلحة والزبير وعائشة وقد قتل فيها من الفريقين ثلاث وعشرون ألف قتيل، وثمانية عشر ألف من أصحاب طلحة والزبير، خمسة الآف من أصحاب علي، ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص (١٠).

وكحرب صفين بين علي ومعاوية، وقد قتل فيه من الفريقين قيل: مائة ألف وعشرة الآف، وقيل: قتل فيه خمس وتسعون ألف، سبعون ألف من أصحاب معاوية، وخمس وعشرون ألف من أصحاب علي، وأقل ما قيل فيه: سبعون ألف، خمس وأربعون ألف من أصحاب معاوية، وخمس وعشرون ألف من أصحاب علي (عليه السلام) (١١) كما في أعيان الشيعة، وكحرب النهروان وقد قتل فيه بالاتفاق المشهور أربعة الآف، تسعة من أصحاب علي والباقون من الخوارج، وكواقعة الطف التي أستوصلت فيها ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقد قتل فيها من الفريقين ما لم يضبط لكثرتهم، وكواقعة الحرة بين يزيد وأهل المدينة، وقد قتل فيها من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وسائر المسلمين اللانذين بضريح سيد النبيين عشرة الآف وسبع مائة وثمانون رجلاً (١٢).

ولم يبق بعدها بدري، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير وكان الجندي من جنود يزيد يأخذ

بيد الرضيع أو رجله ويجذبه من يد أمه فيضرب به الأرض فيخلط لحمه بعظمه ودماغه بدمه وأمه تنظر إليه، نص على ذلك ابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة) (١٣).  
ثم أمروا بالبيعة ليزيد على أنهم خول له وعبيد ان شاء استرق وان شاء أعتق، فبايعوه على ذلك وأموالهم منهوبة ونسأؤهم مسلوبة ودمأؤهم مسفوكة واعراضهم مهتوكة حتى قال السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء): افتض في تلك الوقعة ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار، وقال ابن الطقطقي في تاريخه المعروف بـ(الفخري): ان الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها و يقول لعلها افتضت في واقعة الحرّة.

### إمامة أهل البيت أمان من الفرقة

فلو أنهم تعبدوا بنص الرسول على علي(عليه السلام) لما وقع شيء من ذلك ولَبقي الأمر بيد أئمة الهدى ولعاشيت الأمة كلها بسعادةٍ وهناء بلا فرقة ولا اختلاف، ولكانت الدنيا لهم جنة أولى، وهذه هي العلة في تشريع الله للإمامة وجعلها في أهل البيت كما أشارت إلى ذلك الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء في خطبتها بمسجد أبيها وقد تعرضت؟ فيها إلى فلسفة العقائد والعبادات والأحكام الإسلامية، وذكرت موضوع الإمامة وفلسفتها فقالت؟: وجعل – الله – إمامتنا أماناً من الفرقة.

نعم لما عُصبت الخلافة منهم وقع ما وقع بين الأمة من الاختلاف والافتتال كما ذكرت ذلك أيضاً في خطبتها الصغيرة التي خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار حين جنن إليها يعذنها: بقولها: فابشروا بسيفٍ صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرجٍ شاملٍ دائم، واستبدالٍ من الظالمين، يدع فيأكم زهيداً وجمعكم حصيداً فياحسرةً لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم اتلزمكموها وأنتم لها كارهون.

وهذا البيهقي ينقل في (سننه) عن صحيح مسلم: ومحب الدين الطبري في (الرياض النضرة)، وأبو نعيم الاصفهاني في (حلية الأولياء)، وابن الجوزي في (سيرة عمر)، كما في الغدير، وغير هؤلاء: ان عبد الله بن عمر دخل على أبيه بعد ما طعن، وقال له: يا أبة ان الناس يتحدثون انك غير مستخلف ولو كان لك راعي ابل، أو راعي غنم ثم جاءك وترك رعيته لرأيت أن قد ضيع "أو فرط" ورعية الناس أشد من رعية الإبل والغنم، ماذا تقول لله

إذا لقيته ولم تستخلف على عبادته؟ (١٤).

ومعلوم ان هذا القول – من ابن عمر – بتشبيهه الرعية بالغنم، والخليفة بالراعي من ابلغ الأدلة على ان الاستخلاف من الأمور الضرورية التي لا يجوز لمثل عمر ان يتركها ويغفل عنها فكيف إذن يتركها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ويغفل عنها، وهو أكمل البشر يا مسلمون؟

### الإشارة إلى نصوص رسول الله (صلى الله عليه و آله) على علي بالخلافة

وهذه نصوص رسول الله (صلى الله عليه و آله) على علي بالخلافة يحدثنا عنها علماء التاريخ، ورواة الصحاح والسنن والفضائل والمناقب من مبدأ أمره إلى منتهى عمره تصريحاً تارة وتلويحاً أخرى.

وأشهرها نصّ يوم الغدير بعدما رجع النبي (صلى الله عليه و آله) من حجة الوداع، وقد اجتمع عنده في ذلك اليوم مائة ألف أو يزيدون من الناس، فنادى النبي لعلي بالولاية العامة، ورفع حتى بان بياض إبطيهما، ونادى فاسمع – كما هو المتواتر من طرق الفريقين:-

أيها الناس ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وادر الحق معه حيثما دار.

ثم أمر المسلمين أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين لتتم له البيعة في حياته ولا يختلف فيه أحد بعد وفاته، فتابق الناس للسلام عليه بإمرة المؤمنين وتهنئته بالمقام الرفيع، وكان في مقدمة من هنأه بذلك أبو بكر وعمر، فقالا له: كما في مسند أحمد بن حنبل، والصواعق المحرقة لابن حجر وغيرهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (١٥).

وحين تمت البيعة له أنزل الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه و آله) (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة/٤]، فكان إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بالإسلام ديناً للمسلمين بولاية علي أمير المؤمنين.

ولقد أجاد من قال:

مواهب الله عندي جاوزت أمني\*\*\* وليس يبلغها قولي ولا عملي

لكن أفضلها عندي وأشرفها\*\*\* ولايتي لأمر المؤمنين علي

شرائط الإمامة، واجتماعها في علي وأبنائه الطاهرين(عليهم السلام)

وكان(عليه السلام) جامعاً لشرائط الإمامة، متحلياً بأفضل صفات الكمال بخلاف غيره من

الأصحاب، ولقد أجاد السيد الحميري حيث يقول:

أقسِمُ بالله وآلانه\*\*\* والمرء عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب\*\*\* على التقى والبر مجبول

وإنه كان الإمام الذي\*\*\* له على الأمة تفضيل

يقول بالحق ويعني به\*\*\* ولا تلهيه الأباطيل

كان إذا الحرب مرتها القنا\*\*\* وأحجمت عنها البهاليل

مَشَى إلى الموت وفي كفه\*\*\* أبيض ماضي الحد مصقول

مَشَى العفرنى بين أشباله\*\*\* أبرزه للقنص الغيل

ذاك الذي سَلَمَ في ليلة\*\*\* عليه ميكائيلٌ وجبريل

جبريل في ألفٍ وميكال في\*\*\* ألفٍ ويتلوهم سرافيل

ليلةً بدرٍ مَدَوَا أنزلوا\*\*\* كأنهم طيرٌ أبابيل

فَسَلَمُوا لَمَّا أتوا حذوه\*\*\* وذاك إعظام وتبجيل(١٦)

وشرائط الإمامة كثيرة منها العصمة من الذنوب والخطأ وعدم النسيان والسهو في

شيء من أمور الدين.

### تعريف العصمة لغةً واصطلاحاً

والعصمة في معناها اللغوي المنع، قال تعالى حاكياً على لسان ابن نوح يخاطب أباه وجواب

أبيه له(قال سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) [هود/٤٤].

فقوله:(سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) أي يمنعني من الغرق في الماء، وهذا معنى

## العصمة لغة.

وأما معناها اصطلاحاً: فالعصمة قوة تكوينية في العقل والعلم موهبةً من الله لمن شاء من عباده - تمنعهم من اقتراف المعاصي مع قدرتهم عليها، لأنهم ان لم يكونوا قادرين عليها لا فخر ولا فضل لهم في اجتنابها، لانهم غير قادرين اصلاً على اقترافها، وبالإجمال ان الإمام المعصوم لا يترك واجباً أبداً ولا يفعل محرماً مطلقاً مع قدرته على الترك والفعل وإلا لا يستحق مدحاً ولا ثواباً.

والشيعة هي التي تشترط العصمة - بهذا المعنى - في الإمام كما هي شرط في النبوة، قال الشيخ المفيد في كتاب (أوائل المقالات) القول في العصمة: إن الأئمة القانمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع وتأديب الأنام - معصومون كعصمة الأنبياء لا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة، ولا سهو في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شد منهم (١٧).

وقال العلامة الحلي في كتابه (نهج الحق) ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً، لأنهم حفظة الشرع، والقوامون به، فحالهم في ذلك كحال النبي، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد وحسم مادة الفتن، وإن الإمام يمنع القاهرين "أي الظالمين من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرانض ويواخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت منه انتفت هذه الفوائد وافتقر هو إلى إمام آخر يرفع فساده وهكذا فيتسلسل، والتسلسل باطل بالإجماع، إذ لا بد وإن ينتهي الأمر إلى إمام لا تصدر المعصية منه أبداً (١٨).

## اشتراط العصمة غير خارج عن الأدلة

وهذه العصمة التي اشتراطتها الشيعة في الإمام ليست مسألة تدعو إلى الغرابة أو العجب، أو هي خارجة عن الأدلة الإسلامية، ذلك لأن فاعل المعصية ظالم حسب النص القرآني قال تعالى: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة/٢٣٠]، وقال عز وجل: (وَمَنْ يَتَعَدَّ

حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) [الطلاق/٢]، وقال سبحانه: (هُؤْلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود/١٩]، وقال تباركت أسماؤه: (فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [آل عمران/٩٥]، إلى أمثال هذه الآيات وهي كثيرة في القرآن المجيد. وهنا العاصي الذي سماه الله ظالماً لا يمكن أن يكون مرجعاً عاماً للأمة بعد نبيها، ومتحماً للمسؤوليات الشرعية المرتبطة بالله تعالى ودينه وشرائعه كلها وهذا هو ما نصَّ عليه القرآن المجيد بقوله تعالى: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة/١٢٥].

نعم هكذا يبدو أن اشتراط العصمة في الإمام ليس من غرائب الأفكار أو من عجائب المعتقدات كما يبدو من كلام بعض الباحثين في المذاهب الإسلامية، بل ان ذلك الشرط هو المنسجم مع النصوص الشرعية القطعية، والفكر الديني الأصيل، بالإضافة إلى دليل العقل السليم.

لقد أقام المهوسون الدنيا وأقعدوها على الشيعة لأنهم قالوا بعصمة الأنمة، ولو كان لهم أدنى خبرة بكتاب الله وسنة نبيه، مع الإنصاف والرجوع إلى الحق لقالوا بمقالة الشيعة، وما ذنب الشيعة، إذا فرضت عليهم الأدلة القطعية الكثيرة القول، بل العقيدة بإمامة أئمة الهدى من أهل بيت نبيهم والاعتراف بعصمتهم من مطلق الذنوب والخطأ.

ألم يأمر الله تعالى بإطاعتهم مطلقاً، ويقرن إطاعتهم بإطاعة الرسول، تماماً وكماًلاً بحيث يجعلها بميزان واحدٍ وأمر واحدٍ وذلك بقوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء/٦٠]، راجع ما ورد في تفسيرها عن النبي (صلى الله عليه وآله) (إكمال الدين) للصدوق، وراجع ما كتب في دلالتها العلامة السيد محمد تقي الحكيم في كتابه (الأصول العامة) ص ١٥٩-١٦٤.

ألم يُعلن الله جل وعلا إذهاب الرجس عنهم دون غيرهم، والرجس الأعمال القبيحة والذنوب والمآثم، وإنه تعالى طهرهم منه تطهيراً تاماً بقوله عز من قائل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب/٣٤].

راجع ما كُتب حول الآية، (الكلمة الغراء) للسيد شرف الدين، و(الأصول العامة) للسيد الحكيم، وكتاب (الإجماع) للسيد محمد صادق الصدر، وآلف في الموضوع السيد محي الدين

الموسوي الغريفي كتاباً يشتمل على ٢٨٨ صفحة أسماه (آية التطهير في الخمسة أهل الكساء)(١٩).

ألم يخلف الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله) في أمته الكتاب والعتره ويُعلن لهم ان التمسك (أي العمل) بهما موجب لعدم الإضلال المؤبد والمؤكد، وانهما (أي الكتاب والعتره) لن يفترقا، ولن يخالف أحدهما الآخر إلى يوم القيامة بقوله(صلى الله عليه و آله) إني مخلف فيكم الثقليين، وفي نصّ خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة، وهو مروى عن عشرات من الصحابة والقراة في اكثر من مائة مصدر من مصادر السنّة فضلاً عن غيرهم.

راجع ما كتبناه حول الحديث في كتابنا (قبس من القرآن) وألف في الموضوع الشيخ نجم الدين العسكري كتاباً تعرّض فيه لبعض مصادر الحديث ونصومه، وأدخله في ضمن كتابه، (محمد وعلي وبنوه الأوصياء)، كما ألفت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية كتاباً خاصاً في الحديث أسمته، (حديث الثقليين)، وألف في الحديث أيضاً كتاباً خاصاً العلامة الكبير الشيخ محمّد حسين المظفر أسماه (الثقلان) استعرض فيه بعض مصادره الموثوقة، ومفاده يقع الكتاب في مائة وعشر صحائف، وأما من استعرضه في ضمن مؤلفه أو احتج به فهم كثير لا يمكننا حصرهم، ولعل أوسع من كتب في الحديث صاحب كتاب (العباة)(٢٠).

ألم يأمر(صلى الله عليه و آله) أمته بالاعتراف بولاية علي وذريته، وانهم لن يخرجوا الأمة من باب هدى، ولن يدخلوهم في باب ضلالة، مع الترغيب والتشويق السامي الموجب لسعادة الدارين بقوله(صلى الله عليه و آله): من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربّي وهي جنّة الخلد.

فليتول علماً وذريته من بعده (أهل بيته الطاهرين)، فأنهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة(٢١).

ألم يقل النبي في عليّ خاصة؟ عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه الحق حيث ما دار، وفي نصّ: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وفي نصّ آخر: عن أم سلمة انها قالت: والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله(صلى الله عليه و آله)

يقول: علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، إلى غير ذلك من نصوص أحاديث الحق وكونه مع عليّ وهي كثيرة، ومفادها ومعناها متواتر تواتراً قطعياً، راجع إذا شئت طرق تلك الأحاديث وما ذكرناه منها كقطرة من بحر (٢٢).

بربك قل لي: أي مسلم ذكي أو غبي لا يفهم معنى العصمة من تلك الأحاديث وغيرها وهي كثيرة، على ان الموافق والمخالف قد اجمعا معاً على أن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) كانوا على هدي جدهم الرسول (صلى الله عليه و آله) قولاً وعملاً، وان الناس كانوا يُجأون إليهم في حلّ المشكلات والمعضلات، وكانوا يتقربون إلى الله سبحانه بتعظيمهم وتقديسهم، بل حتى أعداؤهم وغاصبي حقوقهم ما كان يسعهم إلا التظاهر بتعظيم الأئمة وتقديسهم والخضوع أمام الناس لهم تماماً كما كانت الحال بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) في تعظيم حاله عند صديقه وعدوه.

### تساؤل مهم

وبودنا أن نسأل الذين أنكروا على الشيعة القول في العصمة؟ هل تُنكرون أصل العصمة وفكرتها من الأساس؟ أو تنكرون عصمة الأئمة فقط؟ والأول إنكار لعصمة الأنبياء، والرسول التي اتفق عليها المسلمون الشيعة والسنة في الجملة، والثاني إنكار لسنة الرسول الذي ساوى بين عترته وبين القرآن، هذا بالإضافة إلى أن نصوص الشريعة جامدة لا حراك فيها، وإنما تحيي بتطبيقها والعمل بها، وإذا لم يكن القائم على الشريعة هو نفس الشريعة مجسمة في شخصه لم يتحقق الغرض المقصود من تطبيقها على سائر الناس، لذلك قال الإمام (عليه السلام): ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق (٢٣).

### أفضلية الإمام وأكمليته

الثاني من شرائط الإمامة أن يكون الإمام أفضل رعيته وأكملهم بكل ما للكمال والفضل من معنى مطلقاً، بمعنى أن يكون الإمام أعلمهم بجميع ما يحتاجون إليه، ولا سيما احتياجها إليه في أمور الدين، وإلا لم يؤمن أن يقلب الحدود ويغير الفرائض، كما غيرت وقبّلت بالفعل بسبب قيام غير الأعم وبقيام أهل الجهل بالصالح الخاص والعام.

وقد قيل: الجهالة قائد الضلالة، والضلالة قائد البلاء والفتنة، وفي الفتنة الدمار والهلكة (٢٤).

وان يكون أشجع الناس وأقواهم لدفع الفتن واستئصال أهل الباطل لأن فرار الرئيس وضعفه يورثان ضرراً عظيماً ووهناً جسيماً، بخلاف الرعية، وأن يكون أسدّهم رايأً وأشدّهم حزماً، ليوصل الناس بسديد رأيه وشديد حزمه إلى صلاحهم وإصلاحهم، وأعرفهم بطرق السياسة الحقة الحكيمة، ليرقى بهم إلى روح السعادة في الدارين وأزهدهم وأطوعهم لله عزّ وجلّ، لكي يقتدي الناس به ويزهده.

وهكذا يكون أحلمهم وأعفهم وأسخاهم وأحسنهم في الأخلاق الحسنة كافة وان تكون إمامته عامة أيضاً على جميع الرعايا غير منحصرة في بعض دون بعض، لئلا يظهر الفساد فيمن لا ولاية له عليهم، وان يكون مبرراً من العيوب الموجبة لنفرة الخلق، في الخلق والخلق، كالجذام، والبرص، والعمش، والعرج وكالبخل، والحرص على الدنيا، والجفاء والغلظة على الرعية، كما يكون مبرراً أيضاً من دناءة النسب والتولد من الزنا، إلى غير ذلك من الصفات الدنية والذميمة، ليكون الإمام بتحليلته بالأفضلية والأكميلية المطلقة وتخليته عن المساوي والعيوب المخزية أقرب للتأباع له، والالتقياد والتسليم لأوامره و الاقتفاء لإثاره لأن صلاح الرعية بصلاح راعيها ومن هنا جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه؟ أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): صنفان من أمّتي إذا صلّحاً صلّحت أمّتي، وإذا فسداً فسدت أمّتي، قيل له: يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمرأء" (٢٥).

وبكلمةٍ وجيزة: يلزم أن يكون الإمام أطوع خلق الله لله، وأكثرهم علماً وعملاً بالبر والخير، وأبرأهم من العيوب والمساوي: ذلك كلّهُ لئلا يلزم تقديم المفضول على الفاضل، وخفض مرتبة الفاضل ورفع مرتبة المفضول.

### إنكار القرآن تقديم المفضول على الفاضل

وقد أنكر القرآن المجيد تقديم المفضول على الفاضل استناداً إلى حكم العقل السليم بقوله تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [يونس/٣٦]، (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) كـ (أمير المؤمنين (عليه السلام)) الذي

يقول في بعض خطبه:

أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله(صلى الله عليه و آله) هذا ما زفني رسول الله زفا، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها لافتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بأنجيلهم، وأهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق كل كتاب من هذه الكتب فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله تعالى في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل فيه(٢٦).

قل لي برّبك: أهذا أحق أن يتبع،(أمن لا يهدى إلا أن يهدى) كالخليفة الأول الذي يقول في أول خطبة خطبها ومن جملة ما قال فيها: ولقد قلدتُ أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يد، واغلموا أيها الناس أن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني في استقمتم فاتبعوني وان رغبت فقوموني، وإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني...الخ(٢٧).

فإذا كان كما قال: قد قد أمرأ ماله به طاقة ولا يد وأنه في حاجة إلى الهداية، وأن له شيطاناً يعتريه كيف يكون هادياً عاماً؟

### الإمام الجامع للشرائط لا يعلمه إلا الله

ومعلوم أن الإمام الجامع لشرائط الإمامة التي ذكرنا بعضها من العصمة والأفضلية والأكملية لا يعلمه إلا الله العالم بالضمائر المطلع على السرائر، وهو الذي يختاره ويعينه حجةً على خلقه، وهو الذي يفيض عليه الطافه وعناياته، وتسديده وتأييده بكل ذلك وغير ذلك، وما على الأمة إلا اختيار من اختار الله لها والاتباع له، والاهتداء بهديه.

أما إذا اختارت الأمة غيره فقد ضلّت وأضلّت، ولقد أجاد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي المعاصر للإمام الصادق(عليه السلام) وهو أحد تلامذته حيث يقول:

وقالوا رسول الله ما اختار بعده\*\*\* إماماً ولكننا لأنفسنا اخترنا

أقمنا إماماً إن أقمنا على الهدى\*\*\* أطمنا وأن ضل الهداية قومنا

فقلنا إذن أنتم إمام إمامكم\*\*\* بحمد من الرحمن تهتم وما تهنا

ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا\*\*\* لنا يوم خم ما اعتدينا ولا خلنا

سـيـجـمـعـنـا يـوم القـيـامـة ربـنـا\*\*\* فـتـجـزـون ما قـلـتـم ونـجـزى الـذي قـلـنـا  
ونـحـن عـلى نـورٍ مـن اللـه وـاـضـحٍ\*\*\* فـيـا رب زدنا مـنك نـوراً وقـومـنا(٢٨)

### ثبوت الإمامة يكون من طريقين النص والمعجز

أما ثبوت الإمامة وتعيينها للإمام الجامع للشرائط، والذي يُعلن للناس إمامته ويدعوهم إليها فيكون من طريقين:

الطريق الأول: النص على إمامته من الله تعالى بواسطة رسوله في نصوصٍ مشتركة ومزدوجة من الكتاب والسنة(٢٩)، ومن الإمام السابق – الثابتة إمامته بالنص المشترك – على الإمام اللاحق.

والطريق الثاني: هو إظهار الله المعجزات وخوارق العادات على يده التي يعجز جميع الناس عن الإتيان بمثها، والتي يجريها الله على يده ليعلم العباد أنّ الله – الذي على كل شيء قدير – هو الذي أيده بتلك المعجزات وخوارق العادات.

فالصادق بدعواه الإمامة من صدقه الله بإجراء المعجزات له، والكاذب من كذبه الله بعدم إجراء المعجزات على يده، ومن هذين الطريقين الذين بهما ثبتت الرسالة والنبوة للرسول والأنبياء، ثبتت أيضاً إمامة أئمتنا الهداة من أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله) وهم علي أمير المؤمنين وأبناؤه الطاهرون الحسن والحسين والأئمة التسعة من أبناء الحسين(عليهم السلام).

حيث أنّ النصوص – من الكتاب والسنة على إمامتهم، وظهور المعجزات على أيديهم ولا سيما الإمام الأول منهم وهو علي أمير المؤمنين(عليه السلام) – ثابتة عند شيعتهم بالتواتر القطعي من طرقهم، ومن طرق غيرهم، ومعترف بها عند الجميع، كما أنهم هم الذين توفرت فيهم – دون غيرهم – شرائط الإمامة من العصمة والأفضلية بكل معانيها.

وقد برأهم الله من كلّ عيب كما قد طهرهم من كلّ رجس وهم كما قال فيهم أبو نواس الحسن بن هاني في أبياته الشهيرة:

مطهرون نقيات ثيابهم\*\*\* تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ \*\*\* فَمَا لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَفْتَحُرُ  
فَاللَّهِ لَمَّا بَرَى خَلْقًا فَاتَّقَتْهُ \*\*\* صَفَّاكُمُ وَاصْطَفَاكُمُ أَيُّهَا الْبَشَرُ  
وَأَنْتُمْ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ \*\*\* عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ  
وَقَالَ فِيهِمْ شَاعِرٌ آخَرُ:

سَلَامٌ عَلَى آلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ \*\*\* وَرَحْمَةٌ رَبِّي دَائِمًا أَبَدًا تَجْرِي  
وَصَلَّى عَلَيْهِمْ ذُو الْجَلَالِ مَعْظَمًا \*\*\* وَزَادَهُمْ فِي الْفَضْلِ فَخْرًا عَلَى فَخْرِ  
هُمْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَصْلًا وَمُحَمَّدًا \*\*\* وَأَكْرَمَهُمْ فِرْعَا عَلَى الْفَحْصِ وَالْعَثْرِ  
وَأَوْسَعَهُمْ عِلْمًا وَأَحْسَنَهُمْ هَدًى \*\*\* وَأَتَقَاهُمْ لِلَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ  
وَأَفْضَلَهُمْ فِي كُلِّ فَضْلٍ مَفْضَلٍ \*\*\* وَأَقُولُهُمْ فِي الْحَقِّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ  
وَأَشْجَعَهُمْ فِي النَّازِلَاتِ وَفِي الْوَعْيِ \*\*\* وَأَجُودَهُمْ لِلَّهِ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ  
أَنَاسٌ عَلَوْا كُلَّ الْمَعَانِي بِأَسْرَهَا \*\*\* فَدَقَّتْ مَعَانِيَهُمْ عَلَى كُلِّ ذِي فِكْرٍ (٣٠)

### الحجة لله قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق

والجدير بالذكر - الذي يلزم التنبيه عليه هو - أن الله سبحانه قد شاء - بحكمته البالغة،  
وقدرته الباهرة - أن لا يخلي الأرض وأهلها - في كلِّ عصرٍ وجيلٍ - من إمامٍ يكون حجةً  
عليها وعلى أهلها، إماماً مشهوراً، أو خائفاً مستوراً، لئلا تبطل حجج الله وبياناته، ومجماً:-  
كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): الحجة قبل خلق الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق (٣١).  
ومن هنا قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة  
جاهلية (٣٢).

وإمام زماننا الآن هو الحجة المهدي بن الحسن العسكري صاحب العصر والزمان، الغائب  
المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهو الطالب  
بئار آبائه الطاهرين وخصوصاً ثار جده الحسين (عليه السلام) يضع سيفه على عاتقه ثمانية  
أشهر فلا يزال يقتل أعداء الله وأعداء رسوله والجبابرة والطواغيت، وبينما هو يقاتل ويبكي  
وينادي ألا يا أيها العالم إن جدي الحسين قتلوه عطشاناً.

هذا وقد بشرنا الله تعالى به، وبإيرائه الأرض بقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ

الدُّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] [الأنبياء/١٠٦].

- ١- راجع (تفسير الميزان) ج ١٦ ص ٦٨ و ص ٦٩.
- ٢- راجع كتاب (الوصي) للعلامة السيد علي تقي الحيدري ص ٢٣، و(البحار) ج ٢٣ ص ٧٤ نقلًا عن مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٢٠.
- ٣- جفخ جفخاً: أي تكبر وتطاول على غيره، وفي بعض النصوص فتجحفوا الناس جفخاً، ومعنى أجحف أي مال، وجحف جفخاً أي افتخر بأكثر مما عنده. راجع (المنجد) ص ٧٧ و ص ٩١.
- ٤- راجع المحاوره بكاملها في (تاريخ الطبري) ط القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ، و(تاريخ ابن الأثير) ط مصر سنة ١٣٤٨ هـ، و(قصص العرب) ط مصر ج ٢ ص ٣٥٧، و(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٧ ط دار الكتب العربية مصر، و(الدرجات الرفيعة) لصدر الدين المدني الشيرازي ط النجف ص ٣٠٣، و(المراجعات) لشرف الدين ص ٣١٩، و(المطالعات في مختلف المؤلفات) للسيد محمد علي الحماي ط الأولى.
- ٥- راجع تفسيرها في (الميزان) ج ١٦ ص ٣٤٠ ط الأولى وغيره من التفاسير.
- ٦- تجد الأبيات في مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٩.
- ٧- راجع (سيرة ابن هشام) ج ٢ ص ٣٢، و(السيرة الحلبية) ج ٢ ص ٣، و(السيرة الدحلانية) ج ١ ص ٣٠٢، و(حياة محمد) ص ١٥٢، و(الروض الانف) ج ١ ص ٢٦٤، والغدير ج ٧ ص ١٣٤.
- ٨- (القبس) ص ١٩-٢٥ و ص ٤٨-٢٥٦.
- ٩- لنا تحقيق حول الشورى ضمن شرح الخطبة الشقشقية نسأل الله تعالى ان يوفقنا لنشره.
- ١٠- راجع تذكرة الخواص ص ٨٥.
- ١١- (أعيان الشيعة) ج ٣ القسم الثاني ص ٢٣٢.
- ١٢- راجع (الفصول المهمة) لشرف الدين ص ١٢٧، و(الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٩٧.
- ١٣- المصدرين السابقين.

١٤- (سنن البيهقي) ج ٨ ص ١٤٩، و(الرياض النضرة) ج ٢ ص ٩٨، (حلية الأولياء) ج ١ ص ٤٤، (سيرة عمر) ص ١٩٠، (الغدِير) ج ٧ ص ١٣٣، راجع مصادر الخطبة الكبرى وطرقها من الفريقين (كتابنا قبس من القرآن) من ص ٣٤-٣٨، والخطبة الصغرى رواها الكثير من العامة ومنهم أحمد بن أبي طاهر في (بلاغات النساء)، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السقيفة)، وابن أبي الحديد في (شرح النهج)، ورواها من علمنا الكثير راجع (البحار) ج ٤٣ من ص ١٥٨-١٧٠.

١٥- راجع (الغدِير) ج ١ ص ٢٧٢-٢٨٣، فقد اثبت التهنة من ستين مصدراً.

١٦- راجع (الغدِير) ج ٢ ص ٢٤٣ ط النجف، وقد نقل الأبيات وسبب انشائها عن أمالي الشيخ ص ١٢٤ وفي ط النجف ص ٢٠١.

١٧- راجع (أوائل المقالات) للشيخ المفيد ص ٧٦ ط الحيدرية النجف.

١٨- راجع (دلائل الصدق) للشيخ محمد حسن المظفر ج ٢ ص ٣ نقلاً عن نهج الحق.

١٩- (الكلمة الغراء) المطبوعة مع (الفصول المهمة) ص ٢٠٣-٢١٧، و(الأصول العامة) ص ١٤٩-١٥٩، و(الإجماع) ص ٦٣-٧٧.

٢٠- راجع (القبس) من ص ٣٣٧-٣٤٥، و(محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ١ ص ١١٧-٢٣٩، و(حديث الثقلين) ٣٠ صفحة، و(الثقلان) ١١٠ صحائف وغيرها كثيراً.

٢١- راجع كتابنا (قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله)) من ص ٥٨-٦٣ في مصادر هذا النص وفي نصين آخرين.

٢٢- راجع (إحقاق الحق) ج ٥ ص ٦٢٣-٦٤٥.

٢٣- راجع كتاب (الشيعة والتشيع) لمحمد جواد مغنية ص ٤٠.

٢٤- نقلنا هذا القول عن (مفكرة ورق الشام) الصادرة بتاريخ ٩/شعبان/١٣٧٧هـ، المصادف ٢٨/شباط/١٩٥٨ ميلادية. وتنقل المفكرة قبل هذا القول ما دار بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وبين حذيفة بن اليمان من "معارض الكلم" بقول حذيفة له حين سأله: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت والله أكره الحق، وأحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أراه، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، فغضب عمر لقوله، وانصرف من فوره غضباناً، وقد عزم على أذى حذيفة، وبينما هو في الطريق، إذ مرّ بعلي بن أبي طالب، فرأى

الغضب بادياً في وجهه، فقال ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أكره الحق، فقال: صدق، يكره الموت وهو حق قال الله تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ" [ق/٢٠]، فقال: يقول: وأحبّ الفتنة، فقال: صدق، يحبّ المال والولد، وقد قال الله تعالى: "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" [التغابن/١٦]، فقال: يا علي يقول: وأشهد بما لم أره، فقال: صدق، يشهد الله بالوحدانية، والموت والبعث والقيامة، والصراط، والجنة، والنار، ولم ير ذلك كله، فقال: يا علي ويقول: أصلي على غير وضوء، فقال: صدق، يصلّي على ابن عمي رسول الله على غير وضوء، فقال: يا ابا الحسن وقد قال أكبر من ذلك، فقال: ما هو؟ قال: قال: أن لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال صدق له زوجة وولد وتعالى الله عن ذلك، فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لو لا علي بن أبي طالب"، أخرجه الكنجي الشافعي في (كفاية المطالب) ص ٩٦، وقال: هذا ثابت عن اهل النقل. وذكره غير واحد بين أهل السير، وابن الصباغ المالكي بتغيير يسير في (الفصول المهمة) ص ١٧ والشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص ٧٢، وقد نقل الأميني هذه القصة في (الغدِير) ج ٦ عن المصادر المذكورة.

٢٥- (الخصال) ج ١ ص ٣٦.

٢٦- راجع (الأمالي) للصدوق ط قم ص ٢٠٥ برواية الأصبغ بن نباتة، وعن أبي البحري كما في (المناقب) لأخطب خوارزم الحنفي ط النجف ص ٤٧ باختلاف يسير، وكذا في مقتل الحسين للخوارزمي أيضاً ج ١ ص ٤٤، و(ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي نقلاً عن الخوارزمي، والحمويني في (فرائد السمطين)، وكذا في (فضل الخطاب) لمحمد خواجه البخاري، راجع (الينابيع) ص ٧٤، وص ٢٦٤، وص ٣٧٣، وراجع (إحقاق الحق) ج ٧ ص ٦١٠-٦٢٣.

٢٧- (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري ج ١ ص ١٦ ط مصر.

٢٨- راجع (دلائل الصدق) للمظفري ط قم ص ٢٠٥، وراجع (ترجمة الشاعر في الغدير) ج ٢ ص ٢٦٢-٢٩٥ وتجد الأبيات في (مناقب ابن شهر آشوب) ج ١ ص ٢٥٨.

٢٩- النصوص على إمامة أئمتنا كثيرة ومتواترة من الكتاب والسنة ومن طرق الفريقين وأشرنا إلى بعضها، وقد يأتي بعضها.

٣٠- تجد الأبيات في (نور الأبصار) للشيخ مهدي المازندراني ص ١٠٦ .

٣١- (إكمال الدين) للصدوق ص ٤ .

٣٢- هذا الحديث الشريف وما في معناه من النصوص العديدة ثابت عن النبي ﷺ من طرقٍ شتى، حيث أفاضه على أصحابه مراراً كثيرة، وشهرته تغني عن ذكر مصادره، وللتأكيد نشير إلى بعضها فنقول: روى الحديث جملة من الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعامر بن ربيعة، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم، كما رواه جمع من أئمة الهدى أيضاً وقد روته بالاسانيد المعتبرة الصحاح والسنن والمسانيد كاحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٤٤٦، وج ٤ ص ٩٦، والبخاري في ثاني أبواب كتاب (الفتن)، ومسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الإمارة من صحيحه ج ٦ ص ٢١ وص ٢٢، وأبي داؤد الطيالسي في مسنده ص ٢٥٦، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٥٦، والهيثمي في (مجمع الزوائد) من عدة طرق ج ٥ ص ٢١٨، والتفتازاني في (شرح المقاصد) ج ٢ ص ٢٧٥، وأبي جعفر الإسكافي في (خلاصة نقض العثمانية) للجاحظ ص ٢٩، وغيرهم كثير. راجع (إحقاق الحق) ج ٢ ص ٢٩٧ و ص ٢٩٨، و(دلائل الصدق) ج ٢ ص ٦، و(الغدير) ج ١٠ ص ٣٥٨-٣٦٢، و(إكمال الدين) للصدوق باب ٤٢ في مَنْ أنكر القائم ص ٣٨٧-٣٩٢، و(المحاسن) ص ١١٦، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٤ ص ٤٥٩-٤٦٠، و(الرجعة) للمؤلف ص ١١، والحمد لله.

## الفصل الثالث

### هوية الإمام والإمامة في أحاديث

جاء في هوية الإمام والإمامة، ومكانتها السامية في القرآن المجيد، وفي السنة النبوية الغراء، وأحاديث أهل بيت العصمة الشيء الكثير، ولكننا اخترنا - بعد التوكل على الله عز وجل - ثلاثة أحاديث شريفة، وجامعة، تبين للأمة عظمة هذا المقام، ومن الذي يصلح له، ومن لا يصلح، وإليك تلك الأحاديث بنصوصها:

#### الحديث الأول:

روى الكليني في (أصول الكافي)، والصدوق في (عيون أخبار الرضا) بسنديهما عن عبد العزيز بن مسلم قال:- كنا في أيام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) بمرو، فاجتمعنا في مسجد جامعها، في يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأدار الناس أمر الإمامة وكثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا(عليه السلام) فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسم(عليه السلام) ثم قال:-

#### إكمال الدين بالإمامة

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، ان الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه(صلى الله عليه و آله) حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً - أي تاماً كاملاً - فقال عز وجل: [مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] [الأنعام/ ٣٩]، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره(صلى الله عليه و آله): [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا] [المائدة/ ٤] (١).

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض(صلى الله عليه و آله) حتى بين لأمتة معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً(عليه السلام) علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب

الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ كَافِرٌ.

### محل الإمامة من الأمة

هل يعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوزون فيها اختيارهم، ان الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم.

ان الإمامة خصَّ الله بها إبراهيم(عليه السلام) بعد النبوة، والخِلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال عَزَّ وَجَلَّ: [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] فقال الخليل(عليه السلام) سروراً بها: [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] قال الله عَزَّ وَجَلَّ: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة/١٢٥].

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال عَزَّ وَجَلَّ: [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ] (٧٢) وَجَعَلْنَا لَهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] [الأنبياء/٧٣-٧٤].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي(صلى الله عليه و آله) فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ] [آل عمران/٦٩]، فكانت له خاصة فقلدها علياً بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ على رسم ما فرضها الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عَزَّ وَجَلَّ: [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ] [الروم/٥٧].

فهي في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد(صلى الله عليه و آله) فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟

ان الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله عَزَّ وَجَلَّ، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين؟.

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين.

إن الإمامة أسُّ الإسلام النامي - أي أصله - وفرعه السامي.

## الإمام الدال على الهدى والمنجي من الردى

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف، الإمام يُحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقوم حدود الله ويذنب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيد القفار ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجي من الردى، والإمام النار على اليقاع - اليقاع ما أرتفع من الأرض - الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، ومن فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر والغيث الهائل، والشمس المضيئة والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة والغدير والروضة، الإمام الرفيق والولد الرقيق والأخ الشفيق، ومفزع العباد في الداهية، الإمام أمين الله في أرضه وحقته على عباده وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله والذاب عن حرم الله، الإمام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم موسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد له بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب "أي أنّ الله يخصهم بالعلم والفضل، وسنذكر ذلك ان شاء الله بالدليل القطعي".

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول وتاهت الحلوم حارت الألباب وخسنت العيون وتصاغرت العظام وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألباب وكنت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت (٢) البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله فافترت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكماله أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقام مقامه، ويغني عنه، لا، كيف وأتى وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين.

أقول: ويؤيد قول الإمام الرضا(عليه السلام) من معرفة الإمام قد ضلّت عنها العقول وتاهت الحلوم، وأنه لا يوصف بكماله ولا ينعت بكنهه... الخ، ويؤيده ما ورد عن جده رسول الله الصادق بقوله لعلي أمير المؤمنين: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله

وأنت، وما عرفك يا علي إلا الله وأنا(٣).

وأحسن من قال:

ليس يدري بكنهه ذاتك ما هو \*\*\* يا بن عم النبي إلا الله

ثم قال الإمام الرضا(عليه السلام) في حديثه: فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ أظنوا أن يوجد ذلك في غير آل الرسول(صلى الله عليه وآله)؟ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الباطل، فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً(٤)، تزل عنه الى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً: [قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] [التوبة/٣]، لقد راموا صعباً وقالوا فكاً، و[ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا] [النساء/١٦٨]، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة [وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ] [العنكبوت/٢٩] (٥).

ورغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] [القصص/٦٩].

وقال عز وجل: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [الأحزاب/٣٧].

وقال عز وجل: [مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ \* أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ \* إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَخَيَّرُونَ \* أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَقَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ \* سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) \* أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] [القلم/٣٧-٤٢].

وقال عز وجل: [أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] [محمد/٢٥]، أم [طَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] [التوبة/٨٧]، أم [قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ \* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُحْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ \* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ] [الأنفال/٢٢-٢٤]، و [قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا] [البقرة/٩٤]، بل هو [فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مِنْ نِسَاءِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] [الحديد/٢٢].

فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، فالنسب من قريش، "وفي نص": فالبيت من قريش والذروة من

هاشم والعترة من آل الرسول(صلى الله عليه و آله) والرضا من الله عزَّ وَّجَلَّ، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي الحلم، مُضْطَلَعٌ بالإمامة - أي قويٌّ فيها - عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزَّ وَّجَلَّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

### مَنَعِ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ

أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُوقِّعُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحِكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِمْ غَيْرُهُمْ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ كُلِّ عِلْمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ - فَانظُرْ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] [يونس/٣٦].  
وقوله عزَّ وَّجَلَّ: [وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ] [البقرة/٢٧٠]، وقوله عزَّ وَّجَلَّ فِي طَالُوتَ: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] [البقرة/٢٤٨] (٦).

وقال عزَّ وَّجَلَّ لِنَبِيِّهِ(صلى الله عليه و آله): [وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا] [النساء/١١٤].  
وقال عزَّ وَّجَلَّ فِي الْأئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَعَتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ: [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا] [النساء/٥٥-٥٦].

وإنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّ وَّجَلَّ لأمور عبادته شرح الله صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي "أي يعجز" بعده بجواب، ولا يحيد فيه عن الصواب وهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن الخطايا والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أقول: أشار بكلامه هذا إلى قول الله عزَّ وَّجَلَّ [إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] [آل عمران/٧٤-٧٥].

فهل يقدر على مثل هذا؟ فيختاروه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه؟ تعدوا (٧) وبيت الله الحرام، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

أقول: أشار(عليه السلام) بقوله: ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم إلى قول الله عزَّ وَّجَلَّ: [وَأَذُوا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا

بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ] [آل عمران/١٨٨].

وفي كتاب الهدى والشفاء، فنذوه وأتبعوا أهواءهم، فذمهم الله ومقتهم وأنعسهم، أي أهلكهم، فقال عز وجل: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [القصص/٥١]، وقال عز وجل: [فَتَعَسَا لَهُمْ وَآضَلَّ أَعْمَالُهُمْ] [محمد/٩]، وقال عز وجل: [كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا] (٨).

### الحديث الثاني: إيضاح دين الله بأئمة الهدى من أهل البيت؟

روى الكليني في (أصول الكافي) بسنده عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة؟ وصفاتهم قال: ان الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلى بهم عن سبيل مناجاه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمد (صلى الله عليه وآله) واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، "أي حسنه وبهجته"، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقهِ، وجعله حجةً على أهل موادّه وعالمه" أهل موادّه، أي أهل زياداته وعطايه المتصلة المتواترة غير المنقطعة مطيعين كانوا أو عاصين من العالمين يكون الإمام حجةً عليهم" وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه موادّه، ولا يُنال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من متلبسات الدجى، ومعصيات السنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختار لخلقهِ من ولد الحسين (عليه السلام) من عقب كل إمام، يصطفيهام لذلك، ويجتبيهم ويرضى بهم لخلقهِ ويرتضيهم، كل ما مضى منهم - واحد - نصب لخلقهِ من عقبه إماماً بيناً، وهادياً نيراً، وإماماً قتماً، وحجةً عالماً، أئمةً من الله، يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعواته ورعاته على خلقهِ، يدين بهديهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد، "التلاد القديم وهو نقيض الطارف" جعلهم الله حياة للأنام، ومصايح للظلام ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها، فالإمام هو المنتخب المرتضى الهادي المنتجى، والقائم المرتجى، إصطفاه الله بذلك وأصطنعه على عينه في الذر حين ذراه في البرية.

## خلق الله روح الإمام قبل الخلق

بَرَّاه "أي خلقه" ظلاً قبل خلق - أي - نسمة عن يمين عرشه محبوباً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لظهره، بقية من آدم (عليه السلام) وخيرة من نوح (عليه السلام) ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد (صلى الله عليه وآله) لم يزل مرعياً بعين الله يحفظه ويكلؤه بستره مطروداً عنه حبانل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق "أي يدفع عنه حوادث الظلام في الليالي" ونفوذ كل غاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرءاً من العاهات محجوباً من الآفات معصوماً من الزلات، مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه، "أي في أوائل سنه قبل احتلامه" منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته، فإذا انقضت مدة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى حجته، وبلغ مدة والده صلى الله عليه وسلم فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلده دينه، وجعله الحجة على عباده فقيمه في بلاده، وأيده بروحه، وآتاه علمه، وأنباه فصل بيانه "أي أعطى فصل الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل" واستودعه سره، وانتدبه لعظيم أمره، وأنباه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلق، وجعله حجة على أهل عالمه، وضياعاً لأهل دينه، والقيم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سره، وأستحفظه علمه، واستحياه واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره، وأحى به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع، والشفاء النافع، بالحق الأبلج، والبيان اللائح من كل مخرج، على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه (عليه السلام)، فليس يجهل حقاً هذا العالم إلا شقي، ولا يجحد إلا غوي، ولا يصد عنه إلا جريء على الله جلّ وعلا (٩).

### الحديث الثالث:

#### مميزات الأئمة؟ وأوصافهم السامية

روى فرات بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن زياد بن المنذر قال:-

سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) وهو يقول:

الأئمة شجرة أصلها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

نحن شجرة أصلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفرعها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأغصانها فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وثمرها الحسن والحسين عليهما السلام والتحية والإكرام (١٠).

وأنا شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفتاح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة وموضع سر الله ووديعته، والأمانة التي عُرضت على السموات والأرض والجبال (١١)، وحرَم الله الأكبر، وبيت الله العتيق، وذمته، وعندنا علم المنيا والبلايا والقضايا والوصايا وفصل الخطاب، ومولد الإسلام، وانتساب العرب.

إن الأئمة كانوا نوراً مشرقاً حول عرش ربهم، فأمرهم أن يستحووا، فستبح أهل السموات لتسبيحهم (١٢).

وإنهم لهم الصافون، وإنهم لهم المسبحون، فمن أوفى بذمتهم فقد أوفى بذمة الله، ومن عرف حقهم فقد عرف حق الله، هؤلاء عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن جحد حقهم فقد جحد حق الله، هم ولادة أمر الله وخزنة وحي الله، وورثة كتاب الله، وهم المصطفون بأمر الله، والأمناء على وحي الله هؤلاء أهل بيت النبوة، ومُفاض الرسالة، والمستأنسون بخفق أجنحة الملائكة، من كان يغذوهم جبرئيل بأمر الملك الجليل بخبر التنزيل، وبرهان الدليل، هؤلاء أهل بيت أكرمهم الله بشرفه وشرفهم بكرامته وأعزهم بالهدى وثبتهم بالوحي (١٣).

وجعلهم أئمة وهداة، ونوراً في الظلم للنجاة، واختصهم لدينه، وفضلهم بعلمه، وآتاهم ما لم يؤت أحد من العالمين، وجعلهم عماداً لدينه ومستودعاً لمكنون سيره، وأمناء على وحيه، وشهداء على بريته، واختارهم واجتباهم، وخصهم واصطفاهم، وفضلهم وارفضاهم، وانتجبهم وجعلهم نوراً للبلاد، وعماداً للعباد، وحجته العظمى، وأهل النجاة والزلفى، وهم الخيرة الكرام، هم القضاة الحكام، هم النجوم الأعلام، وهم الصراط المستقيم، هم السبيل الأقوم، الراغب عنهم مارق، والمقصر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق هم نور الله في قلوب المؤمنين، والبحار السائغة للشاربين، أمن لمن التجأ إليهم، وأمان لمن تمسك بهم، إلى الله يدعون، وله يُسلمون، وبأمره يعملون، وببيانه يحكمون، فيهم بعث الله رسوله، وعليهم

هبطت ملائكته، وبينهم نزلت سكنته، وإليهم بُعثَ الروح الأمين، ممّا من الله عليهم فضّلهم به، وخصّهم بذلك، وآتاهم تقواهم، وبالحكمة قواهم، هم فروع طيبة، وأصول مباركة، خزّان العلم، وورثة الحلم، وأولوا التقى والنهى، والنور والضياء، وورثة الأنبياء، وبقية الأوصياء. منهم الطيب ذكره اسمه محمد المصطفى والمرتضى، ورسوله الأمي، ومنهم الملك الأزهر، والأسد الباسل، حمزة بن عبد المطلب، ومنهم المُستسقى به يوم الرّمادة (١٤)، العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وصنوا أبيه، وجعفر ذو الجناحين والقبليتين والهجرتين والبيعتين، من الشجرة المباركة صحيح الأديم وضّاح البرهان، ومنهم حبيب محمّد (صلى الله عليه و آله) وأخوه، والمبلغ عنه من بعده، البرهان والتأويل، ومحكم التفسير، أمير المؤمنين، ووصي رسول ربّ العالمين، علي بن أبي طالب عليه من الله الصلوات الزكية والبركات السنية، هؤلاء الذين افترض الله موذتهم وولايتهم على كلّ مسلمٍ ومسلمة، فقال في محكم كتابه لنبيه (صلى الله عليه و آله): [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ] [الشورى/٢٤]، قال أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) اقتراف الحسنه حَبْنَا أهل البيت (١٥).

١- راجع (الغدِير) ج ١ ص ٢٣٠-٢٣٨ في نزول الآية في الولاية.

٢- عييت - هكذا وردت في النصوص ولعل الصحيح (عييت).

٣- حديث مشهور، والمراد من معرفة النبي (صلى الله عليه و آله) وعلي بالله إنما هي أعلى معرفة ممكنة للمخلوقين، وإنهما عرفاه بحقيقة ذاته وكنهه فإن هذا مستحيل وغير حاصل لأي مخلوق مطلقاً، ومن هنا جاء عن النبي (صلى الله عليه و آله) قوله في بعض مناجاته: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، وقوله (صلى الله عليه و آله): سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو، ولقد أجاد ابن أبي الحديد حيث يقول:

والله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد \*\*\* علموا ولا جبريل وهو الى محل القدس

يصعد

كلا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد\*\*\* من كنه ذاتك غير انك أوحدى الذات سرمد

وجدوا إضافات وسلباً والحقيقة ليس توجد\*\*\* من انت يا رسطو ومن افلاط قبلك يا ملبد

ومن ابن سينا حين قرر ما يناه له وشيّد\*\*\* ما انتم إلا الفراش رأى السراج وقد توقد  
فدنا فاحرق نفسه\*\*\* ولتوا هتدى رشداً لا بعد  
٤- الدحض: الزلق.

٥- قول الله تعالى: "وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ" وقول الإمام في حديثه: تركوا الإمام عن بصيرة،  
هذان النصان من القرآن والحديث يدلان - بوضوح - على أن تاركي إمامة الأئمة من آل  
محمد(عليهم السلام) ما كانوا جاهلين بها، بل كانوا عارفين مستبصرين بأنها لهم دون  
غيرهم، بل قد عرفوا أيضاً عظيم مقامهم واستحقاقهم لها، وتيقنوا ذلك، ومع ذلك عدلوا  
عنهم إلى غيرهم ظلماً واستكباراً وتعالياً كما قال تعالى "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ  
ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" [النمل/١٥]، ولذلك - كما لا يخفى - أسباب  
كثيرة ومجملها أن الأئمة من آل محمد(عليهم السلام) على الحق ومع الحق، وطبيعة الغالب  
من الناس والكثير منهم الكره للحق كما قال تعالى: "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُكْرُونَ \*  
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ"  
[المؤمنون/٧٠-٧٢]، وقال تعالى: "لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ"  
[الزخرف/٧٩].

٦- لنا في كتابنا "الشفاء الروحي والجسمي في القرآن من ٢٥٣-٢٦٥ ص، تعاليق حول  
الآية وقصتها تحت العناوين التالية: "قصة طالوت مع بني إسرائيل وآياتها"، "موارد  
الاستشفاء والعبرة بالقصة"،

١- الهدف من القصص القرآنية الهداية إلى الحق.

٢- اختيار حجج الله بيد الله عز وجل.

٣- جعل الله آية ومعجزة لمن يختاره من حججه.

٤- طبيعة الناس المخالفة لله ولحججه إلا من عصم.

٥- نصر الله إنما يكون بصبر الثابتين على دينه وإن قلوا.

٧- قول الإمام: تعدوا وبيت الله الحرام، هذا قسم منه~ ببيت الله وهو يدل بكل صراحة على  
جواز القسم بغير الله عز وجل ولا مانع منه، وقد ورد القسم بغير الله في القرآن وفي

الأحاديث بكثرة.

٨- راجع الحديث في (عيون أخبار الرضا) للصدوق ج ١ ص ٢١٦-٢٢٢، و(الشافى في شرح أصول الكافى) المجلد الثالث ص ١٠١-١٠٩، و(الاحتجاج) للطبرسى ج ٢ ص ٢٢٦، و(معاني الأخبار) للصدوق باب معنى الإمام المبين ص ٩٦.

٩- راجع (الشافى في شرح أصول الكافى) المجلد الثالث ص ١٠٩.

١٠- أشار الإمام~ بقوله: "نحن شجرة أصلها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ... الخ، إلى حديث الشجرة المعروف الشهير الذي روته كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتفسير والحديث والتاريخ من طرق كثيرة، ونصوص عديدة، عن جملة من القرابة والصحابة عن الصادق الأمين(صلى الله عليه و آله) ، ذكرنا بعض نصوصه وطرقه ومصادره في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ٢ ص ٤١-٤٤، وراجع إذا شئت كتاب (تعليقات إحقاق الحق) للسيد شهاب الدين النجفى ج ٥ ص ٢٥٥-٢٦٩، وج ٩ من ص ١٤٩-١٥٩، وكتاب (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) للشيخ نجم الدين العسكري ج ١ من ص ٣٠٣-٣١٤.

١١- الأمانة المعروضة على السموات ومعناها:

قول الإمام والأمانة التي عُرضت على السموات والأرض والجبال، أي نحن وإمامتنا الأمانة التي عُرضت على السموات، وقد أشار بذلك إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب/٧٣]. والأمانة معناها شيءٌ يُودَع عند الغير ليحتفظ به ثم يردّه إلى مَنْ أودعه عنده، أو ليقضي به مأربه ثم يرجعه إليه، فهناك أناس يؤدّون الأمانة، أي يرجعونها إلى أهلها كما هي، وهناك أناس يخونونها.

هذا معنى الأمانة لغَةً، وقد يُطلق لفظ "الأمانة" على الدين الذي شرّعه الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده وبعث به رسله وأنبياءه، وعلى هذا يكون الدين أمانة الله عند عباده، ولكنّ العباد منهم مَنْ يحافظ على دينه ويؤديه كما شرّعه الله عَزَّ وَجَلَّ ومنهم مَنْ يخونه بأنواع الخيانات، إمّا أن يأخذ منه ما تهواه نفسه، وما ينفعه في دنياه فقط، وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن المجيد بقوله تعالى "أَقْتُوْمُونَ بِنِعْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"

[البقرة/٨٦]، وإما أن يخون دينه بارتكاب أنواع المعاصي والسيئات، وأنواع الظلم والجرائم وترك الواجبات والفرائض بلا ندم ولا توبة وإلى أمثال هولاء يشير قوله تعالى "يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [الأنفال/٢٨]. ومعلوم أن هذه الخيانات - بكل أنواعها - تعود أخيراً بالضرر على الخائنين أنفسهم، فهم يخونون أنفسهم قبل أن يخونوا الله ورسوله، وإلى ذلك يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا" [النساء/١٠٨]، وقال تعالى: "عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ" [البقرة/١٨٨]، وإلى مجموعة هذه الخيانات يشير قوله تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه و آله): "وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [الأنفال/٧٢]، نعم أمكن الله منهم فأخزاهم واذلهم في الدنيا، واستحقوا العذاب الأليم في الآخرة، فالذين يؤدون أمانة الدين ويطبقونه كما هو هم الأعداء في الدارين، والذين يخونون دينهم ولا يؤدوه كما هو هم الأدلاء في الدارين، وفي طليعة من حملهم الله دينه، وأدوه كما هو من غير تبديل ولا تغيير - في هذه الأمة - هم نبينا وأهل بيته الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

فهم إذن الأمانة التي غرِضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشققن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً.

فالأمانة تطلق على الدين، وتطلق أيضاً الأمانة - بالخصوص - على الولاية الإلهية التي جعلها الله تعالى - في تشريعاته الحكيمة - بعد ولايته جل وعلا في هذه الأمة لنبيه محمد (صلى الله عليه و آله) وبعده لعلي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من أهل بيته.

فهم إذن الأمانة، أي هم أهل الولاية والإمامة العامة بعد النبي (صلى الله عليه و آله) قال تعالى "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" [المائدة/٥٥].

وقد أجمع المفسرون أن هذه الآية الكريمة نزلت في علي أمير المؤمنين حينما تصدق بخاتمه في الصلاة وهو راع، نزلت فيه، وهي جارية في أبنائه المعصومين من بعده ولكن هذه الولاية حملها بعض الناس ظلماً وجهلاً وإليهم تشير الآية المبحوث عنها "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا".

أما سائر الناس فمنهم من تبع أهل ولاية الله الحقّة من رسل وأنبياء وأئمة، ومنهم من تبع الإنسان الظلوم الجهول، وحساب الجميع والقضاء فيما بينهم بيد الله يوم القيامة يجازي كلًّا بما يستحق من الجزاء، قال تعالى "إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" [يونس/ ٩٤]، ولزيادة الإيضاح، والتأكد راجع إذا شئت (البحار) ج ٢٣ ص ٢٧٣-٢٨٣ باب: أن الأمانة في القرآن الإمامة، وراجع تفسير الآية، والتي بعدها في آخر سورة الأحزاب: في كتاب (الميزان) في تفسير القرآن ج ١٦ ص ٣٧٠-٣٧٦.

١٢- راجع الفصل السابع من كتابنا (قبس من القرآن) وعنوانه "الرسول الأعظم والنور الذي انزل معه" لتعلم حقيقة نورهم وتسبيحهم حول العرش وأدلته من ص ٣٠٧، وإلى آخر الكتاب ص ٣٤٦.

١٣- إن قيل: هل هم أنبياء حتى يوحى إليهم، الجواب: الوحي كلام خفي، ويكون من الله للأنبياء ولغير الأنبياء بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خُفِتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" [القصص/٨]، أما كلام الملائكة لهم فسيأتيك دليله إن شاء الله تعالى، وذكرناه في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ١ ص ٨٣-٨٦ تحت عناوين عديدة، فراجع إذا شئت.

١٤- رمدت الغنم، هلكت من بردٍ أو صقيع، والصقيع الجليد الذي يسقط من السماء في الليل كأنه ثلج "القاموس".

١٥- راجع (تفسير فرات بن إبراهيم) ص ١٤٧-١٤٨، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٢٢٤-٢٤٦.

## الفصل الرابع

صفات خمس لنبينا (صلى الله عليه و آله) في القرآن، شاركه بها أئمة الهدى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الأحزاب/٤٦) - (٤٧).

وصف الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بهاتين الآيتين من سورة الأحزاب بخمس صفاتٍ جليّة، هنّ من شؤون نبوته ورسالته، وحجّيته وولايته العامتين على أمته وعلى أهل الأرض جميعاً.

**الأولى: كونه (صلى الله عليه و آله) شاهداً**

الصفة الأولى كونه "شاهداً" يشهد على أمته يوم القيامة كما يشهد على الناس أجمعين من يهود ونصارى ومشركين وملحدين فيما يعتقدون ويعملون من إيمان أو كفر، وطاعة أو معصية، يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة حتى يجازى كلّ بما اعتقد وعمل طبق اعتقاده وعمله، وطبق شهادة الرسول (صلى الله عليه و آله) له أو عليه.

وكون النبي (صلى الله عليه و آله) شاهداً على أمته وعلى الناس أجمعين هذه حقيقة قرآنية قد نصّ عليها القرآن في سور عديدة وآيات كثيرة، منها الآية المبحوث عنها (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) وهكذا قال تعالى في سورة الفتح: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الفتح/٩). ومنها قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (المزمل/١٦).

بل يصرح القرآن المجيد بأنّ كلّ أمةٍ من الأمم جعل الله عليها شهيداً منهم من نبيٍّ أو رسولٍ أو إمام، قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (النساء/٤٢).

وقال تعالى: (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (القصص/٧٦).

وقال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النمل/٩٠).

وقال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (النحل/٨٥).

وقال تعالى: (وَوَضِعَ الْكِتَابَ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الزمر/٧٠).

إلى غير ذلك من الآيات، ومن هنا جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: لكل زمانٍ وامةٍ إمام، تُبعث كل أمةٍ مع إمامها (١)، وإنما تبعث كل أمةٍ مع إمامها ليشهد عليها.

أما هذه الأمة الإسلامية التي هي آخر الأمم فشهيدها الأول وبالإجماع – بعد الله تعالى – هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن هل هناك شهود عليها غير الرسول الأعظم؟ نعم، الشهود عليها بعد الرسول إنما هم أهل بيته أئمة الهدى من بعده، يشهد كل إمام منهم على أهل زمانه.

### الأمة الوسط الشهيدة على الناس إنما هم الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله)

وهذا أيضاً أشار إليه القرآن وذكره في عديد من آياته، ومنها قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة/١٤٤).

لنقف قليلاً أو كثيراً عند هذه الآية الكريمة من سورة البقرة ونتدبر في المراد من الأمة الوسط التي جعلها الله شهيدة على الناس.

نعم هذه الآية - حسب نصها - تقول: إن الأمة الوسط هي الشهيدة على الناس، ولكن من المراد من الأمة الوسط هل هي الأمة الإسلامية بكاملها تشهد على الناس ويشهد بعضها على

بعض؟ كما يصرح به إخواننا أهل السنة في تفاسيرهم، وبعض أخبارهم؟

كالسيوطي في تفسيره (الدر المنثور) (٢).

والفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)(٣).

وابن كثير الدمشقي في تفسيره (القرآن العظيم)(٤)، وغيرهم.

نعم الفخر الرازي استثنى من مجموع الأمة ثلاث فرق حيث قال: دلت الآيات على أن من ظهر كفره وفسقه نحو المشبه، والخوارج، والروافض فإنه لا يُعتدّ به في الإجماع، لأن الله إنما جعل الشهداء مَنْ وَصَفَهُم بِالْعَدَالَةِ وَالْخَيْرِيَّةِ... الخ(٥).

### ليست الأمة كلها شهداء

ونحن نرى أن تفسير الأمة الوسط بالأمة الإسلامية كلها، وحتى لو استثنى منها – برغم الفخر الرازي – المشبهة والخوارج والروافض، نراه تفسيراً يخالف العقل والوجدان، والدوق، والمنطق السليم، والتحليل العلمي، كما يخالف النصوص القرآنية، من جهات عديدة. منها إنَّ الشاهد يجب أن يكون عالماً بما يشهد به، إذ معنى "شهد فلان عند الحاكم، أو عند القاضي" أي بيّن له ما شهدده وحضره، أو بيّن له ما علمه علم اليقين، أمّا إذا كان الشاهد غير عالم بما يشهد به، أو غير مشاهد لما يشهد به فلا يعتبر شاهداً، ولا تقبل منه الشهادة أصلاً، وإذا كان كذلك فمن أين للأمة وأفرادها العلم بما يشهدون به على الناس، مع أنهم يعيشون في أوار متعاقبة لم يعاصر بعضهم بعضاً، كما يعيشون في الدور الواحد في الشرق والغرب قد لا يرى أحدهم الآخر، وعلى فرض أنهم يعيشون معاً في بلد واحد وحتى لو كانوا في محلّة واحدة فهل يعلم أحدهم بكامل أعمال الآخر؟ قطعاً لا، وعلى فرض أنه يشهد ببعض ما شاهدته من عمله، فهل يعلم هذا الشاهد بحقيقة ذلك العمل وما نوى به صاحبه من حقٍ أو باطل؟ مثلاً شاهدتني أصلي وشهدت لي بما عملت وشاهدت لكن هل تعلم أنني صليت خالصاً لوجه الله أو كانت صلاتي رياءً؟ وهل علمت أن صلاتي – مثلاً- كانت جامعة لشرائط القبول أم لا؟ قطعاً لا تعلم ذلك، فكيف تشهد به؟ وكيف يقبل الله شهادتك؟

هذا مع العلم إنَّ الله يحاسب الناس يوم القيامة بما كسبت قلوبهم وما أنطوت عليه ضمائرهم من الحقائق في الأعمال، ومن المعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران كما قال تعالى: (وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) (البقرة/٢٢٦).

وهذه الأمور النفسانية لا تدركها الحواس الخمسة الظاهرية، ولا يعلمها أحد إلا الله، أو من يعلمه الله ويتولى أمره ويكشف له ذلك بنفسه لأنه تعالى هو وحده العالم بما في الضمانر المطلع على ما في السرائر، وعلى كل لا بد من أن يكون الشاهد عالماً بما يشهد به، وليس ذلك باستطاعة الأمة بكاملها بحكم العقل والوجدان والذوق السليم والمنطق الحاسم، والتحليل العلمي.

يجيب بعض المفسرين والمحدثين عن هذا الإشكال الحقيقي البين ببعض الأحاديث، وينسبونها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومضمونها: أن هذه الأمة تشهد على الأمم الماضية كأمة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، حيث ان هذه الأمم تنكر أن يكون قد جاءهم نذير ورسول من الله، يقولون: ما آتانا من نذير، وما آتانا من أحد، فيقال للرسول كـ (نوح وغيره): هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد (صلى الله عليه وآله) وأمته، فيدعى بمحمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومهم؟ فيقولون: نعم، فيقال: ما علمكم؟ جاءنا نبينا فأخبرنا إن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي عدلاً (٦).

وأقول: على فرض صحة هذا الخبر، فالقرينة دالة على أن الأمة الشاهدة مع نبيها إنما هم أهل بيته أمة الهدى الاثني عشر، لا الأمة كلها يدعى بها لتشهد، فإن هذا غير معقول ولا مقبول، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية إن الشاهد يجب أن يكون عادلاً وإلا لا يصح الاستشهاد به في الدنيا فضلاً عن الآخرة، قال تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذُؤَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) (الطلاق/٣).

والحال الأمة الإسلامية - بحكم الضرورة والبداهة - فيها العادل والظالم، والمؤمن والمنافق، والبر والفاجر، فكيف يستشهد الله تعالى بهم جميعاً؟ هذا ما لا يرتضيه العقل ويخالف الوجدان والذوق والمنطق السليم، والتحليل العلمي ويخالف أيضاً القرآن العظيم، يقول تعالى مخاطباً المؤمنين من هذه الأمة: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/١٤١)، فقوله تعالى: (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) لفظة "منكم" هنا للتبعيض، أي يتخذ بعضكم شهداء، فلو أن الأمة تشهد لقال: (ويتخذكم شهداء) وهذا دليل قرآني واضح على أن

الشهداء على الأمة الإسلامية بعضها لا كلها، فمن أولئك البعض؟:

إنما هم خلفاء النبي على أمته من بعده وهم أنمة الهدى، وهذه الجهة الثانية.

ومن جهةٍ ثالثة إنَّ القرآن يُصَرِّحُ بأن كل أمةٍ من الأمم يجعل الله عليها شهيداً واحداً كما في قوله تعالى: (فَكَيِّفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) وقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) إلى غير ذلك من الآيات الأخرى في هذا المعنى.

إذاً كيف يجعل الله هذه الأمة كلها شهداء؟ فهذا المعنى يخالف سنة الله الجارية في الأمم، ومعلوم أن سنة الله في خلقه لا تتحول ولا تتبدل قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (الأحزاب/ ٦٣).

والخلاصة إنَّ الشهداء على هذه الأمة إنما هم الأئمة الاثنى عشر (عليهم السلام) كل واحد منهم يكون شهيداً على أهل زمانه دون غيرهم.

### الأمة الوسط في الأحاديث

كما جاء هذا المعنى صريحاً في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): (إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) يعني عدلاً، (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال: "ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل، وأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته على حزمة بقل(٧).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه(٨).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً في المراد من الأمة: هم الأئمة(٩).

إلى غير ذلك من الأخبار الصريحة في هذا المعنى وهي كثيرة جداً ومتواترة، حتى أن شيخنا المجلسي في (البحار) نقل في باب عرض الأعمال على النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة وأنهم الشهداء - خمسة وسبعين حديثاً في الشهادة على الناس، وإن الشهداء هم الأنبياء

والأنمة(عليهم السلام) (١٠).

وهذا المعنى جاء في بعض روايات أهل السنة فقد روى الحاكم الحسكاني في كتابه (شواهد التنزيل) باسناده عن سليم بن قيس عن علي(عليه السلام) انه قال: ان الله تعالى إيانا عنى بقوله:(لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء على خلقه، وحجته في أرضه، ونحن الذين قال الله فيهم:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)(١١)

ويؤيد هذه الأحاديث من أن الأمة الإسلامية كلها لا يمكن أن تكون الأمة الوسط، والأمة الشهيدة على الناس ما جاء في ذم أكثر الأمة في آيات كثيرة في القرآن المجيد، فتارة بأنهم لا يعقلون وأخرى بأنهم لا يعلمون، ومرة بأنهم لا يشكرون، وهكذا من أنهم لا يؤمنون، وأن أكثرهم الفاسقون وأكثرهم للحق كارهون(١٢).

فإذا كانت حالة الأمة هكذا كيف يمكن أن تتصف بالخيار، والعدل، والشهادة على الناس، حكم عقلك وشرعك!!!

### علي أمير المؤمنين الشاهد الأول على الأمة بعد نبيها(صلى الله عليه و آله)

ويؤيد كل ما مضى ما رواه جمهور كبير من المفسرين والمحدثين في تفسير قوله تعالى:(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) (هود/١٨)، ورووا عن عدة من القرابة والصحابة كابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وزاذان، وعمرو بن العاص وغيرهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وعن أمير المؤمنين(عليه السلام): إن الذي كان على بينة من ربه هو رسول الله(صلى الله عليه و آله) ويتلوه شاهد منه وهو علي أمير المؤمنين(عليه السلام) (١٣).

فهذه الآية وما ورد في تفسيرها من طرق الجمهور تدل على ان علياً شاهداً على الناس، وأنه من النبي الذي هو على بينة من ربه، والنبي منه.

وهذا ما صرح به(صلى الله عليه و آله) بقوله الشهير المتواتر: علي مئي وأنا من علي(١٤).

وهذا كله يؤيد أن المراد من الأمة التي تكون شهيدة على الناس إنما هي علي والأنمة من

أبنائه(عليهم السلام) ، فإن قيل: كيف تُفسر الأحاديث الأمة بالأئمة، ولم عبّر الله عنهم بالأمة وهم أفراد منها؟

الجواب نقول:

أن الله سمى خليله إبراهيم(عليه السلام) وهو فرد واحد أمة في قوله تعالى:(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل/ ١٢١).

وإنما سماه أمة لانه(عليه السلام) قد أتصف بكل فضلٍ وفضيلةٍ إتصفت بها أمته وهو أفضلهم وأكملهم بكل ما للفضل والفضيلة والكمال من معنى، وهو المُقتدى لهم والإمام عليهم، يقول الشاعر:

ليس على الله بمستنكرٍ \*\*\* أن يجمع العالم في واحد

ويقول الجلالان في تفسيرهما:(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) إماماً قدوةً، جامعاً لخصال الخير(١٥).

وهكذا أئمة الهدى هم المتحلون بكل فضلٍ وفضيلة وكمال اتصفت بها الأمة الإسلامية بعد نبيها، وقد أتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، ولذلك عبّر عنهم بالأمة، إذ هم الممثلون لكل فضل اتصفت به الأمة، وتفوقوا عليها بكل ذلك، وهم القدوة في ذلك للجميع، وأئمة لكل. فإذا تعبير الله عنهم(عليهم السلام) بالأمة أبلغ من التعبير بالأئمة، ويرى بعض المفسرين أن المراد بكون الأمة شهيدة عليهم أن هذه الشهادة تكون فيهم، لا أن كلهم فرداً فرداً يشهدون، ونظير ذلك والدليل عليه قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (الجنات/١٧).

والمقطوع به هو أن المراد من إيتاء الكتاب والحكم والنبوة والتفضيل على العالمين لبني إسرائيل أن فيهم من يتصف بهذه الصفات، وإنما هم الرسل والأنبياء منهم، لا أن كل واحد منهم متصف بتلك الصفات، أي نُسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه ومنه، وهكذا كون الأمة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس، ويشهد الرسول عليهم، وهم خلفاؤه أئمة الهدى من بعده، وهو وجه وجيه(١٦).

ويؤيد ذلك قوله تعالى:(وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) ويؤيده أيضاً أن الآية وصفت الأمة بالوسط

فقال:(أُمَّةٌ وَسَطًا) وما هو معنى الوسط في هذه الآية.

## معاني الوسط

ذكر الفخر الرازي في تفسيره من معاني الوسط معنيين:-

المعنى الأول: ان الوسط هو العدل، واستدل عليه بالكتاب والسنة والأدب واللغة.

المعنى الثاني: الذي ذكره للوسط: أن الوسط من كل شيء خياره، وقال: وقالوا: هذا التفسير

أولى من الأول لوجوه، وذكر وجوهاً عديدة في ان الوسط هو الخيار(١٧).

ومن جوامع كلمات نبينا(صلى الله عليه و آله) خير الأمور أوسطها، وقال الشاعر مشيراً

للحديث:

خير الأمور الوسط\*\*\* وغير هذا غلط

وهذان المعنيان منطبقان على أئمة الهدى، إذ لا خلاف في عدالتهم، ولا ريب في أنهم أفضل

الأمّة وخيارها، كما صرح بذلك الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) في كثير من أحاديثه

الشريفة ومنها:

قوله(صلى الله عليه و آله): "ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، قال علي:

فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه

المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل لك يا علي

وللأئمة من ولدك... الخ(١٨).

ولقد أجاد النبّهاني حيث يقول:

آل طاها يا آل خير نبي\*\*\* جدكم خيرة وأنتم خيارُ

أذهب الله عنكم الرجس أهل\*\*\* البيت قدماً فأنتم الأطهارُ

لم يسئل جدكم على الدين أجراً\*\*\* غير ودّ القربى ونعم الاجار(١٩)

وذكر الأستاذ العلامة السيد محمّد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) معنى آخر للوسط

في قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) وهو أنهم(عليهم

السلام) متوسطون ومتخلّلون بين الرسول وبين الناس الذين يشهدون عليهم، وذلك باعتبار

أن علومهم بعقائد الناس وأعمالهم عن الله عزّ وجلّ بواسطة الرسول(صلى الله عليه و آله)

إذ هم خلفاؤه من بعده، فيما حصلوا عليه من العلوم الإلهية وبواسطة الرسول كانت لهم منزلة الشهادة على الناس في العقائد والأعمال.

وسنذكر - قريبا - بعض طرق تحصيلهم للعلوم الإلهية، ولذلك جعلت الآية كونهم (عليهم السلام) شهداء على الناس غاية متفرعة على جعلهم أمة وسطا، لكونهم متوسطون بين الرسول وبين الناس كانوا شهداء على الناس.

وكيفما يفسر الوسط بالعدل، أو الخيار، أو التوسط فهو لا ينطبق - حقيقة - إلا على أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه و آله) إذ هم أعدل الأمة وخيارها والمتوسطون بين الرسول وبين الناس بأمر الله عز وجل.

قال الطبرسي في قوله تعالى (أُمَّةً وَسَطًا) الوسط العدل، وقيل: الخيار، قال صاحب العين: الوسط من كل شيء أعدل أو فضله، أو الواسطة بين الرسول وبين الناس. (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران/ ٥٤).

شهادة الأئمة (عليهم السلام) على الناس بحق، وعن علم مستمد عن الله تعالى، ومن الشفعاء؟ ولمن يشفعون؟

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (الزخرف/ ٨٧). نفت هذه الآية الكريمة من سورة الزخرف الشفاعة عن مخلوقين نفياً صريحاً، وأثبتتها لآخرين منهم إثباتاً حقيقياً وواقعياً، فقوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) أي أنّ الذين يدعون من دون الله والى عبادة غير الله من مطلق رؤساء الكفر والشرك والضلال، ومن كل معبود دون الله من الأصنام وغيرها لا يملكون الشفاعة لإتباعهم لا ملكاً ذاتياً ولا بتمليك من الله لهم، وقوله: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) هذا استثناء فيه إثبات للشفاعة لمن شهد بالحق، وكانت شهادته عن علم ودراية، وهم المعبر عنهم بشهداء العمال، وهم بين ملائكة وبشر وآخرين.

فمن شهداء الأعمال من البشر في الأمم الماضية الرسل والأنبياء وأوصياؤهم، وفي هذه الأمة النبي (صلى الله عليه و آله) وبعده أئمة الهدى من أهل بيته، فهم الذين يملكون حق الشفاعة بتمليك من الله لهم، إذ أنّ أمر الشفاعة بيد الله عز وجل، والحكم له يوم القيامة وحده لا شريك له قال تعالى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)

(طه/١١٠).

ومن المعلوم المقطوع به أنّ في طليعة مَنْ يأذن لهم الرحمن بالشفاعة، ويرتضى قولهم هم محمد وأهل بيته الأطهار، فهم الشفعاء بأذن الله.

أما لمن يشفعون؟ فقد قال تعالى مجيباً على هذا التساؤل (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) (الأنبياء/٢٩)، أي لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين المرتضى لله هو الدين الإسلامي المشروط بولاية الله ورسوله وأوليائه قال تعالى بعد تبليغ النبي (صلى الله عليه و آله) ولاية علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم غدير خم (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة/٤).

وقال النبي (صلى الله عليه و آله) بعد نزول هذه الآية الكريمة: الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب بالإسلام ديناً للمسلمين بولاية علي أمير المؤمنين.

فمن مات مسلماً مؤمناً بالله، وبدين الله ووعده ووعيده، وبأولياء الله، وكان قد والى أولياء الله وعادى أعداءه، وعليه بعض الذنوب والمعاصي التي لم يتب منها، ولم تغفر له، فهو لاء يستحقون الشفاعة من الشافعين من محمد وآله الطاهرين (عليهم السلام) فهم الشفعاء إذاً بأمر الله كما هم الشهداء على الناس بأمره (٢٠).

وشهادتهم بحق، وعن علمٍ مستمدٍ من الله تبارك وتعالى.

هذا ما أفادته هذه الآية الكريمة (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهي بنصوصها مؤيدة لما حققناه فيما مضى من ان الشاهد يجب أن يكون عالماً بما يشهد به وإلا فلا تصح شهادته، كما يجب أن يكون عادلاً ليشهد بالحق لا بالباطل وإلا فلا تقبل شهادته، وأن الشهداء على الناس جميعاً يوم القيامة هم من كل أمة ومن كل دورٍ شهيد واحد من رسول أو نبي أو وصي لا ان الأمة كلها شهيدة على الناس، لعدم توفر شرائط الشهادة لجميع الأمة.

فالأمة الوسط في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) إنما هم من الأنمة من آل محمد (صلى الله عليه و آله).

## من أين جاء العلم للأئمة (عليهم السلام) بعمل الأمة

وهنا قد يأتي سؤال يفرض نفسه بنفسه فيقال: من أين جاء العلم للأئمة بكل أعمال الأمة وأعمال الناس جميعاً، وهم أفراد من الأمة حتى يشهدوا عليهم وعلى غيرهم بكامل أعمالهم وحقانقتها؟ فنقول: ان علمهم باعمال الناس أجمعين مع حقانق أعمالهم وعقائدهم لا من عند أنفسهم، ولو قلنا أنهم(عليهم السلام) علموا ذلك من أنفسهم بأنفسهم لكان ذلك شركاً بالله وكفراً به، ولكن الله جلّ وعلا لما جعلهم حججاً على عباده، وجعل لهم الولاية العامة على الناس بعد ولايته وولاية رسوله(صلى الله عليه و آله) بقوله:(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة/٥٦).

وقد اجمع المفسرون ان هذه الآية المباركة كانت قد نزلت في علي أمير المؤمنين(عليه السلام) حينما تصدّق بخاتمه في الصلاة وهو راعع، وهي جارية في أبنائه من الأئمة الطاهرين من بعده(٢١).

فهؤلاء الأئمة هم الذين تولى الله سبحانه تعليمهم بكامل أعمال الأمة والناس أجمعين بما آتاهم من العلم الواسع الغزير، وبما أطلعهم عليه من تصرفات الناس وسلوكها ونواياها، وأشار إلى ذلك في بعض الآيات القرآنية النازلة فيهم(عليهم السلام).

ومن تلك الآيات قوله تعالى:(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت/١٤٨).

فقد صحّ عن أئمة الهدى منهم الإمام الباقر والصادق والرضا(عليهم السلام) العديد من رواياتهم التي ذكرها المحدثون والمفسرون كشيخنا الكليني في (الكافي)، والقمي في (تفسيره)، وفرات بن إبراهيم في (تفسيره)، وابن شهر آشوب في (المناقب)، ومحمّد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات)، والطبرسي في (مجمع البيان)، والمجلسي في (البحار) وغيرهم كثير أنهم(عليهم السلام) فسروا قوله تعالى:(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بأنهم هم الأئمة من آل محمّد خاصة، أي بعد الرسول(صلى الله عليه و آله) وأنه من عيسى أن يكون غيرهم، وأنهم هم الراسخون بالعلم، وأنّ صدورهم هي الحاوية لتلك الآيات البينات فراجع(٢٢).

## طرق علومهم (عليهم السلام) ومنابعها

أما طرق علومهم (عليهم السلام) بذلك وغير ذلك من أنواع العلوم الكثيرة وينابيعها الممنوحة لهم من الله تعالى فنذكر منها ما يلي:

### الطريق الأول

#### الإلهام

أولاً العلم الإلهامي: وهو أفضل طرق علومهم وأساسها الذي منه تتفرع جميع الطرق والجهات الأخرى، وذلك بأن يُلهمهم الله ما يشاء من العلوم، وهو المعبر عنه - في بعض أحاديثهم أنه - (نكت في القلوب) وفي بعضها (قذف في القلوب) (٢٣).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) في حديثه عن الإمامة وشؤونها - وقد مرّ حديثه في الفصل السابق قال (عليه السلام): وإن العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمر عبادته شرح لذلك صدره، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ولا يحيد فيه عن الصواب، وهو معصوم مؤيد، موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعتار... الخ.

## التحليل والدليل على تلقي الفيوضات الإلهية للمخلصين

وهذا المعنى وهو كونهم (عليهم السلام) مُلهمين العلم ومؤيدين من الله تعالى ليس بعجيب ولا غريب من قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، كما أنه ليس ببعيد من تحقيق إرادته ومشينته تعالى في إيتانهم العلم الإلهامي، وبيان ذلك هو أن الثابت بالأدلة القطعية أن العبد المؤمن بالله إذا ازداد إيماناً به عزّ وجلّ، وإخلاصاً له بأعماله، وصبراً وجهاداً في سبيله يكون ذلك العبد مستحقاً وقابلاً لتلقي أنواع الفيوضات الإلهية، والمواهب الربانية بمقدار ما عنده من إيمان وإخلاص وصبر وجهاد، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت/٧٠).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد/١٨).

ومعلوم أنّ من كان مع الله كان الله معه، ومن أصلح لله أمراً أصلح الله له أموره، وقال

النبي(صلى الله عليه و آله) فيما رواه الخاص والعام كالصدق في عيون أخبار الرضا، وابن عبد ربّه الأندلسي المالكي في (العقد الفريد) وغيرهما(٢٤).

انه (صلى الله عليه و آله) قال ما اخلص عبد الله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي نص آخر: مَنْ أخلص الله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وقال(صلى الله عليه و آله): مَنْ عَمِلَ بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم(٢٥).

وقال(عليه السلام): مَنْ زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلها، ولم ينافس في عزها "أي لم يفاخر غيره تطاولاً عليه" هداه الله بغير هدايةٍ من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه(٢٦).

ويقول النبي(صلى الله عليه و آله): ليس العلم في السماء فينزله عليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، ولكنّه مودع في نفوسكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم.

فتذكر - أيها المطالع الكريم - في أنّ أيّ مؤمنٍ من سائر المؤمنين جاهد في الله استحق الهداية الخاصة من الله تعالى، وأنه يكون مع المحسنين المجاهدين هادياً ومرشداً وناصرراً ومعلماً، وأنّ مَنْ أخلص الله أربعين صباحاً انفجرت وظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، ومَنْ عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، ومَنْ زهد في الدنيا ولم يجزع ولم يفاخر غيره تطاولاً هداه الله بغير هدايةٍ من مخلوق وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه، إذاً كيف بمن كان مجاهداً في الله حق الجهاد طيلة حياته بكل ما للجهاد من معنى، ومخلصاً له عزّ شأنه في عباداته كافة وأنواع تصرفاته في كل أيامه ولياليه لا يريد بذلك إلا وجهه الكريم وطلب رضاه، وعملاً بكل ما أوتي من علمٍ على الإطلاق من كلّ شيء جزئي، وزاهداً في الدنيا بكل ما للزهد من معنى، فهذا الإنسان المتصف بأعلى وارقى هذه الصفات من الجهاد والإخلاص والعمل الصالح مع الزهد، وقد علم الله ذلك منه أما يستحق أن يميّزه على غيره ويخصّه بما لم يخصّ به أحداً من العالم؟

وبهذا يتضح لك السر في أن الله قد أتى نبيّه والأنمة من أهل بيته الأظهر ما لم يوت أحداً من العالمين، ومن جملة ما آتاهم العلم الإلهامي الذي تفوّقوا به على الأمة كافة، وجعلهم خلفاء في أرضه وحججاً على عباده، وشهداء على خلقه.

قال إمامنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن الله تبارك وتعالى طهرنا، وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه وحبته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا (٢٧).

### شهادة القرآن لهم (عليهم السلام) بالإخلاص

وقد شهد لهم القرآن بالإخلاص في الأعمال لله، وطلب رضاه ووجهه الكريم بآيات عديدة قد أنزلها الله تعالى فيهم، وفي إكبار أعمالهم منها قوله تعالى في سورة (هل أتى) التي أنزلها في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) حينما تصدقوا بقوتهم على المسكين واليتيم والأسير (إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً) (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (الإنسان/٦-١٠).

وقال تعالى في علي (عليه السلام) حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليلة الهجرة فادياً له بنفسه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة/٢٠٨)، إلى غير ذلك من الآيات البينات (٢٨).

### أقسام العلوم بالنسبة إلى طرق تحصيها، و علم الأئمة (عليهم السلام) اللدني

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (الزمر/١٠).

هذه الآية الكريمة من سورة الزمر من الآيات القرآنية الكثيرة التي تميز بين صنفين من الناس، إذ على غرارها وأسلوبها آياتٌ أخرى، بعضها مثلاً تميز وتفرق بين المؤمن والفاسق كقوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) (السجدة/١٩) ، وبعضها تفرق بين المسلمين والمجرمين كقوله تعالى: (أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (القلم/٣٦-٣٧)، وبعضها تميز بين الطيب والخبيث من الناس كقوله تعالى: (قُلْ لَا

يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (المائدة/ ١٠١)، وهكذا آيات كثيرة تعدّ بالعشرات تميّز بين أصناف الناس ومنها هذه الآية المبحوث عنها: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) فقد ميزت هذه الآية الكريمة بين مَنْ يعلمون وبين مَنْ لا يعلمون، والعقل السليم يستقل في التمييز بين هذين الصنفين، فيجزم جزماً قاطعاً في أن الذين يعلمون أفضل وأولى من الذين لا يعلمون، واستناداً إلى حكم العقل قال تعالى في خاتمة الآية: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) وأولوا الأبواب هم أهل العقول، إذ الإنسان كالعقش، ولبه عقله. ولما كان العالمون مختلفين في درجات علمهم وأنواعه فبعضهم أعلم وأفضل من بعض نرى أن العقل يجزم قاطعاً بأن الأعم بنوع من العلم أفضل من غيره، كما أنّ الأعم بكل علم يحتاجه الناس يكون أولى باتباع الناس له - بحكم العقل - في جعله مرجعاً عاماً لهم دون غيره، وخصوصاً علماء الدين.

### أهل البيت أعلم الأمة، وفيهم نزلت الآية الكريمة

وأعلم هذه الأمة - على الإطلاق - بعد نبيها هم أهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم، وهم الذين نزلت هذه الآية الكريمة فيهم على ما روى الكليني في (الكافي) بسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)... الخ قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الأبواب (٢٩).

ولقد احسن الأديب السيد محمّد نجل العلامة السيد رضا الهندي في تضمينه قسماً من الآية المبحوث عنها في أبيات من الشعر قال:

يا سانلي عن علماء حكماي فضلا\*\*\* وعن رُعاي همج بكل شيء جهلا

أما قرأت قوله قُديس شأنا وغلا\*\*\* هل يستوي الذين يعلمون والذين لا؟

وقد الحقت بها أبياتاً أخرى فقلت:

فالعقل يجري حكمه في هولا وهولا\*\*\* بان من يعلم لا يقاس فيمن جهلا

والعالمون شمت فيهم فاضلاً وأفضلاً\*\*\* والأفضلون قدموا بالعقل عند العقلا حبلاً

والفخر للفضل والأكمل أن لا يوصلاً\*\*\* بغير الله والإسلام إن رام العلا محمداً

والفضل كل الفضل موصول إلى\*\*\* وآله الأظهر سادات الملا

نعم آل محمداً (صلى الله عليه و آله) هم أهل الفضل العميم، والكمال المطلق، وهم أعلم هذه

الأمة بعد نبيها، وبيان ذلك بالدليل فنقول:

يمكن أن يقال: إن العلم – بالنسبة إلى مصدر تحصيله وطرقه – ينقسم أولاً إلى قسمين

لذني، وكسبي، واللذني ينقسم إلى أقسام عديدة سنذكرها أن شاء الله تعالى، ولكن يمكن أن

يقال: إن أقسام العلوم اللدنية ترجع أخيراً إلى قسمين إيحائي تشريعي وإلهامي إلهي. وعلى

هذا تكون أقسام العلوم ثلاثة إيحائي تشريعي، وإلهامي إلهي، وكسبي.

أما الإيحائي التشريعي فهو علم يوحيه الله إلى أنبيائه ورسله بواسطة أمينه من الملائكة

جبرئيل أو غيره في بعض المناسبات، ومن هنا قال عز من قائل بالنسبة إلى علم نبينا

محمداً (صلى الله عليه و آله): (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ

الْقُوَىٰ) (النجم/٤-٦).

وأما الإلهامي الإلهي فهو علم يلهمه الله قلب من يشاء من عباده من رسل وأنبياء وأوصياء،

وبعض المؤمنين الصالحين في بعض المناسبات الخاصة من باب:

### المؤمن ينظر بنور الله (٣٠)

وهذان العلمان الإيحائي التشريعي، والإلهامي كل منهما يقال له: لذني، أي أنه من لذني الله

سبحانه ومن هنا قال تعالى بالنسبة إلى علم الخضر الذي تفوق به على كليم الله موسى بن

عمران (عليه السلام) حيث أطلعه عليه دون موسى قال: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً

مِنْ عِبْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف/٦٦)، وقال تعالى مخاطباً نبينا محمداً (صلى الله

عليه و آله): (وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (النمل/٧)، فهذا العلم اللدني بقسميه.

أما الكسبي فهو علم يكتسبه الإنسان من العلماء والمرشدين بعض من بعض، وهو علم من

جهة يقع فيه الخطأ والصواب والصحة والغلط، وغلط العالم – ولا سيما إذا كان مرجعاً عاماً

- يعود على العالم كله، لأن الناس أتباع العلماء في الحلال والحرام، وفي جميع الأحكام. ومعلوم أن الله جلّ شأنه لا يريد - في تشريعاته - ويرضى إلا بالعمل طبق الشريعة التي أنزلها كما أنزلها من دون تغيير ولا تبديل، والأحكام التي شرعها من دون زيادة ولا نقصان، فلا بدّ إذاً من أن يكون في الناس عالم لا يخطأ ولا يغلط، ولا يسهو ولا ينسى ليرشد الناس إلى تلك الشريعة المنزلة منه تعالى تماماً وكمالاً، ولا يكون ذلك إلا إذا كان علم العالم - المرجع للجميع - وحيّاً أو إلهامياً، لذلك شاء الله أن يكون علم الرسل والأنبياء وأوصيائهم من العلم الإيحائي أو الإلهامي صوتاً وحفظاً لهم وللأمم من أتباعهم من الوقوع في المخالفة. ومن جهةٍ أخرى أنّ صاحب العلم الكسبي لا يمكنه - وبلا ريب - تحصيل كل ما يحتاجه وتحتاجه الأمة من العلم حتى لو عاش ما عاش من منات السنين، واجتهد - فيها - كلّ الاجتهاد في تحصيله. ولقد أجاد الإمام الشافعي بقوله:

ما حوى العلم جميعاً أحدٌ \*\*\* لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم بعيدٌ غوره.. \*\*\* فخذوا من كل شيءٍ أحسنه (٣١)

بينما إذا كان العالم علمه لدنياً من الله العالم بكل شيء، فحينئذ يمدّه الله العليم الحكيم بكل ما يحتاجه وتحتاجه الأمة من العلم طبق مشيئته وأرادته، قال تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (البقرة/٢٥٦). وبعد هذا البيان، أو هذه المقدمة نقول:

أن علم أمتنا الهداة - ومما لا ريب فيه - كان من العلم الإلهامي اللدني، لأن العلم الإيحائي التشريعي قد انتهى بوفاة النبي (صلى الله عليه و آله) إذ هو الذي شرع الله له ولأمة الدين، وما قبضه الله إليه إلا بعد أن أكمل له ولأمة تشريع الدين، وأتم لهم النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً خالداً إلى يوم القيامة كما قال تعالى - بعد تبليغ النبي (صلى الله عليه و آله) أمتّه بولاية علي بن أبي طالب وخلافته، وولاية الأئمة الأطهار من ولده وخلافتهم يوم غدیر خم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (المائدة/٤).

وأما العلم الكسبي فقد علمنا أنه يقع فيه الخطأ والصواب، وصاحبه لا يمكنه الوقوف على كل ما تحتاج إليه الأمة، فالأئمة (عليهم السلام) من جهة كانوا قد عصمهم الله من الخطأ والغلط

بحكم الأدلة، راجع ما مرّ من هذا الكتاب ص ٣٧-٣٨، تحت عنوان "تعريف العصمة لغة واصطلاحاً".

ومن جهةٍ أخرى كانوا هم المرجع للناس بعد النبي(صلى الله عليه و آله) في مشاكلهم واحتياجاتهم كافة، فإذا كان علمهم علماً إلهامياً لدنياً من الله تعالى، وبذلك تفوقوا في علومهم على الأمة وأفرادها أجمعين، وكان إتباعهم - بحكم العقل - أولى من إتباع غيرهم.

### الأدلة على علم الأنمة الإلهامي

أما الأدلة التي تدل على علمهم(عليهم السلام)إلهامي - بالإضافة إلى ما تقدم - فهي كثيرة منها هو أنّ الناس كل الناس كانوا محتاجين إلى علمهم وحلّ المشاكل لهم، وكلما رجعوا إليهم في أمرٍ من الأمور وجدوا علمه حاضراً عندهم من دون تأخر أو توقف أو تردد. ومن هنا ورد عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال ذات يوم لعلي(عليه السلام) يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئلت عنه، قال: فأبرز علي كفه وقال له: كمّ هذه؟ فقال عمر: خمسة، فقال: عجلت يا أبا حفص، قال: لم يخف علي، فقال علي: وأنا أسرع فيما لا يخفى علي(٣٢).

والغرض ان الناس إذا رجعوا إليهم في أمورهم وجدوا الجواب الحاسم حاضراً عندهم، أما هم(عليهم السلام) ما احتاجوا إلى علم الناس أبداً، بل كل واحدٍ من الناس مفتقر إلى علمهم، وما جرت كلمة (لا أدري) على لسان أحدهم.

فاحتياج الكل إليهم، واستغناؤهم عن الكل، دليل قاطع على أنهم أعلم الكل، وأئمة الجميع، وكونهم(عليهم السلام) ما احتاجوا إلى أحدٍ من سائر الناس وان الناس كانوا محتاجين إليهم هذه حقيقة واقعية يثبتها لهم التاريخ الثابت الصحيح عند الخاص والعام، ولا سيما أيام الخلفاء الثلاث أبي بكر، وعمر وعثمان، ورجوعهم إلى علي(عليه السلام) في حلّ المشاكل التي حلّت بهم، والأسئلة التي وجّهت إليهم ولم يكن فيها علم عندهم، وهكذا رجوع بقية الخلفاء من بني أمية وبني العباس وغيرهم إلى الأنمة(عليهم السلام) كلّها ثابت عند الجميع في التاريخ الإسلامي في حوادث كثيرة قد لا يستطيع الإنسان إحصاءها لكثرتها(٣٣).

ومما يدل على أن علم الأئمة إلهامي من الله هو انهم (عليهم السلام) طالما كانوا يخبرون عن وقوع حوادث قبل أن تقع، ثم تقع طبق ما أخبروا به، وهذا باب واسع وعليه شواهد كثيرة لا مجال لنا الآن إلى ذكرها لكثرتها وشهرتها في التاريخ عند الخاص والعام، وان شئت فارجع إلى كتاب (إحقاق الحق) ج ٨ الباب الخامس، باب ما أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام) من المغيبات من ص ٨٧-١٨١.

ومعلوم أنه لا يعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، أما أخبار غير الله عن أمورٍ غيبية من رسل وأنبياء وأئمة إنما هو تبليغ من الله تعالى، فلو لم يكن علم الأئمة مستمد من الله لما تمكنوا من معرفة الحوادث والملاحم قبل وقوعها.

قيام الإمام الجواد (عليه السلام) بالإمامة وهو ابن ثمان سنين

ومما يؤكد لنا أنّ علم الأئمة إلهامي من الله تأكيداً قطعياً لا ريب فيه ولا شبهة تعترية هو أن إمامنا محمد الجواد (عليه السلام) انتهت إليه الإمامة بعد أبيه الإمام الرضا وهو ابن ثمان سنين كما صرح بذلك كثير من المؤرخين، بل عليه إجماعهم.

ومع ذلك قام بأبي هو وأمي - بما قام به أباه من التعليم والإرشاد، وأخذ العلماء منه - على اختلاف طبقاتهم - أنواع العلوم خاضعين له، مستفيدين منه، وما وجدوا في علومه - على صغر سنه - نقصاً عن علوم آبائه وأجداده لا كثيراً ولا قليلاً، بل كان علمه وهو ابن ثمان سنين - بلا مغالات ولا مبالغة - كعلم سميّه وجده محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله) وهو مستمدّ منه.

الأسئلة التي قُدمت إليه بحضور عمّه

حتى انه لما قبض الإمام الرضا (عليه السلام) توجه تلك السنة أكابر المسلمين من العلماء والفقهاء والمتكلمين من الشيعة وغيرهم إلى الحج، وتشرفوا بلقائه بالمدينة، فدخلوا عليه في داره للتعرف على صحة إمامته، هذا وقد حضر خلق كثير من الشيعة ومن كل بلد لذلك إذ دخل عمّه عبد الله بن موسى بن جعفر وكان شيخاً كبيراً نبيلاً، عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة، أي أثر السجود، فجلس، وخرج أبو جعفر الجواد من الحجرة، وعليه قميص ورداء، وفي رجليه نعلان، فقام عمّه عبد الله وقبّل ما بين عينيه، وقامت الشيعة إجلالاً له، ثم قعد أبو جعفر على كرسي، وجلس الناس ينظر بعضهم إلى بعض تحيراً لصغر سنه.

فابتدر رجل من القوم فقال لعمه سانلاً منه: أصلحك الله ما تقول في رجلٍ أتى بهيمة؟ فقال: تقطع يمينه، ويضرب الحد، فغضب أبو جعفر(عليه السلام) ثم نظر إليه فقال: يا عم اتقِ الله، اتقِ الله انه لعظيم ان تقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول لك: لم أفتيت الناس بما لا تعلم؟.

فقال عمه استغفر الله يا سيدي، أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه؟ فقال أبو جعفر(عليه السلام): إنما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها، فقال أبي: تقطع يمينه للنبيش، ويضرب حد الزنا، فان حرمة الميتة كحرمة الحيّة، فقال عبد الله صدقت يا سيدي، وأنا استغفر الله، والظاهر أن عبد الله قد نسي، فتعجب الناس، وقالوا: يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك؟ قال: نعم، فسألوه في مجلس واحدٍ عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم عنها وله يومئذٍ تسع سنين(٣٤).

وفي رواية أخرى عشر سنين(٣٥).

والظاهر لنا أن مراد الراوي من "المجلس الواحد" الذي سئل فيه الإمام(عليه السلام) عن ثلاثين ألف مسألة هو المكان المعد لجلوسه فيه للناس، كما يقال مثلاً: ذهبت اليوم إلى مجلس زيد أو عمرو ورأيت كذا أو سمعت كذا... الخ، فالإمام سئل في مجلسه ذلك للناس، عن ثلاثين ألف مسألة، فالراوي عيّن نوعية المكان الذي سئل فيه الإمام، وأنه مكان واحد وهو الذي يستقبل به الناس دون غيره من الأماكن الأخرى، ولم يعيّن الوقت، والوقت يعرف من القرينة، والقرينة دالة على ان الناس كانوا يتوافدون على الإمام في موسم الحج من جميع النواحي والأقطار والأمصار ليتعرفوا عليه ويسألوه عما حملوا إليه من الأسئلة الكثيرة الكتابية والشفوية، فكان عدد تلك الأسئلة التي وجّهت إليه وأجاب عنها ثلاثين ألف مسألة، وذكر المجلسي في (البحار) وجوهاً أخرى بالإضافة إلى هذا الوجه وإلى ذلك أشار السيد صالح القزويني حيث يقول مخاطباً له:

وأنت أجبت السائلين مسائلاً \*\*\* ثلاثين ألفاً عالماً لا تعلم

**التعظيم للإمام الجواد، والشهادة له بالإمامة على صغر سنّه**

وهذا علي بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) شيخ العلويين في عهد الإمام الجواد سنناً وفضلاً، وكان إذا أقبل الجواد يقوم له ويقبل يده، وإذا خرج يسوي له نعله، وسئل عن الإمام الناطق بعد الإمام الرضا من هو؟ فقال: هو أبنة أبو جعفر، فقيل له: أنت في سنك وقدرك، وأبوك جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام؟ فقال للسان: ما أراك إلا شيطاناً، ثم أخذ بلحيته وقال: فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا (أي لمنصب الإمامة) ولم ير هذه الشبهة لهذا أهلاً (٣٦).

هذا وعلي بن جعفر الصادق أخو الكاظم، والكاظم (عليه السلام) جد الجواد، فما ترى بينهما من السن، وعلي أخذ العلم من أبيه الصادق، وأخيه الكاظم، وابن أخيه الرضا، فلو كان علمهم بالتحصيل والكسب لكان علي أكثر تحصيلاً واكتساباً، ولو كانت الإمامة بالسن لكان علي أكبر العلويين سنناً.

على أن الجواد قد فارقه أبوه يوم سافر إلى خراسان وهو ابن خمس سنين، فمن الذي كان يؤدبه ويتقفه بعد أبيه حتى جعله بتلك المنزلة العلمية الرفيعة؟ وقبض الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة وابن هذا السن لم يبلغ من العلم شيئاً كثيراً لو انفق عمره كله في الطلب، فكيف يكون عالم الأمة ومرشدها، ومعلم العلماء ومثقفهم؟ وقد رجعت إليه الشيعة وعلمائها من يوم وفاة أبيه الرضا (عليه السلام).

حتى ان بعضهم - ويقال له يونس بن عبد الرحمن - شكك في إمامته لصغر سنه، فردّ عليه الريان بن الصلت قائلًا: إن كان أمره من الله جلّ وعلا، فابن يوم واحد أو ابن يومين مثل ابن مائة سنة، وان لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة، وفي نص: خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه، ويكون كواحد من الناس (٣٧).

وعلى كلّ علم الأئمة (عليه السلام) إلهامي من الله تعالى.

### إعتراف المأمون بعلم الأئمة الإلهامي، واحتجاجه على العباسيين

وقد اعترف بذلك المأمون العباسي كما جاء فيما رواه علماء التاريخ من أهل الشيعة والسنة، إن المأمون لما أراد أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر الجواد بلغ ذلك العباسيين فشقّ

عليهم، واستكروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا(عليه السلام) فخاضوا في ذلك.

ثم اجتمع معه أهل بيته الأذنون فقالوا له: ننشذك الله يا أمير المؤمنين إلا ما رجعت عن هذه النية من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن يُخْرَجَ به أمرٌ قد ملكناه الله ويُنزَعَ منا عزاً قد أُنْبَسَاهُ اللهُ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلةٍ "أي فزعة" من عملك مع الرضا وكفانا الله المهم من ذلك فالله الله ان تردنا إلى غمٍ قد انحسر عنا، وأصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك.

فقال لهم المأمون: أما ما كان بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى منكم، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا(عليه السلام) ولقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر فقد اخترته لتبريزه "أي تفوقه" على أهل الفضل كافة في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا ان الرأي ما رأيت فيه، فقالوا: ان هذا الفتى وان راقك منه هدية إلا انه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن أهل هذا البيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم تنزل آباؤه أغنياء في علم الدين، والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوه بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله، قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وان عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون شاتكم وذلك متى أردتم.

مسألة يحيى بن أكثم للإمام الجواد(عليه السلام)

فخرجوا من عنده، وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك.

وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون بأن يُفرش لأبي جعفر فراشاً حسناً وان يجعل له مسورتان، (أي وسادتان)، ففعل له ذلك.

وخرج أبو جعفر فجلس بين المسورتين، وجلس القاضي مقابله، وجلس الناس من خواص الدولة وأعيانها وحجابها وقوادها في مراتبهم وعلى قدر طبقاتهم ومنزلهم، والمأمون جالس إلى جنب أبي جعفر (عليه السلام) فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أياذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟ فقال أبو جعفر: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر: قتله في حل أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أم خطأ، حرّاً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصرراً على ما فعل أم نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف أهل المجلس عجزه، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرقتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ وقال المأمون لأبي جعفر (عليه السلام) إن رأيت جعلت فداك ان تذكر الفقه الذي فصلته من وجوه قتل المحرم للصيد لنعلمه ونستفيده؟ فقال أبو جعفر نعم، "ثم بين لهم تلك الوجوه بأجمعها" وما يترتب عليها من الأحكام في الشريعة الغراء، فراجع المصادر.

وقال المأمون بعد ما سمع ومن معه الجواب الحاسم: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، وأمر المأمون أن يكتب ذلك عنه.

ثم قال: فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك، فان عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفتدت منك، فقال أبو جعفر: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما

غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له.

ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟ فقال يحيى والله لا اهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فأن رأيت أن تفيدينا به.

فقال أبو جعفر هذه امرأة أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما أرتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له. فعند ذلك أقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم فيما رأى، فقال: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من دون الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال.

أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، وبإيع الحسن والحسين) عليهما السلام) وهما أبناء دون الست سنين، ولم يبائع صبي غيرهما، أو لا تعلمون ما اختص الله به هؤلاء القوم وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم، فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين (٣٨).

وما انفض ذلك المجلس حتى عقد له (عليه السلام) على ابنته أم الفضل، ووزع المأمون على الحاضرين الجوائز وأنواع الهدايا والطيب، ووضعت الموائد فأكل كل الناس وانصرفوا.

### قيام الإمام علي الهادي (عليه السلام) بالإمامة وهو ابن ست سنين

ومما يؤكد لنا تأكيداً بعد تأكيد هو أن الإمام علياً الهادي (عليه السلام) قام بأمر الإمامة وله من العمر ست سنين وخمسة أشهر، وماذا يُحسن من كان علمه بالكسب والتعليم من

الآخرين في حين كان (عليه السلام) - عند قيامه - مقام أبيه من بعده - أعلم أهل زمانه على الإطلاق، وأُعترف بذلك الخاصة والعامة.

قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة): وكان وارث أبيه علماً ومنحاً، ونقله عن (الصواعق) الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) (٣٩).

وثبت هذا حينما رجع الناس إليه من الراعي والرعية، والصديق والعدو، واختبروه بأنواع الاختبارات وسألوه عن مختلف العلوم والمعارف وإذا علمه (عليه السلام) - وهو ابن ست سنين واشهر - كعلم سميه علي أمير المؤمنين باب مدينة علم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقام بالإمامة بعده ابنه الحسن العسكري، وأخيراً قبض الحسن (عليه السلام) مسموماً وعمره يومئذ ثمان أو تسع وعشرين سنة، والإمام بعده ابنه الحجة المهدي (عج) وعمره يومئذ خمس سنين، وآتاه الله ما آتى آباءه الطاهرين من العلم والفضل العميم.

قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة) بعد ذكره لأبيه الحسن العسكري، ووفاته بالسم بما نصّه قال:

ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين ولكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر... الخ (٤٠).

وقال الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) عند ذكر الإمام المهدي (عليه السلام) نقلاً عن كتاب (فصل الخطاب) للشيخ خواجه محمد ياسا قال: وقالوا: آتاه الله تبارك وتعالى الحكمة وفصل الخطاب في طفولته وجعله آية للعالمين، كما قال تعالى: (يَا حَيُّ خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (مريم/١٣)، وقوله تعالى: (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (مريم/٣٠-٣١)... الخ (٤١).

وذكر هذا المعنى ابن الصبّاح المالكي في كتابه (الفصول المهمة) في الفصل الثاني عشر (٤٢)، نعم هكذا (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٣٣) دُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران/٣٤-٣٥).

الطريق الثاني من ينابيع علم الأنمة

عرض صحائف الأعمال عليهم (عليهم السلام)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة/١٠٥).

هذه الآية الكريمة من سورة التوبة من الآيات القرآنية الكثيرة النازلة في شأن من شؤون  
نبينا محمد(صلى الله عليه و آله) وخلفائه أئمة الهدى الاثنى عشر من بعده، إذ هي تشير إلى  
ينبوع من ينابيع علمهم الذي تفوقوا به على الأمة كافة وأفرادها كما ستعلم ذلك خلال  
بحوثها.

### دلالة الآية الكريمة

والآية بعموم خطابها، وصريح بيانها ونصوص ألفاظها تدل على ان أعمال المكلفين من  
الناس أجمعين من مؤمنين وكافرين ومنافقين ستكون مشاهدة ومرنية – بعد صدورها منهم  
في حياتهم الدنيا – لله عزّ وجلّ أولاً، ولرسوله(صلى الله عليه و آله) ثانياً، وللمؤمنين ثالثاً،  
ثم تكون تلك الأعمال مشاهدة ومرنية لعامليها أنفسهم يوم القيامة رابعاً، سواء صدرت منهم  
سراً أو علانية، خيراً أو شراً، طاعة أو معصية، فلا بدّ من مشاهدتها ورؤيتها لله ولرسوله  
وللمؤمنين في الدنيا، ولأربابها في الآخرة ليكون الجزاء لهم مناسباً لأعمالهم إن خيراً فخير،  
وإن شراً فشرّ، هذا ما دلت عليه الآية الكريمة: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أما كيف تكون تلك  
الأعمال مشاهدة ومرنية للخالق جلّ وعلا، والمخلوق في الدنيا والآخرة، فهذا ما سنفصله  
بإذن الله تعالى بدلالته الواضحة وبراهينه الجلية فنقول:

### معنى الغيب والشهادة، وعلم الله عزّ وجلّ بهما

أما مشاهدتها لله عزّ وجلّ فالمراد من ذلك انه سيعلمها ويراها موجودة بعلم الشهادة، بعد أن  
علمها معدومة بعلم الغيب، وبيان ذلك:

أولاً: إنّ الله هو العليم الخبير بالأشياء كلها، ومنها علمه بعباده وحقائق أعمالهم ونياتهم  
علماً ذاتياً أزلياً قبل إيجادها، وهو المسمّى بعلم الغيب وإليه الإشارة بعدة آيات منها قوله

تعالى: (عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (سبأ/٤)، ومنها قوله تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام/٦٠).

والظاهر لنا ان المراد من الغيب ومن مفاتحه أي خزانته، هو علمه الذاتي الأزلي بمطلق الحوادث قبل حدوثها مما سيكون، وما لا يكون مما شاء عدم إيجاده أو يشاء محوه من الوجود.

ثانياً: ان الله هو العليم الخبير بالأشياء كلها – ومنها علمه بعباده وحقائق أعمالهم ونياتهم – علماً حضورياً عند إيجادها وهو المسمى بعلم الشهادة وإليه الإشارة بعدة آيات منها قوله: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (الحج/١٨)، وقوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) (فصلت/٥٥).

فَلله علم غيب وهو علمه بالمعدومات قبل إيجادها، أي أنه يعلم بما سيكون قبل أن يكون، وبما سيحدث قبل أن يحدث، وما لا يكون ولا يحدث.

وعلم شهادة وهو علمه بالموجودات عند إيجادها، أي أنه يشاهد ويرى ويبدو له ما وجد وحدث فعلاً، فهو عالم بما كان بالفعل، وبما سيكون في المستقبل بلا اختلافٍ بينهما، إذ إن علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، نعم علمه الغيبي أوسع من علمه المشاهد، لأن علمه الغيبي يشمل ما يكون وما لا يكون، والجدير بالذكر ان علم البداء المختلف فيه – بالنسبة إلى الله تعالى – هو علم الشهادة.

وقد نصّ الله سبحانه على هذين العلمين ووصف نفسه بهما بعشر آيات من القرآن المجيد بكونه "عالم الغيب والشهادة" (٤٣).

ومن تلك الآيات المبحوث عنها بقوله تعالى: (وَسَنُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

ويؤيد ذلك ما رواه شيخنا الصدوق في كتابه (معاني الأخبار)، باب معنى الغيب والشهادة بأسناده عن أبي عبد الله (أي الصادق عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) انه قال: الغيب ما لم يكن، والشهادة ما قد كان (٤٤) قوله (عليه السلام):-

"ما لم يكن" أي ما لم يكن بعد، وما لم يكن أصلاً، "ما قد كان" أي ما قد حدث بالفعل فقط.

وعلى كلِّ فالله سبحانه هو خالقنا ومالكنا ولا يخفى عليه شيء من أعمالنا وسرائرنا وهو المحيط بنا قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) (النساء/١٢٧)، فلكونه محيطاً بكل شيء فهو يرى ويشاهد عباده وأعمالهم ونياتهم ويعلمها بلا حاسة إذ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى/١٢)، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد كما نصت الآية الكريمة: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/١٧).

فقوله تعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ) المراد بذلك كما ذكرنا سابقاً انه سيعلمها موجودة بعلم الشهادة بعد أن علمها وهي معدومة بعلم الغيب، قال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (يونس/١٥).

أما الرسول والمؤمنون فكيف يشاهدون أعمالنا ويرونها وهم قطعاً مخلوقون عاجزون بأنفسهم عن الإحاطة العلمية بأعمال الناس كلها؟ الجواب:-

هو ان الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير هو الذي يُطلعهم على أعمال عباده خيرها وشرها بصورٍ خاصة وطرقٍ عديدة ذكرنا {أولاً} طريق الإلهام.

{ثانياً} ومن تلك الصور والطرق أيضاً هي أن يطلعهم الله على صحائف أعمال عباده، وبواسطتها يرون تلك الأعمال ويعلمونها بكاملها – إلا ما شاء الله منها – ليكونوا بذلك شهداء على الناس يوم القيامة.

### تسجيل الملائكة لأعمال المكلفين ومثاله

وبيان ذلك هو ان كل إنسانٍ - ذكراً وأنثى - منذ يُكَلَّفُ بالعبادة في هذه الحياة الدنيا إلى أن يأتيه أجله النهائي الذي يموت فيه، يوكل الله به حفظةً من ملائكته يسجلون عليه أعماله أفعالاً وأقوالاً، ملك يكون عن يمينه ووظيفته تسجيل الحسنات، وآخر عن شماله ووظيفته تسجيل السيئات وإلى ذلك أشارت عدة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ) (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (ق/١٨)-

(١٩)، وقال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار/١١-١٣)، وقال تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثية/٣٠).

نعم هكذا تسجل الملائكة على الإنسان أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته كافة، في الخير والشر والسر والعلانية كما يسجل الشريط السينمائي الصور والأعمال والأقوال، وكما تسجل (الفيديو) و(التلفزيون) صورة المذيع أو المذيعة وتنقل للمشاهدين لها تلك الصورة كما هي، وهكذا المسجل الذي يسجل الخطب والأقوال في الشريط وتبقى محفوظة فيه تعاد متى شاء الإنسان إعادتها.

### عنوان صحائف الأعمال للمؤمنين

وقطعاً كل إنسان له صحيفته الخاصة به، وفيها اسمه وعنوانه مؤمناً كان أو كافراً محبباً كان أو مبغضاً، ومن هنا ورد مسنداً عن انس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه و آله) انه قال في الحديث الذي رواه الخاص العام:

عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب (٤٥).

فصحائف الأعمال هذه تعرض على رسول الله (صلى الله عليه و آله) أولاً وعلى المؤمنين ثانياً، فيرون تلك الأعمال ثابتة في تلك الصحائف، وهذا ما أشارت إليه الآية المبحوث عنها: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) والمراد من قوله (وَرَسُولُهُ) بالإجماع هو نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) تُعرض عليه أعمال العباد جميعاً في حياته وبعد وفاته إلى يوم القيامة.

أما المراد من قوله (وَالْمُؤْمِنُونَ) فمن هم المؤمنون؟ هل هم كل المؤمنين من الأمة الإسلامية؟ كما يظهر ذلك من أقوال المفسرين من أهل السنة، وقد يُصرح به الكثير منهم (٤٦).

والحال هذا يخالف ظاهر الآية الكريمة، كما يخالف أدلة الوجدان والعيان، إذ أن ظاهر الآية بأطلاق العمل وحذف متعلقة - يدل على عمومها، والمعنى: اعملوا ما شئتم من خير أو شر،

بسرٍ أو علانية، فإنه مشاهد مرئي لله ولرسوله وللمؤمنين.

ويؤيد ظاهر الآية بعموم العمل نص الحديث الذي يرويه المحدثون والمفسرون من أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي يعلى، وابن حبان، والبيهقي(٤٧)، والفخر الرازي، وابن كثير الدمشقي، والسيوطي وغيرهم(٤٨)، عند تفسيرهم الآية المبحوث عنها بالإسناد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: لو أنّ أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كأنما ما كان، أي أي شيء كان عمله فلا بدّ أن يخرج الله عمله للناس وهنا نتساءل هل يمكن ان يكون المراد من الناس في الحديث، ومن المؤمنين في الآية كلّ الناس وجميع المؤمنين، وانهم يشاهدون الأعمال كلّها؟ قطعاً لا، إذ الناس والمؤمنون لا علم لهم بعموم الأعمال، ولا يشاهدونها ولا يطلعهم الله عليها ولا يخرجها لهم، فإذا لا بدّ وأن يكون المراد من الناس والمؤمنون في الآية والرواية بعضهم لا كلهم، فمن أولئك البعض؟

نعم إنما هم شهداء الأعمال، الناطقون الصادقون السابقون إلى الرغائب، المعصومون من الخطأ والزلل والمعائب، المزودون بالعلم من الله عزّ وجلّ، وهم الأئمة من آل محمد(صلى الله عليه و آله) لذلك عطفهم – برويتهم أعمال العباد على رسوله الأعظم، وعطف رسوله – برويته لتلك الأعمال – على ذاته المتعالية ليبين بذلك عظيم مقامهم عنده وانهم خلفاؤه في أرضه وولاته على عبادته وشهداؤه على بريته بعد رسوله(صلى الله عليه و آله) فهذا ما يستفاد من الآية الكريمة.

ويؤيد أيضاً النصوص الكثيرة والصريحة الواردة عن النبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته في ان المراد من المؤمنين في الآية إنما هم علي وأبناؤه المعصومون دون غيرهم(٤٩).

### سبب نزول الآية الكريمة

ومن تلك النصوص الحديث النبوي الذي يذكر سبب نزول الآية، وينقله المجلسي في (البحار) عن كتاب (محاسبة النفس)، للسيد الجليل علي بن طاووس نقلاً عن محمد بن العباس باسناده عن طريق الجمهور عن أبي سعيد الخدري انه قال: ان عماراً قال: يا رسول الله وددت انك عمّرت فينا عمر نوح(عليه السلام) فقال رسول الله(صلى الله عليه و آله) يا عمار

حياتي خير لكم، ووفاتي ليست بشر لكم، أما حياتي فتحدثون واستغفر الله لكم، وأما بعد وفاتي فاتقوا الله واحسنوا الصلاة علي وعلى أهل بيتي فانكم تعرضون علي بأسمائكم وأسماء آبائكم وقبائلكم فان يكن خيراً حمدت الله، وان يكن سوى ذلك استغفر الله لكم" أو قال: استغفر الله لذنوبكم" فقال المنافقون والشكك والذين في قلوبهم مرض: يزعم ان الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم، وإن هذا لهو الأفك، فأنزل الله جل جلاله (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) فقيل له: يا رسول الله ومن المؤمنون؟ فقال: عامة وخاصة، أما الذين قال الله في الآية: (وَالْمُؤْمِنُونَ) فهم آل محمد منهم عليهم السلام، ثم قال: (وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من طاعة ومعصية (٥٠).

### الأوقات التي تعرض فيها صحائف الأعمال

هذا حديث واحد من عشرات الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته في هذا الموضوع، وتدل تلك الأحاديث – بمجموعها – على أن صحائف الأعمال تعرض عليهم في أوقات متعددة، ففي بعضها إنها تعرض عليهم كل يوم صباحاً (٥١).

وفي بعضها كل يوم وليلة وصباحاً ومساءً (٥٢).

وفي بعضها كل خميس (٥٣).

وفي بعضها كل اثنين وخميس (٥٤) أي في الأسبوع مرتين، وفي بعضها عند انتهاء أجل الإنسان (٥٥).

وفي بعضها لا تعين رقماً لعرضها عليهم (٥٦).

والذي يستفاد من مجموعها انها تعرض عليهم في كل هذه الأوقات.

وعلى كل المراد من المؤمنين في الآية، إنما هم الأنمة من آل محمد (صلى الله عليه و آله) خاصة لا عامة المؤمنين، نعم المؤمنون الصالحون المتبعون لله ولرسوله وللأنمة يسألون الله ويطلبون منه ان يجعلهم مع الشهداء من الأنمة الأطهار في الجنة كما أشار إلى هذا القرآن الكريم بقوله تعالى: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (آل

عمران/٥٤).

وقد استجاب الله لهم دعاءهم كما في قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء/٧٠)(٥٧).

ففسأل الله تعالى أن يرحمنا بمحمد وآله صلوات الله عليهم ويرزقنا شفاعتهم ويجعلنا من المهتدين بهداهم انه سميع مجيب.

ولكن لا ادري إذا عرضت عليهم صحائف أعمالنا ماذا يرون فيها؟ هل يرونها مملوءة بالحسنات من العقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، والعبادات الصحيحة، والمعاملات السليمة، أم بالعكس، يرونها سوداء بأنواع المعاصي والسيئات من الكفر، والنفاق، والأخلاق السيئة من الاعتداء والظلم وقول الزور وعبادة النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والطواغيت... الخ.

وقطعاً ان رسول الله(صلى الله عليه و آله) والأئمة(عليهم السلام) إذا رأوا صحائف أعمالنا وفيها الحسنات والأعمال الصالحة والكلام الطيب فإنهم يسرون بذلك، أما إذا رأوها بالعكس فيها أنواع السيئات والمعاصي فإنهم يستأوون بذلك، ومن هنا ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) انه قال لجماعة من أصحابه: ما لكم تسوون رسول الله(صلى الله عليه و آله)؟! فقال له رجل منهم: جعلت فداك فكيف نسووه؟ فقال: أما تعلمون ان أعمالكم تعرض عليه؟ فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسووا رسول الله(صلى الله عليه و آله) وسرّوه(٥٨).

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك فإن يلزم على العاقل المؤمن أن يندم ويتوب إلى الله ويستغفره من جميع ذنوبه ومعاصيه دائماً وأبداً فإن الله يتوب عليه ويغفر له، ويرزقه خير الدنيا والآخرة قال تعالى: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (نوح/١١-١٣)، ورد في الحديث: طوبى لمن وجد في صحيفته تحت كل ذنب استغفار، وورد أيضاً ان التائب من الذنب كمن لا ذنب عليه.

## تبدیل سنیات التائب حسنات

والتائب الحقيقي بتوبة صادقة عن ندمٍ على ما مضى، وعزمٍ على ترك العود إلى ما تاب عنه، يستحق ان يبذل الله سنیاته حسنات كما قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان/٧١).

أما إذا بقي الإنسان مصراً على معاصيه وسنیاته لم يندم ولم يتب حتى ينزل به الموت فإنه يكون حينئذٍ رهين تلك المعاصي والسنیات، وينبئها بها عالم الغيب والشهادة يوم رجوعه إليه عند قبض روحه، وعند الحساب يوم القيامة، كما نصت الآية المبحوث عنها بقوله: (وَسْتُرُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ولا يسع الإنسان يومئذٍ إنكار أعماله السيئة وجحودها لأنه يراها بحقيقتها كليها وجزئها ثابتة عليه منكشفة له قال تعالى: (لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ فَبَصُرْتُمُ الْيَوْمَ حَدِيدًا) (ق/٢٣).

الشهود على الإنسان عند الحساب

هذا من جهة، ومن جهة أخرى انه يشهد عليه - بعد الله تعالى - نبيه وأهل بيته المعصومون (عليهم السلام) بما اقترف من تلك السنیات. كما علمنا فيما مضى.

## من الشهود على الإنسان القرآن الكريم

ومن جهة ثالثة يشهد عليه القرآن الكريم الذي هو الخليفة الأول على الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وقد صرح النبي بذلك في آخر خطبة خطبها على الأنصار حينما حضرته الوفاة وقد أحضرهم عنده في بيته نذكر منها محلّ الشاهد قال (صلى الله عليه و آله):  
كتاب الله وأهل بيتي العمل مع كل واحدٍ منهما مقرون بالآخر إني أرى أن لا افتراق بينهما جميعاً، لو قيس بينهما بشعرة ما إنقاست (٥٩).

من أتى بواحدة وترك الأخرى كان جاحداً للأولى ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، "أي لا يقبل الله منه عملاً لا مستحباً ولا واجباً"، ثم قال: فإن الكتاب هو القرآن، وفيه الحجة والنور والبرهان كلام الله جديد غضّ طري، شاهد عادل محكم، ولنا قائد بحلال الله وحرامه وأحكامه. يقوم غداً فيحاج أقواماً فينزل الله به أقدامهم عن الصراط، واحفظوني معاشر الأنصار في أهل

بيتي فان اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض(٦٠).

ومن جهة رابعة يشهد عليه الملكان اللذان يسجلان عليه أعماله، وإلى هذا يشير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (ق/٢٢)، أي تجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق يسوقها، أي يحثها على السير إلى الحساب، وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وبما شاهده منها، وكتبه عليها، فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلا.

ومن جهة خامسة تشهد عليه أيضاً جوارحه كلها بما اقتترف بها من السيئات قال تعالى في سورة يس: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس/٦٦)، أي تشهد عليه كل من الأيدي والأرجل بما اكتسب بواسطتهما من المعاصي الخاصة بهما.

### أعضاء الإنسان كلها تشهد عليه

ويظهر من مجموع الآيات التي تستعرض هذا الموضوع ان ذكر الأيدي والرجل فقط دون بقية الأعضاء من باب الأنموذج، وإلا فالأعضاء كلها تشهد عليه قال تعالى في سورة الإسراء: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء/٣٧).

ومعنى الآية: لا تتبع ما ليس لك به علم في مجموع تصرفاتك واتجاهاتك عقيدة وعملاً، لأن الله سيسأل السمع والبصر والفؤاد، وهو النفس الإنسانية، عما اعتقدت به من العقائد وقامت به من الأعمال ويسأل السمع هل كان ما سمعه معلوماً مقطوعاً به أنه حق أم لا؟ ويسأل البصر هل كان حقاً بيناً أم لا؟ ويسأل الفؤاد هل كان ما اعتقده وفكر به حقاً لا شك فيه أم لا؟ وهي بدورها لا محالة ستجيب بالحق وتشهد على ما هو الواقع، فإذا شهدت بما أعتقد وعمل من باطل وجهل يكون ماله حينئذ الخسران والعياذ بالله ولا يقبل منه عذر أبداً.

وقال تعالى في سورة النور: (يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور/٢٥)، وقال تعالى في سورة فصلت السجدة: (يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ

يُورَعُونَ(١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ(٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (فصلت/٢٠-٢٤)، وقال إمامنا أمير المؤمنين(عليه السلام) في بعض خطبه يصف فيها هول يوم القيامة: "ختم على الأفواه فلا تكلم، وقد تكلمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتُمون الله حديثاً"(٦١).

فعلينا يا عباد الله أن نتوب إلى الله توبةً نصوحاً، ونسأله أن يهب لنا ما اقترفناه من الذنوب، وما خالفنا به من الحق ونتضرع إليه بما جاء في دعاء كميل بن زياد ونقول:

"إلهي وسيدي فأسألك بالقدرة التي قدرتها وبالقضية التي حتمتها وحكمتها وغلبت من عليه أجريتها أن تهب لي في هذه الليلة وفي هذه الساعة كل جرمٍ أجرمته وكل ذنبٍ أذنبته وكل قبيح أسررتة وكل جهلٍ عملته كتمته أو أعلنته أخفيته أو أظهرته، وكل سينيةٍ أمرت بأثباتها الكرام الكاتبين الذين وكتهم بحفظ ما يكون مني وجعلتهم شهوداً عليّ مع جوارحي وكنيت أنت الرقيب عليّ من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم وبرحمتك أخفيته وبفضلك سترته... الخ".

نعم المؤمن بالمعاد يوم القيامة والحساب والثواب والعقاب، والذي إذا اقترف ما اقترف من الذنوب يستغفر الله ويتوب إليه منها فإن الله يستر عليه ذنوبه ويخفيها حتى على ملكيه، ويؤيد ذلك ما رواه المحدثون ومنهم شيخنا الكليني في الكافي بسنده عن معاوية بن وهب أنه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت كيف يستر عليه؟ قال(عليه السلام): يُنسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ويوحى إلى جوارحه: أكتمي عليه ذنوبه، ويوحى إلى بقاع الأرض: أكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب(٦٢).

**ومن الشهود على الإنسان بقاع الأرض**

قول الإمام الصادق(عليه السلام) في هذا الحديث: ويوحى إلى بقاع الأرض: أكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، يدل بصراحة على أن من الشهود على الإنسان يوم القيامة بقاع الأرض التي يعمل عليها من الحسنات أو السيئات فتشهد له أو عليه، إلا المؤمن التائب من ذنوبه فإنها بوحى من الله تعالى لها تكتم تلك الذنوب فلا تشهد عليه بها.

وقد جاء في حديث آخر عن الإمام الصادق(عليه السلام) أيضاً أن رجلاً سأله فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: بل ههنا وههنا، فإنها تشهد له يوم القيامة(٦٣).  
وشهادة بقاع الأرض على الإنسان يشير إليها القرآن المجيد بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزال)

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة المباركة القيامة، وصدور الناس في يومها للجزاء، بعد تزلزل الأرض، وتعجب الإنسان من ذلك الزلزال المتناهي في الشدة والهول، وانها أي الأرض تحدث يومئذ أخبارها بوحى من الله لها أن تحدث.

يقول المفسرون: أن الأرض تشهد يومئذ على بني آدم وتحدث بما عمل العاملون على ظهرها من أعمال في الخير أو الشر، وتشهد عليهم كما تشهد الأعضاء، وكتاب الأعمال من الملائكة وشهداء الأعمال من البشر وغيرهم.

وروى المفسرون في ذلك عدة أحاديث عن النبي(صلى الله عليه و آله) منها ما روي مسنداً عن أنس بن مالك انه قال: قرأ رسول الله(صلى الله عليه و آله) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) إلى قوله: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) وقال أتدرون ما أخبارها؟ جاءني جبرئيل وقال: خبرها، إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها(٦٤).

وعن ابي هريرة قال: قرأ رسول الله(صلى الله عليه و آله) هذه الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذا أخبارها(٦٥).

وفي حديث آخر ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: تحفظوا من الأرض فانها أمكم،  
وانه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أم شراً إلا وهي مخبرة به (٦٦).

### الإدراك والشعور موجودان في كل مخلوق

والجدير بالذكر الذي يلزم إلفات النظر إليه هو ان المستفاد من ظاهر كلام الله سبحانه في  
موارد عديدة من القرآن المجيد، ومن السنة النبوية الغراء في بعض أحاديثها، أن الإدراك  
والشعور موجودان وساريان في كل مخلوقٍ وان كان ذلك المخلوق جماداً، فإننا وإن كنا في  
غفلةٍ من ذلك، ولا نفقة للجماد إدراكاً وشعوراً لكنهما بالفعل موجودان في الجمادات كافة،  
كما هما موجودان في النبات والحيوان وسائر المخلوقات عامة، نهاية الأمر ان الإدراك  
والشعور في الإنسان أقوى منهما في سائر الحيوان وأبين، وفي سائر الحيوان أقوى منهما  
في النبات وأبين، وفي النبات أقوى منهما في الجماد وأبين، فكل مخلوقٍ أوجده الله أعطاه  
إدراكاً وشعوراً يناسب حاله لا صلاحه، ولعل إلى هذا يشير قوله تعالى حاكياً على لسان  
كليمه موسى في جوابه إلى فرعون لما سأله: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) أجاب (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي  
أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه/٥٠-٥١)، أي أعطى كل شيءٍ هديه بما جعل له من  
الإدراك والشعور كما أعطاه إيجاده أولاً، كما ان جميع المخلوقات – ومنها الجماد – لها نطق  
يناسب حالها حسب اختلاف القوة في الإدراك والشعور، وهذا ما يستفاد من بعض الآيات  
القرآنية وهي كثيرة.

### الآيات الدالة على الإدراك والشعور في كل مخلوق

فمن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)  
والمعنى ان الأرض تحدث يوم القيامة أخبارها، بسبب ان ربك أوحى إليها ان تحدث فهي  
شاعرة ومدركة لما وقع عليها من الأعمال خيرا وشرها، متحملة لها منذ صدر العمل عليها  
في الدنيا، ويؤذن لها يوم القيامة بالوحي أن تحدث أخبارها وتشهد بما تحمّلته.  
ومنها الآيات التي تذكر شهادة أعضاء الإنسان يوم القيامة من الأيدي والأرجل والسمع

والبصر والجلود وغيرها من الأعضاء والتي منها قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ومعنى شهادة الأعضاء هو ذكرها واخبارها بما تحملته في الدنيا من معصية صاحبها فهي إذن شاهدة شهادة أداء لما تحملته عن إدراك وشعور، ولذلك لما يعترض أصحاب تلك الأعضاء المجرمون ويعتبون عليها، كما في قوله تعالى حاكياً عنهم قولهم: (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا) مجيبين (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فظاهر هذا النص القرآني ان شهادة الأعضاء على المجرمين كانت نطقاً حقيقياً عن إدراك وشعور بما تحملته سابقاً أيام الحياة الدنيا، وان الله جل وعلا هو الذي أنطقها والجأها إلى الكشف عما كانت قد تحملته، وانّ النطق ليس مختصاً بالأعضاء فقط بل هو عام شامل لكل شيء، وان السبب الموجب لنطقهم هو الله سبحانه "لذا" قالوا (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ).

وهكذا آيات آخر كثيرة تدل دلالة واضحة على وجود الإدراك والشعور في المخلوقات كافة من نبات وجماد وغيرهما، كقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت السجدة/١٢)، وكقوله تعالى: (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا) (الإسراء/٤٥)، إلى غير ذلك من الآيات الآخر من هذا القبيل، كآية عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال... الخ.

### التحقيق في وجود الإدراك والشعور في كل مخلوق

فان قيل: لو كان غير الإنسان والحيوان، كالنبات والجماد لهما إدراك وشعور لبانت آثارهما؟ وظهر منهما ما يظهر من الإنسان والحيوان من الأعمال والانفعالات الشعورية؟ فالجواب عن ذلك يكون من جهات ثلاث.

الجهة الأولى هي: ان الله سبحانه قد حجب عنا ما أودع فيهما من إدراك وشعور خصوصاً بالنسبة للجمادات، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) فهو جل وعلا يثبت تعميم التسبيح له مع الحمد من كل شيء، أي كما يسبحه تعالى وينزهه كذلك يحمده بالثناء عليه بجميل صفاته وجيل أفعاله بطريقته ولغته من

لسان القال دون لسان الحال، ثم يخبر جل وعلا باننا لا نفقه تسييحهم، أي إنا في غفلة وحجاب عن ذلك التسييح والتحميد له سبحانه فلو لم تكن السموات السبع والأرض، ومن فيهن مدركة وشاعرة بأن لها خالقاً مدبراً غنياً، وهي مفتقرة إلى تدبيره لما سبّحته وحمدته على إيجاده وتدبيره لها.

ومما يؤيد أنّ تسييحها بلسان القال دون لسان الحال ما جاء في دعاء اليوم الثاني عشر من كل شهر الوارد عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في الصحيفة المنسوبة إليه قال: سبحان من تسبّح له الجبال الرواسي بأصواتها تقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان من تسبّح له الأشجار بأصواتها تقول: سبحان الله الملك الحق المبين، سبحان من تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن يقولون: سبحان الله العظيم الحليم الكريم وبحمده... الخ(٦٧).

وقد نقل شيخنا المجلسي في (البحار) عن بعض العارفين انه قال: خلق الله الخلق ليوحدوه فأنطقهم بالتسييح والثناء عليه والسجود، فقال: (أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنُ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج/١٩).

ثم قال هذا العارف: وخاطب الله بهاتين الآيتين نبيه الذي أشهده ذلك فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَى) ولم يقل "ألم تروا" فانا ما رأينا فهو لنا إيمان، ولمحمد(صلى الله عليه و آله) عيان، فاشهده سجد كل شيء وتواضعه لله، وكل من أشهده الله ذلك وأراه دخل تحت هذا الخطاب(٦٨)... الخ.

أقول: ومن دخل تحت هذا الخطاب، وراه الله تسييح المخلوقات وحمدهم له أئمة الهدى من أهل بيته(عليهم السلام) كما أنّ قول هذا العارف: وخاطب الله بهاتين الآيتين نبيه الذي أشهده الله ذلك فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَى) ولم يقل "ألم تروا"... الخ، هو قول صحيح ذلك لأن ما حُجبت رؤيته وفقهه عن سائر الناس يأتي الخطاب - غالباً - خاصاً لنبيه(صلى الله عليه و آله) وأما ما كان مشاهداً لسائر الناس من التسخيرات المادية المرئية فيخاطب بها الناس كلهم، كقوله تعالى في سورة لقمان: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)

(لقمان/٢١)، وكقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (نوح/١٦-١٧).

الجهة الثانية هي ان الله سبحانه إذا شاء أن يُظهر آثار تسبيح وحمد بعض الأشياء له، والدالين على شعورها وإدراكها أظهرهما من باب المعجز لبعض رسله الكرام، وسائر حجه العظام، ومن هنا قد استفاضت الروايات من طرق عديدة من الشيعة وأهل السنة في إظهار الله تسبيح بعض الأشياء للناس وإدراكها وان للأشياء تسبيحاً.

### حنين الجذع، وتسبيح الحصى في كف النبي(صلى الله عليه و آله)

ومن ذلك ما اشتهر من تسبيح الحصى في كف رسول الله(صلى الله عليه و آله) وحنين الجذع الذي كان يخطب مستنداً إليه، فلما اتخذ منبراً وتحول عن الجذع حنَّ الجذع لفراقه له، وسمع حنينه، فأخذه النبي وضمه إليه فسكن حنينه، وجاء إليه رجل وقال له: هل عندك من برهان نعرف به انك رسول الله؟ فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغمات التسبيح من جوفها(٦٩).

وسأل الشيخ أحمد بن المبارك شيخه الشيخ عبد العزيز الدبّاغ عن تسبيح الحصى ونحوه، فقال: إن ذلك كلامها وتسبيحها دائماً، وإنما سأل النبي(صلى الله عليه و آله) ربه ان يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك(٧٠).

وقال شاعر أهل البيت السيد مهدي الأعرجي في مدح النبي وبعض معجزاته:

خير البرية من رقى السبع العلى \*\*\* فوق البراق فحل اشرف موضع  
من كلمته الجامدات كرامة \*\*\* والجذع حن له حنين المرضع  
أوما إلى القمر المنير فشفقة \*\*\* نصفين في أفق السماء الرفع  
لولا ما خلق الوجود ولم تكن \*\*\* شمس ولا قمر يرى في مطلع  
لولا لم يُغفر لآدم ذنبه \*\*\* كلا ولا قد قيل: يا أرض أبلعي  
هو خير مبعوث من المولى أتى \*\*\* للناس بالدين الحنيف الأنصح

## إظهار تسبيح الجبال والطير مع داود (عليه السلام)

ومن هذا القبيل ما جعله الله لنبيه داود (عليه السلام) وذكره الله سبحانه في عدة آيات منها قوله تعالى: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء/ ٨٠). والمعنى كما يقول بعض المفسرين: ان الجبال والطير لهما تسبيح في نفسيهما، وتسخيرهما أن يسبحن مع داود بموافقة تسبيحه، لذا قال تعالى: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ) أي معه حين يسبح، و(الطَّيْرَ) معطوف على الجبال، وقرع تسبيحها وتسبيح داود أسمع الناس معجزةً له.

وهكذا قال تعالى في آية أخرى: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) (سورة ص/ ١٩)، والعشي آخر النهار والإشراق أوله وهو إشراق الشمس، والمعنى ان الله جلّ وعلا جعل تسبيح الجبال في موافقة ومواظاة تسبيحه، وإسماع الناس تسبيحها معاً في الوقتين. وهكذا قال تعالى في آية ثالثة: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَننَّا لَهُ الْخُذْيَةَ) (سبأ/ ١١)، والمعنى ان الله أعطى داود فضلاً منه بأن جعل الجبال تؤوب "أي ترجع وتردد" معه الصوت بالتسبيح.

قال ابن كثير الدمشقي في تفسيره: وما أعطاه ومنحه "أي الله لداود" من الصوت العظيم الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرنحات وتجاوبه بأنواع اللغات (٧١).

## عدم تساوي آثار الإدراك والشعور في المخلوقات

الجهة الثالثة هي أنّ الإدراك والشعور لم يكونا على سنخ واحد حتى تتشابه آثارهما المترشحة منهما وتكون متساوية، بل هما مختلفان باختلاف أربابهما، ولذلك تكون آثارهما مختلفة بحسب خُلقة نوي الشعور والإدراك، كما يقرر ذلك بعض الحكماء مثل الشيرازي حيث يقول في كتابه (الأسفار) في علم الحكمة:

إنّ هذا الوجود كلّ حي، ولا معنى للوجود بغير حياة، وان الحياة على مقدار اشراق أنوار

الوجود الأعلى على المخلوق فلإنسان وللحيوان وللنبات حياة، أي هناك نوعاً من الشعور، وهكذا الجماد له من الشعور أقل، لأنه أفيض عليه من الحي (٧٢).

وعلى كلِّ للنبات وسائر الأنواع الطبيعية المعبر عنها بالجماد آثار عجيبة متقنة ومشهودة في عالمنا هذا مناسبةً لخلقها، مثلاً نرى النبات ينمو في الجبال الصخرية، في حين لا يمكن للنبات ان يخترق الصخور، فالله سبحانه يجعل له من الإدراك والشعور في أن يسير إلى جهات لا تحجبه الصخور من النمو، وإذا علا نبات وكان، فوَقَه حاجب يحجبه من الصعود فهو - قبل أن يصطدم بذلك الحاجب - يشعر أنّ هناك حاجباً سوف يحجبه عن الصعود فيميل عنه قبل اصطدامه به، وأمثال ذلك ما يشاهد في عالم النبات كثير.

وأما الجماد فلا تقصر آثاره عن ذلك ممّا نشاهد في السماء والأرض، والجبال من حدوث حمرة، أو زلزال، أو اضطراب واهتزاز وبركان وعواصف وكل ذلك لا يكون إلا بإذن الله لها، فتحركها وتغيرها بأمر الله الذي له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، والإنسان يشاهد ويرى تلك الآيات الإلهية في العالمين العلوي والسفلي ولا يعتبر بما يرى، قال تعالى: (وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) (يوسف/١٠٦).

### تأثر الكائنات وتغيرها في بعض الحوادث

ومما يدلنا دلالة واضحة على إدراك وشعور سائر الكائنات هو ما يحدث فيها من تأثر وتغير واضح بسبب وقوع بعض الحوادث المهمة وهي كثيرة ومنها.

### الآثار الكونية عند ولادة النبي (صلى الله عليه وآله)

ما حدث من الآثار العجيبة عند ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) في الأفق وفي الجمادات ممّا تواتر واشتهر في التاريخ، وورد عن بعض أئمة الهدى (عليهم السلام) ونكتفي بذكر حديثين واحد عما جاء عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: ان محمداً (صلى الله عليه وآله) لما سقط من بطن أمه سقط واضعاً يده اليسرى على الأرض، رافعاً يده اليمنى

إلى السماء، ويحرك شفّته بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطرخ وما يليها(٧٣).

ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي(صلى الله عليه و آله) حتى فزعت الجن والإنس والشياطين وقالوا: لقد حدث في الأرض حدث، ولقد رأيت "الشياطين" الملائكة ليلة وُلِدَ تصعد وتنزل وتسيح وتقدس وتضطرب النجوم وتتساقط علامات لميلاده(صلى الله عليه و آله) ، ولقد هم إبليس بالضعن إلى السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع فأذاهم قد حجبا من السموات كلها، ورموا بالشهب دلالة لنبوته(صلى الله عليه و آله) (٧٤).

والحديث الثاني جاء مسنداً عن الإمام أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) انه قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السموات السبع، فلما ولد عيسى(عليه السلام) حُجِبَ عن ثلاث سموات، وكان يخترق أربع سموات، فلما ولد رسول الله (صلى الله عليه و آله) حُجِبَ عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكهانة يذكرونه، وقال عمرو بن أمية - وكان من أزجر أهل الجاهلية - أي أكثرهم معرفةً بالكهانة والقيافة، قال: انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء وإن كانت تثبتت ورمي بغيرها فهو أمر قد حدث، وأصبحت الأصنام كلها - صبيحة ولد النبي (صلى الله عليه و آله) - وليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس(٧٥) - في تلك الليلة - إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، أي غار ماؤها وذهب، وفاض وادي السماوة، "وهي فلاة بالبادية تتصل بالشام، فاض الماء فيها" وخدمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان - "وهو فقيه الفرس وحاكم المجوس" في تلك الليلة في المنام - إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً "أي خيلاً كرانماً سالمة" قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم "أي دخلت في بلادهم" وأنقصم طاق كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، "أي ان كسرى كان قد بنى على دجلة بناء (سداً) وطم بعضها فانخرق ذلك البناء (أي السد) ودخلت دجلة عليه"، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سريراً لملك

من ملوك الدنيا إلا وأصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجت عن صاحبها، وعظمت قريش وسموا آل الله عزّ وجلّ، قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام.

وقالت أمنة: إنّ ابني والله سقط فأتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نورٌ أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً، وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه أمنة، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني \*\*\* هذا الغلام الطيب الأردن (٧٦)

قد ساد في الهدى على الغلمان

ثم عوّده بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال الإمام (عليه السلام): وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفرعك يا سيدنا؟ قال: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم (عليه السلام) فأخرجوا وانظروا ما هذا الحدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس: أنا لهذا الأمر ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراّعك لعنك الله، فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له ولد محمد (صلى الله عليه وآله) فقال إبليس: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيت (٧٧).

### حادثة الطف المفجعة، وآثارها في الكون

ومن الحوادث المهمة التي ظهرت فيها التأثيرات الكونية حادثة الطف المفجعة التي قتل فيها الحسين ومن معه من أهل بيته وأصحابه، وسببت عياله وأطفاله.

حيث انقلب العالم بأسره انقلاباً هائلاً، وتأثراً ملحوظاً في العالمين العلوي والسفلي، فبكته

السماء والأرض بكاءً ما بكته على أحدٍ قبله ولا بعده من نبيٍ أو وصي(٧٨).

بل أبكت مصيبتة جميع أنواع المخلوقات من ملك وفلك، وجمادٍ ونبات وسائر الحيوان من أنسٍ وجان، وأثرت فيها أثراً محسوساً مشاهداً لدى أهل ذلك الزمان، وخَلَد لنا التاريخ ذكر الأثر العظيم، وتسالم عليه الفريقان من الخاصة والعامة كخسوف القمر وكسوف الشمس (أي غياب نورهما على غير مجاري العادة الطبيعية) بحيث رؤيت النجوم نهاراً، وكمطر السماء دماً وتراًباً أحمر بحيث بقي أثره في الثياب حتى تقطعت، وكتساقط الكواكب وظهور الحمرة في السماء واسودادها، وكتفجر الأرض دماً عبيطاً بحيث ما رفع حجر منها إلا وخرج تحته دم عبيطاً، وسيلان حيطانها دماً، ونبوع الدم من الشجر، وكنوح الجن وبكانها الذي سمعته أم سلمة وغيرها، إلى غير ذلك من انقلاب الورد - وهو نبات كالسمسم يصبغ به - رماداً واللحم علقماً، وهذا كله قد اتفق الفريقان على وقوعه(٧٩).

ونظمه الأدباء في تابينهم لسيد الشهداء فقال الشيخ صالح التميمي:

وقل بقتيل قد بكته السماء دماً\*\*\* عبيطاً فما قدر الدموع السواجم

وناحت عليه الجن حتى بدا لها\*\*\* حنين تحاكيه رعود الغمام

وقال الشيخ صالح العرندي:

إمام بكته الإنس والجن والسما\*\*\* ووحش الفلا والطير والبر والبحرُ

وهذا بعض ما شوهد - يومئذٍ للناس - وما خفي عليهم أعظم ممّا أوحاه الله العليم الخبير إلى رسوله الصادق الأمين وأخبر به(صلى الله عليه و آله) أهل بيته وغيرهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث المعروف بحديث أم أيمن (رض) وهو حديث طويل أخبر الله به رسوله(صلى الله عليه و آله) على لسان جبرئيل بما يصاب به أهل بيته عامة، وما يصاب به أمير المؤمنين والحسين)عليهما السلام ( خاصة، فجاء في هذا الحديث ان جبرئيل قال للنبي(صلى الله عليه و آله) فيما قال له:

يا محمد إن أخاك "يعني علياً أمير المؤمنين(عليه السلام) " مضطهدٌ بعدك، مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية يكون نظير عاقر الناقة، ببليدٍ تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم ثم قال جبرئيل: وان سبطك هذا - وأوماً بيده إلى

الحسين (عليه السلام) - مقتول في عصابه من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بصفة الفرات بكر بلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربيه ولا تفتنى حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله، وإنها من بطحاء الجنة، ثم قال:

فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السموات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك، واستعظماً لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تكافأ به ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا أستأذن الله عز وجل في نصرته أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك.

فيوحي الله إلى السموات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن "وما فيهن": إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لا أعذب من وتر رسولي وصفي وانتهك حرمة، وقتل عترته، ونبذ عهده، وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضح كل شيء في السموات والأرض بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك... الخ (٨٠).

### من الشهود على بعض الناس الحجر الأسود

ومن الشهود عند الحساب يوم القيامة على بعض الناس الحجر الأسود الذي جاء به آدم من الجنة، فوضعه على أحد أركان البيت الحرام ليستلمه الناس، وهو أول حجر وضع على وجه الأرض، وكان أشدّ بياضاً من الثلج فأسود من خطايا بني آدم (٨١).

وهذا الحجر المقدس يشهد يوم القيامة لكل من وافاه مخلصاً بتوحيد الله عز وجل، أو غير مخلص، وقد جاءت بذلك عدة أحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأظهر (عليهم السلام) نذكر بعضها.

منها ما رواه الصدوق في (علل الشرائع) بسنده عن ابن عباس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلما الركن وبلغا إلى الحجر قال: يا عائشة

لولا ما طبع الله على هذا الحجر من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذ لا تستشفي به من كل عاهة، "إلى أن قال": وان الركن يمين الله تعالى في الأرض وليبعثه الله يوم القيامة وله لسان وشفقان وعينان، ولينطقه الله يوم القيامة بلسان طلق ذلق يشهد لمن استلمه بحق... الخ.

وفي حديث آخر مسند عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): طوفوا بالبيت واستلموا الركن، فإنه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه مصافحة العبيد أو الدخيل، ويشهد لمن استلمه بالموافاة (٨٢).

وفي حديث روته السنن والمسانيد وكتب التاريخ من الفريقين مسنداً عن أبي سعيد الخدري (رض) انه قال: حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبلك ما قبلك.

فقال له علي بن أبي طالب: بلى انه يضر وينفع، قال: بم؟ قال بكتاب الله تبارك وتعالى، قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى (الأعراف/١٧٣).

ثم قال (عليه السلام): خلق الله آدم ومسح على ظهره، "أي قررا روح ذريته"، بأنه الرب وانهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له: افتح فاك، قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال: إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة.

واني أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: يوتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد، فهو يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن (٨٣).

الطريق الثالث من ينابيع علم الأنمة

حديث الملائكة معهم (عليهم السلام)

قال إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكمة، ناظرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة، وعدونا ينتظر السطوة (٨٤).

قول أمير المؤمنين (عليه السلام): نحن شجرة النبوة، يشير إلى حديث الشجرة الشهير والمتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله) (٨٥).

أما قوله (عليه السلام): ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، فيشير بهذه النصوص إلى ما تزودهم به الملائكة عن الله عز وجل، وعن رسوله (صلى الله عليه وآله) من أنواع العلوم والحكم في مخلف الأوقات ومنها عرض الملائكة عليهم (عليهم السلام) صحائف أعمال العباد صباحاً ومساءً وفي الأسبوع مرتين، وعند حضور أجل كل إنسان كما مر.

### عرض الملائكة على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة ما قدر ليلة القدر

ومنها عرض الملائكة على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة كل ليلة قدر ما قدر الله وقوعه في الكون، وما سيلقيه العباد في سنتهم كلها من ليلة قدر أولى إلى ليلة قدر أخرى من كل سنة، من كئي أو جزني، من حق أو باطل، من خير أو شر، مما يحبون أو مما يكرهون، من حياة أو موت، ومن سعة رزق أو ضيق، وهكذا إلى آخر سنتهم من التقديرات الإلهية العامة والخاصة، من أفعاله الحكيمة مباشرة، أو من أفعاله عباده بمشيئته. وكل ذلك لا يقع - أيضاً - إلا في الأجال المقدره لهم بلا تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان فهذه التقديرات الإلهية كافة تهبط بها الملائكة من اللوح وتعرضها على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته أيام حياتهم وبعد وفاتهم وتطلعهم عليها بعد السلام عليهم في كل ليلة قدر.

وهذا ما ذكره الله وأشار إليه في سورة القدر بقوله تعالى: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) وذكره وأشار إليه في سورة الدخان بقوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (٤) (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الدخان/٥-٧) (٨٦).

على من تنزل التقديرات في ليلة القدر؟ ولمن ترسل؟

والملاحظ هنا هو ان الآيات المباركات من سورتي القدر والدخان صريحة بأن الله ينزل الملائكة والروح بتقديرات السنة، ويرسلها بأذنه وأمره في ليلة القدر وعلى ذلك إجماع المسلمين أجمعين.

ولكن السؤال هنا على من تنزل تلك التقديرات؟ ولمن ترسل؟ هذا التساؤل قد يجيب عنه القرآن الكريم في بعض آياته بصورة إجمالية مثل قوله تعالى: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (النحل/٣)، والمراد (مِنْ عِبَادِهِ) هم المخلصون منهم فقط، لا كل العباد، ولكن الجواب عن هذا التساؤل بصورة واضحة جلية تجيب عنه الأحاديث الشريفة المروية والثابتة عن النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الأطهار وهي كثيرة وإليك بعضها.

### الأحاديث الشريفة التي تجيب على هذا التساؤل

روى الثقات من العلماء كالصدوق في كتابيه (الخصال) و(إكمال الدين) والشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) مسنداً عن أبي جعفر الثاني، أي الإمام محمد الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول لأصحابه: آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي بن أبي طالب وولده الأحد عشر من بعدي (٨٧).

وروى الصدوق في (الخصال)، وفي (إكمال الدين) والكليني في (الكافي) بأسانيدهم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) ان أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لأبن عباس:-

ان ليلة القدر في كل سنة، وانه يتنزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صليبي أئمة مُحَدَّثُونَ (٨٨) أي تحدّثهم الملائكة.

وروى القمي في تفسيره، ومحمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) بسنديهما عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) وأبي الحسن (عليه

السلام) ، ومن طريق آخر عن أبي المهاجر عن أبي جعفر انه قال: يا أبا المهاجر لا تخفى علينا ليلة القدر، ان الملائكة يطوفون بنا فيها(٨٩).

وروى القمي بسنده في تفسير قول الله تعالى:(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) (المعارج/٥)، عن أبي الحسن انه قال:(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) في صبح ليلة القدر من عند النبي والوصي(٩٠).

وروى الصدوق في (معاني الأخبار) بسنده عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) انه قال: قال لي رسول الله(صلى الله عليه و آله): يا علي أتدري ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا يا رسول الله، فقال(صلى الله عليه و آله): ان الله تبارك وتعالى قد قدر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدر عزَّ وجلَّ ولايتك وولاية الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة(٩١).

والمراد من هذا التقدير للولاية – التقدير الشرعي -.

وروى الصدوق في (معاني الأخبار) بسنده عن المفضل بن عمر قال: دُكر عند أبي عبد الله(عليه السلام) (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فقال: ما أبين فضلها على السور، قال: قلت: وأي شيء فضلها على السور؟ قال: نزلت ولاية أمير المؤمنين فيها، قلت: في ليلة القدر التي نرتجيبها في شهر رمضان؟ قال: نعم هي ليلة قدرت فيها السموات والأرض، وقدرت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها(٩٢).

وروى محمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) بسنده عن بُريدة (رض) انه قال: كنت جالساً مع رسول الله(صلى الله عليه و آله) وعلي معه، إذ قال: يا علي ألم أشهدك معي في سبعة مواطن: المواطن الخامس: ليلة القدر خصنا ببركتها ليست لغيرنا(٩٣).

وروى الصفار أيضاً في (بصائر الدرجات) بسنده عن داود بن فرقد قال: سألته – أي الإمام الصادق(عليه السلام) – عن قول الله عزَّ وجلَّ:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) قال: نزل فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من موت أو مولود، قلت له: إلى من؟ فقال: إلى من عسى أن يكون؟ ان الناس في تلك الليلة في صلاة ودعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تنزل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها، من كل أمر سلام هي إلى أن يطلع الفجر(٩٤).

وروى الشيخ الطوسي في (أماليه)، والمفيد في (مجالسه)، وأبو جعفر الطبري الإمامي في (بشارة المصطفى) وعلي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة)، والشيخ حسن بن سليمان في (المختصر) وغيرهم بأسانيدهم عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفر من الشيعة، وكنت فيهم فجعل - الحارث - يتّيد، أي يتثبت ويتأني، في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنته، أي يضرب الأرض بعصاه، وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت له منزلة منه، فقال له: كيف تجدك يا حارث؟ قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين، وزادني أواراً وغليلة، أي حرارة في الحزن، اختصام أصحابك ببابك، قال: وفيم خصومتهم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك فمن مفرطٍ غالٍ، ومقتصدٍ قالٍ، أي مبعضٍ لعدوك، ومن مترددٍ مراتب لا يدري أيقدم أو يحجم، قال: فحسبك يا أبا همدان ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط (٩٥).

إيهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، قال: لو كشفت - فذاك أبي وأمي - الرين عن قلوبنا - أي الشك من نفوسنا - وجعلتنا في ذلك على بصيرة من امرنا، قال: فذاك، فأنك أمرؤ ملبوس عليك، فإن دين الله لا يعرف بالرجال بل بأية الحق، فأعرف الحق تعرف أهله، يا حارث ان الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، أي المتكلم به جهاراً مجاهد، وبالحق أخبرك فارعني سمعك، أي أصغ لمقالي، ثم خبر به من كانت له حصافة من أصحابك، وفي نص: من كانت له حصانة (٩٦).

ألا أني عبد الله، وأخو رسوله، وصديقه الأول، قد صدقته وآدم بين الروح والجسد، ثم أني صديقه الأول في أمتكم حقاً، فنحن الآخرون، ألا وأنا خاصته.

يا حارث وخالصته، وصنوه ووصيه، ووليه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأيدت - أو قال: أمددت - بليلة القدر نفلأ - أي زيادة على ما أعطيت من الفضائل والكرائم، وإن ذلك ليجري لي ومن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها... الخ (٩٧).

وروى الصفار في (بصائر الدرجات) بسنده عن محمد بن عمران عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ان الناس يقولون: ان ليلة النصف من شعبان تكتب فيها الآجال،

وتقسّم فيها الأرزاق، وتخرج صكاك الحاج، فقال: ما عندنا في هذا شيء، ولكن إذا كانت ليلة تسع عشر من شهر رمضان تكتب فيها الآجال، وتقسّم فيها الأرزاق، وتخرج صكاك الحاج، ويطلع الله على خلقه - أي ينظر إليهم ويشاهد حالهم - فلا يبقى مؤمن إلا غفر له إلا شارب الخمر.

فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين (فيها يفرق كل أمر حكيم) أمضاه ثم أنهاه، قال الراوي: قلت: إلى من جعلت فداك؟ فقال: إلى صاحبكم وعني بذلك نفسه (عليه السلام)، ولولا ذلك لم يعلم ما يكون في تلك السنة (٩٨).

وقوله (عليه السلام) ولولا ذلك لم يعلم... الخ، يشير بذلك إلى ان العلم بالأقدار الآتية إنما يعلمها أي الإمام من هذا الطريق المستند إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخيراً إلى الله عزّ وجلّ، ولولاه لم يعلم.

ومن هنا نعم انه لا يعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ أو من يعلمه الله، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) (الجن/٢٧-٢٩).

وروى الصفار أيضاً في (بصائر الدرجات) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال: قال علي (عليه السلام) في صبح أول ليلة القدر التي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله): فاسألوني فوالله لأخبرنكم بما يكون إلى ثلاثمائة وستين يوماً من الذر فما دونه وما فوقه، ثم لا أخبركم بشيء من ذلك بتكلف، ولا برأي، ولا بادعاء في علم إلا من علم الله وتعليمه، والله لا يسألني أهل التوراة، ولا أهل الإنجيل، ولا أهل الزبور إلا فرقت بين أهل كل كتاب بحكم ما في كتابهم... الخ (٩٩).

وهذا الحديث يؤيد ما قلناه من ان علم الإمام إنما هو بتعليم من الله عزّ وجلّ. وروى الكليني في (الكافي) عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) انه قال في وصيته لشيعته: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) تفلحوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا.

يا معشر الشيعة خاصموا بـ(حم) (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي نَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) فَإِنهَا لَوْلَا الأَمْرُ خَاصَّةٌ بَعْدَ رِسْوَلِ اللّهِ (صلى الله عليه و آله).  
يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر/٢٥)، قيل: يا أبا جعفر نذيرها محمد(صلى الله عليه و آله) قال: صدقت، فهل كان نذيرٌ وهو حي من البعثة في أقطار الأرض؟ فقال السائل: لا، قال أبو جعفر(عليه السلام): رأيت بعثته – أي الذي يبعثه رسول الله(صلى الله عليه و آله) إلى قومٍ \_ أليس نذيره كما أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) في بعثته من الله عزّ وجلّ نذيره؟ فقال السائل: بلى، قال: فكذلك لم يمت محمد(صلى الله عليه و آله) إلا وله بعث نذير، ثم قال الإمام(عليه السلام): فإن قلت لا، فقد ضيع رسول الله(صلى الله عليه و آله) من في أصلاب الرجال من أمته... الخ(١٠٠).

### كشف الأحاديث عن حقائق ثابتة عند الجميع

تكشف لنا هذه الأحاديث الشريفة – وهي اثني عشر حديثاً – عن حقائق عديدة وثابتة عند الجميع منها:

#### ١- استمرار ليلة القدر في كل سنة

أولاً ان ليلة القدر مستمرة – في الأجيال كلها – إلى يوم القيامة وهذا ما دلّ عليه النص القرآني وهو قوله تعالى: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) وقوله: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فقوله (تَنْزَلُ) وقوله (يُفْرَقُ) بصيغة المضارع يدل على الاستمرار لا على الماضي فقط، كما أنّ استمرارها جاء في أحاديث صريحة عن النبي(صلى الله عليه و آله) الصادق الأمين، وأهل بيته الأطهار وأصحابه الكرام، والتابعين لهم من طرقٍ عديدة، ويقول جمهور المسلمين: انها باقية في كل سنة، ويحتفلون بها كل عام كما هو معلوم، ويصرح به علماءهم، وتنص عليه أحاديثهم(١٠١).

#### ٢- فيها تنزل الملائكة على النبي(صلى الله عليه و آله) والأئمة الاثني عشر

ثانياً ان كل ليلة قدرٍ (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) على النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار الاثنى عشر بعده واحداً بعد واحد، أيام حياتهم وبعد مماتهم وآخرهم مهدي آل محمد (صلى الله عليه و آله) الموجود في الجماعة الإسلامية وبينها وان كان غائباً عن الأبصار، وأنهم هم ولاة الأمر الذين عناهم الله تعالى بقوله: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء/٦٠)، حيث قرن جل وعلا إطاعتهم بإطاعة الرسول (صلى الله عليه و آله) كما قرن الزكاة بالصلاة، ومعنى هذا الاقتران ان منزلتهم - عند الله عزّ وجلّ - كمنزلة الرسول في العصمة ووجوب الإطاعة إلا أنهم ليسوا أنبياء بعده كما هو معلوم من قول الله عزّ وجلّ: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب/٤١)، ومن قول النبي (صلى الله عليه و آله): {علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي} (١٠٢).

وجعل جل وعلا أيضاً إطاعتهم - المقرونة بإطاعة الرسول - في آية أولي الأمر مطلقة غير مقيدة بقيد أو شرط، وهذا يدل على عصمتهم وعظيم مقامهم عنده تعالى.

### ٣- الأئمة محدثون وليسوا بأنبياء

ثالثاً ان الملائكة الذين يتنزلون في ليلة القدر يحدثون النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار من أهل بيته ويعلمونهم بما قدر الله المتعال لعباده في سنتهم، فهم محدثون أي تحدثهم الملائكة وليسوا بأنبياء.

وهنا قد يتساءل ويقال: وهل تحدث الملائكة غير الأنبياء؟ الجواب: نعم، انّ الملائكة تحدث الأنبياء وغير الأنبياء ممن شاء من عباده كما هو صريح في نصوص القرآن المجيد، وإليك بعضهم.

### المحدثون، وليسوا بأنبياء من الرجال والنساء

فهذه مريم بنت عمران (عليها السلام) كانت محدثة ولم تكن نبيّة، يقول عز من قائل: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) يا مريم

اِقْتَنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاَكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران/٤٢-٤٨).

وهذه سارة زوجة إبراهيم الخليل كانت محدثة ولم تكن نبيهة يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فضحكت فبشرنها بإسحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْغِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (هود/٧٠-٧٤).

وهذه أم موسى بن عمران وأسمها (بوخايد) على الأشهر كانت محدثة ولم تكن نبيهة يقول الله سبحانه: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذْ وَجَدَتْهُ فَارْتَضَىٰ لَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص/٨).

وهذه سيدتهن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت محدثة ولم تكن نبيهة كما جاء في الحديث المسند عن محمد بن عيسى بن زيد بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنما سميت فاطمة محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم وتقول لها: يا فاطمة ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: ان مريم كانت سيدة نساء عالمها، وان الله جعلك سيدة نساء الأولين والآخرين (١٠٣).

أما المحدثون من الرجال فهم كثيرون ومنهم ذو القرنين الذي ذكر الله سبحانه وتعالى قصته في سورة الكهف يقول: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا) (الكهف/٨٤-٨٦).

ومن المحدثين من الرجال أيضاً لقمان الحكيم (عليه السلام) الذي سَمِيَ اللهُ سبحانه وتعالى سورة من سور القرآن المجيد بإسمه، ونصَّ فيها على إعطائه الحكمة بقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان/ ١٣).

ومن المحدثين من الرجال يوشع بن نون (عليه السلام) وهو وصي كليم الله موسى بن عمران وخليفته من بعده، وهو الذي عبر عنه القرآن بفتى موسى حيث قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (الكهف/ ٦١).

وهكذا آصف بن برخيا وهو وصي سليمان بن داود (عليه السلام) وهو الذي ذكره الله سبحانه عند استعراض قصة سليمان مع بلقيس وإتيان عرشها بقوله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) (النمل/ ٤١).

فهؤلاء كانوا محدثين ولم يكونوا أنبياء ومن هنا جاء في حديثٍ مسندٍ عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر (أي الإمام الباقر (عليه السلام)) إِنَّ عَلِيًّا كَانَ مُحَدَّثًا، قَالَ فخرجت إلى أصحابي فقلت لهم، جنتكم بعجبية، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: كان علي (عليه السلام) محدثًا، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته مَنْ كان يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت: إني حدثت أصحابي بما حدثتني به، فقالوا: ما صنعت شيئاً إلا سألته مَنْ كان يحدثه؟ فقال لي: يحدثه ملك، قلت: تقول: انه نبي؟ قال: فحرك الإمام يده هكذا - أي أنه (عليه السلام) نفى بيده أن يكون نبياً، ثم قال: أو كصاحب سليمان، أو صاحب موسى، أو كذي القرنين، أو ما بلغكم انه (عليه السلام) قال: وفيكم مثله (١٠٤).

### الملائكة تحدّث المؤمنين وغير المؤمنين عند حضور آجالهم

بل يرشدنا القرآن الكريم إلى ان كلَّ محتضرٍ من الناس من المؤمنين، بل وغير المؤمنين قد تحدّثه الملائكة عند حضور أجله وقبض روحه، كما جاء هذا صريحاً في عدة آيات من القرآن المجيد.

أما بالنسبة إلى المؤمنين فيقول عز من قائل: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزْلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (فصلت/٣١-٣٣)، ويقول تبارك وتعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل/٣٣)، وقال جلَّتْ عِزَّتُهُ مَخَاطَبًا رُوحِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قَبْضِهَا: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر/٢٨-٣١).

هذا بالنسبة إلى المؤمن، وأما بالنسبة لغير المؤمن فإن الملائكة أيضاً تحدثهم عند قبض أرواحهم، وتبشرهم بالنار يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِمَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء/٩٨)، وقال تعالى أيضاً: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) فتجيبهم الملائكة - (يَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) (النحل/٢٩-٣٠).

فمختلف الملائكة وحديثهم مع الأئمة الأطهار بعد النبي (صلى الله عليه وآله) أمر ممكن ولا مانع منه بحكم الأدلة الخاصة والعامة قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (النساء/٥٥)، وقال تعالى: (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا) (النساء/٧١).

**الطريق الرابع من ينابيع علم الأئمة (عليهم السلام)**

**الورثة من السابق إلى الألاحق**

قال عز من قائل: (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر/٣٢-٣٣).

من الذين اصطفاهم الله؟ وسبقوا غيرهم بالخيرات؟

الخطاب في هاتين الآيتين الكريمتين من الله عزَّ وجلَّ إلى النبي(صلى الله عليه و آله) يخبره - مؤكداً له - ان الكتاب الذي أوحاه الله إليه - وهو القرآن - هو الحق الذي لا يشوبه باطل مطلقاً، ويوضح ذلك قوله تعالى في سورة فصلت: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت/٤٢-٤٣).

فهذا الكتاب الذي هو الحق جاء(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي مصدقاً للكتب الإلهية التي أنزلها الله قبله من صحف وتوراة وإنجيل وزبور، وان الله بعباده لخبير بصير، أي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لخبرته بهم، وإبصاره لأعمالهم عند صدورها منهم.

ثم يقول الخبير البصير سبحانه في الآية الثانية: (تَمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) أي هذا الكتاب هو الحق أورثناه الذين اصطفينا من عبادنا، أي تركناه فيهم يقومون بأمره بعد النبي(صلى الله عليه و آله) من بعد ما كان هو (صلى الله عليه و آله) القائم بأمره، المتصرف فيه، والداعي إليه، والارث كما يكون للمال المادي كذلك يكون للعلم والجاه وسائر الأمور المادية والمعنوية، وعلى هذا يكون إیراث هذا الكتاب - في خصوص هذه الآية الكريمة - إیراثاً عاماً لكل ما في هذا الكتاب من أنواع العلوم والمعارف للذين اصطفاهم الله من عباده بعد رسوله(صلى الله عليه و آله) لا مجرد الكتاب المجموع ما بين الدفتين بل هو، وما يحتوي عليه الكتاب من علوم ومعارف مطلقاً.

والاصطفاء معناه أخذ صفوة الشيء، ويقرب معنى الاصطفاء من معنى الاختيار، ولكن الفرق بينهما ان الاختيار أخذ الشيء من بين الأشياء بما انه خيرها، أما الاصطفاء فمعناه أخذه من بينها بما أنه صفوتها وخالصتها وعلى هذا يكون الاصطفاء أبلغ من الاختيار، ولذلك يجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح، لأنه سبحانه لا يصطفى إلا من كان كذلك، بحيث يكون ظاهرهم مثل باطنهم في الطهارة والعصمة سواء كانوا أنبياء أو أئمة أو غيرهم ممن عصمهم الله واختارهم.

أما المراد من هؤلاء الذين اصطفاهم الله - في هذه الآية الكريمة - وأورثهم الكتاب من هم؟ ففيه اختلاف بين المفسرين، وأشهر أقوالهم أربعة:

أولاً:- قيل: هم أمة محمد(صلى الله عليه و آله) بحجة أورثوا القرآن من نبيهم إليه يرجعون، وبه ينتفعون، علماؤهم بلا واسطة وغيرهم بواسطتهم.

ثانياً:- وقيل: هم العلماء من الأمة باعتبار ان العلماء ورثة الأنبياء.

ثالثاً:- وقيل: انهم ذرية النبي(صلى الله عليه و آله) من أولاد فاطمة وان الآية نازلة فيهم، ووردت في هذا القول أحاديث عن بعض أئمة الهدى.

رابعاً:- القول المأثور عن الصادقين - بتواتر قطعي - ان المقصود من الذين اصطفاهم الله - في هذه الآية - إنما هم الأئمة الاثنى عشر من آل محمد(صلى الله عليه و آله) ، وفيهم نزلت الآية الكريمة(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا).

فهذه أربعة أقوال في المراد من الذين اصطفاهم الله وأورثهم الكتاب.

### التحقيق في من اصطفاهم الله، وأورثهم الكتاب؟

القول الأول إنهم الأمة كلها، والثاني علماؤهم كلهم، وهذان القولان من جهة لا نصَّ فيهما عن النبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الطاهرين سوى إدعاء بعض المفسرين فقط، والإدعاء بلا دليل لا حجة فيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى انهما يخالفان نصوص الآيتين والآيات التي بعدهما التي نصّت على دخول - من نزلت بهم الآيات - جنّات عدن، ووصفت النعيم المقيم الذي سيلقونه فيها...الخ.

وهذا قطعاً لا يكون للأمة الإسلامية كلها ولا لعلمانها كلهم، وفيهم من فيهم ممن يعلم ولا يعمل ويتبع هوى نفسه الأمانة بالسوء وما أكثرهم.

أما القول الثالث وهو أنهم ذرية النبي(صلى الله عليه و آله) من فاطمة، فيراد بهم المؤمنون من ذريتها الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، لا من دعا إلى نفسه، أو سلّ سيفه عليهم(١٠٥).

بغياً فانه خارج بالدليل، فهذه الذرية المؤمنة يمكن نسبة الاصطفاء، والوراثة إليهم من باب نسبة البعض إلى الكل، ويكون هذا كقوله تعالى:(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ(٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (المؤمن/٥٤-٥٥)، فبنوا إسرائيل - بنص هذه الآية - أورثوا الكتاب، ولكن المؤدّون حقه، والعارفون القانمون به بعضهم، وهم الذين اصطفاهم الله من الأنبياء والأوصياء منهم لا جميعهم فكذلك هذه الآية - المبحوث عنها -

إيراث الكتاب فيها - وهو القرآن - وان نسب في الأخبار - إلى ذرية النبي ولكن المقصود الأئمة الاثنى عشر منهم (عليهم السلام) إذ هم القائمون العارفون به، والمؤدون حقه، واصطفاهم من بين البرية على البرية.  
ومن هنا نعلم ان الحق والحقيقة - في المقصود - من الاصطفاء والوراثة والسبق بالخيرات إنما هم الأئمة الطاهرون فقط دون غيرهم.

### الإشارة إلى محاجة الإمام الرضا (عليه السلام) حول الآية

وللإمام الرضا (عليه السلام) حول هذه الآية الكريمة - محاجة طويلة مع جماعة من علماء أهل العراق وخراسان في مجلس من مجالس المأمون العباسي، وأثبت الإمام (عليه السلام) ان الذين اصطفاهم الله وأورثهم الكتاب وسبقوا غيرهم بالخيرات إنما هم عترة النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته من بعده، أثبت ذلك بالعشرات من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، مع دليل العقل والمنطق الحاسم بحيث اعترف - بعد تلك المحاجة - المأمون والعلماء جميعاً بواقعها، وقالوا للإمام: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيراً، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتمه علينا إلا عندكم (١٠٦).

أما قوله تعالى في الآية الكريمة: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) هنا يحتمل ان يكون ضمير (منهم) راجعاً إلى قوله تعالى (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) فتكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد بالخيرات شركاء في الوراثة والاصطفاء، وإن كان الوارث الحقيقي والمصطفى هو العالم بالكتاب والحافظ له، وهو السابق بالخيرات والمصطفى، وقد مر بيان ذلك.

ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى قوله تعالى (مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمّا ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) وأن هذه الذرية منهم الظالم لنفسه وهو الذي لم يعرف حق الإمام، ومنهم المقتصد الذي عرف حق الإمام، ومنهم السابق بالخيرات وهو الإمام نفسه.

وأما المراد من (عِبَادِنَا) مجموع الأمة الإسلامية، وقد اختار هذا القول السيد المرتضى، وإن منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات، وهم الاثنى عشر كما علمنا

مما مضى، ولا يبعد صحة هذا القول.

وقد ذكر الله تعالى هذه الأقسام في سورة الواقعة بقوله تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) (الواقعة/٨-١٥).

وخلاصة الآية الكريمة - لمن تدبرها - ان إیراث الكتاب - وهو القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء، وما فرط الله فيه من شيء - كله بتفسيره تنزيلاً وتأويلاً وسائر معارفه وعلومه كان لمن اصطفاهم الله واختارهم من بين عباده، وان العباد منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات بأذن الله إذناً تكوينياً، أي بالفعل كانوا هم السابقين لغيرهم من العباد بكل فضل وفضيلة، وإذناً تشريعياً، أي شرع الله لهم السبق على غيرهم، وإن هذا الإیراث والاصطفاء والسبق هو الفضل الكبير من الله لهم.

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (١٠٧).

### الموارد العلمية التي ورثها الأئمة عن النبي (صلى الله عليه و آله)

١- علمنا مما سبق ان أول علمٍ ورثوه عن النبي (صلى الله عليه و آله) هو العلم الإلهامي الذي هو أساس علومهم كلها كما مرّ تفصيلاً، أي انهم لا يلهمون شيئاً من العلم إلا بعد ما ألهم به النبي (صلى الله عليه و آله) ويعلم به، ثم يلهم به كل واحدٍ منهم سواء أيام حياتهم أو بعد وفاتهم، حتى لا يكون اللاحق أعلم من السابق.

٢- علم صحائف الأعمال للعباد أيضاً تعرض على السابق منهم ثم اللاحق.

٣- علم المقدرات في ليلة القدر الى ليلة القدر الثانية تعرض على السابق قبل اللاحق وهم جراً.

٤- ورثوا القرآن بأنواع علومه ومعارفه تنزيلاً وتأويلاً، كما قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا).

## أول الوارثين المصطفين علي أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأول الذين اصطفاهم بعد نبيه، وأورثهم علوم الكتاب هو نفس النبي (صلى الله عليه و آله) بحكم آية المباهلة (١٠٨)، وأخوه بحكم المواخاة قبل الهجرة وبعدها (١٠٩)، وزوج سيدة نساء العالمين التي زوجها الله سبحانه بها، وأشهد على زواجه ملائكته (١١٠)، وربيبه الذي وضعه في حجره وهو وليد، يضمه إلى صدره، ويكفئه في فراشه، ويمضغ الشيء ثم يلقمه إياه (١١١)، وباب مدينة علمه بنص النبي الصادق الأمين (صلى الله عليه و آله) وهو علي أمير المؤمنين (عليه السلام) (١١٢).

## علمه (عليه السلام) بالقرآن، وقوله: سلوني قبل أن تفقدوني

ومن هنا كان (عليه السلام) طالما يرقى المنبر - أيام خلافته - ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، ومن ذلك ما قاله (عليه السلام) لما بُوع بالخلافة: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقتني رسول الله زقاً زقاً، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثبتت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كان إلى يوم القيامة وهي هذه الآية (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد/٤٠).

ثم قال (عليه السلام) سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم... الخ (١١٣).

## حديث مهم له (عليه السلام) حدث به سُلَيْم الهلالي

عن سُلَيْم بن قيس قال: قلت لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين إني سمعت من سلمان، والمقداد، وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) ثم سمعت منك تصديق ما سمعته منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) تخالف الذي سمعته منكم، وأنتم تزعمون أن ذلك باطل، أفترى يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين؟ ويفسرون القرآن برأيهم؟ قال: فأقبل علي (عليه السلام) فقال لي:

يا سُلَيْم سألت فأفهم الجواب:

ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعماماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده، حتى قام خطيباً فقال:

أيها الناس قد كثرت الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذِبَ عليه من بعده حتى توفي رحمة الله على نبي الرحمة وصلى الله عليه وآله.

## تقسيم المحدثين عن النبي إلى أربعة أقسام

وإنما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس، (رجل) منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأتم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمداً، فلو علم المسلمون انه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صاحب رسول الله. وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصفهم فقال الله عز وجل: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) (المنافقون/٥)، ثم بقوا بعده وتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك، والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أول الأربعة. و(رجل) سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يحفظه على وجهه، ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً، وهو في يده يرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) و

آله) فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوا، ولو علم هو انه وهم لرفضه.

و(رجل) ثالث سمع رسول الله(صلى الله عليه و آله) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون انه منسوخ لرفضوه.

و(رجل) رابع لم يكذب على الله، ولا على رسول الله بغضاً للكذب وتخوفاً من الله وتعظيماً لرسوله(صلى الله عليه و آله) ولم يوهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص، وحفظ الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، وإن أمر رسول الله(صلى الله عليه و آله) ونهيه مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وعامّ وخاص، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله(صلى الله عليه و آله) الكلام له وجهان كلام خاص، وكلام عام مثل القرآن يسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، وما عنى به رسول الله(صلى الله عليه و آله).

وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يسأله فيهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى ان كانوا يحبون ان يجيئ الطارئ، والأعرابي فيسأل رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى يسمعوا منه، وكنت أدخل على رسول الله(صلى الله عليه و آله) كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله(صلى الله عليه و آله) انه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري، وربما كان ذلك في منزلي فإذا دخلت عليه في بعض منازل خلا بي وأقام نساءه فلم يُبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم يُقم من عندنا لا فاطمة ولا أحداً من ابني، وإذا سألته أجابني، وإذا سكت أو نفذت مسألتي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتّها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها وأملاه عليّ فكتبتّه، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، أو أمرٍ ونهي، أو طاعةٍ ومعصية، ما كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمنيه وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً، وفهماً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى، فقلت له ذات يوم: يا نبي الله إنك منذ يوم دعوت الله لي لم أنس شيئاً مما علمتني، فلم تملئني عليّ وتأمرنني بكتابتته؟

أَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ؟ فَقَالَ: لَا يَا أَخِي لَسْتُ أَخُوفُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ، وَلَا الْجَهْلَ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي  
اللَّهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِيكَ وَفِي شُرَكَائِكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مِن بَعْدِكَ.

قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَنْ شُرَكَائِي؟ قَالَ الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ، وَبِي مَعَهُ، الَّذِينَ قَالَ فِي حَقِّهِمْ (يَا  
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء/٦٠)، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ  
اللَّهُ وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ حَوْضِي، كُلُّهُمْ هَادٍ مَهْتَدٍ لَا يَضُرُّهُمْ كَيْدُ مَنْ  
كَادَهُمْ، وَلَا خُدْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، هُمْ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ مَعَهُمْ لَا يَفَارِقُهُمْ، بِهِمْ يَنْصُرُ اللَّهُ أُمَّتِي،  
وَبِهِمْ يُمَطِّرُونَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ بِمَسْتَجَابِ دَعْوَتِهِمْ.

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمَّهِمْ لِي؟ فَقَالَ: ابْنِي هَذَا – وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ الْحَسَنِ – ثُمَّ ابْنِي هَذَا  
– وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ الْحُسَيْنِ – ثُمَّ ابْنِ ابْنِي هَذَا – وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ الْحُسَيْنِ أَيْضًا  
– وَهُوَ "عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ" ثُمَّ ابْنٌ لَهُ أُسْمِي اسْمَهُ مُحَمَّدٌ بَاقِرٌ عِلْمِي وَخَازِنُ وَحْيِ اللَّهِ،  
وَسَيُولَدُ عَلَيَّ فِي حَيَاتِكَ يَا أَخِي فَأَقْرُنْهُ مِنِّي السَّلَامَ، ثُمَّ أَقْبَلْ عَلَيَّ الْحُسَيْنِ وَقَالَ لَهُ: سَيُولَدُ لَكَ  
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حَيَاتِكَ فَأَقْرُنْهُ مِنِّي السَّلَامَ، ثُمَّ تَكْمَلَةُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا مِنْ وَلَدِكَ يَا أَخِي،  
فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ سَمَّهِمْ لِي فَسَمَّاهُمْ لِي رَجُلًا رَجُلًا، مِنْهُمْ وَاللَّهِ – يَا بَنِي هَلَالٍ – مَهْدِي هَذِهِ  
الْأُمَّةَ يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُ جَمِيعَ مَنْ يَبِيعُهُ بَيْنَ  
الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَأَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْجَمِيعِ وَقِبَائِلَهُمْ.

قَالَ سُلَيْمٌ: ثُمَّ لَقِيتُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ (بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) عَلَيْهِ  
السَّلَامَ) فَحَدَّثْتُهُمَا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِيهِمَا فَقَالَا: صَدَقْتَ، قَدْ حَدَّثَكَ أَبُوْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَنَحْنُ  
جُلُوسٌ، وَقَدْ حَفِظْنَا ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَمَا حَدَّثَكَ أَبُوْنَا سِوَاءَ لَمْ يَزِدْ  
وَلَمْ يَنْقُصْ.

قَالَ سُلَيْمٌ: ثُمَّ لَقِيتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامَ) وَعِنْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامَ)  
فَحَدَّثْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَمَا سَمِعْتُ مِنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامَ) فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ  
الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامَ): قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامَ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ) السَّلَامَ وَهُوَ مَرِيضٌ وَأَنَا صَبِيٌّ، ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدُ (عَلَيْهِ السَّلَامَ): وَقَدْ أَمَرَنِي جَدِّي  
الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامَ) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) – وَهُوَ مَرِيضٌ – السَّلَامَ  
... الخ (١١٤).

## الطريق الخامس من ينابيع علم الأئمة (عليهم السلام)

### الكتب المنزلة على رُسل الله السابقين

الخامس ممّا ورثه علي(عليه السلام) والأئمة من أبنائه من النبي(صلى الله عليه و آله) الكتب الإلهية التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه السابقين من صحفٍ، وتوارةٍ، وإنجيل، وزبور، وسائر ما أتى الله رسله من علومٍ ومعجزات، وسلاح وكرامات، وقد ورثها النبي(صلى الله عليه و آله) عنهم، وورثها أئمة الهدى منه(صلى الله عليه و آله) وقد تواتر هذا عنهم(عليهم السلام) وأذاعوه ونشروه في الكثير من أحاديثهم الشريفة، وما ورد عنهم في أدعيّتهم، والزيارات الواردة عنهم، حتى لا يبقى أحد يجهل هذه الحقيقة الثابتة لهم، وإليك بعض تلکم النصوص.

#### نصوص من الأحاديث

فقد ذكر شيخنا الكليني في (أصول الكافي) في أبواب عديدة في أنهم (عليهم السلام) ورثة علوم النبي(صلى الله عليه و آله) الذي ورث من قبلهم علوم الأنبياء(عليهم السلام) حيث روى في باب: "ان الأئمة(عليهم السلام) ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً" ثمانية أحاديث في هذا الباب نذكر واحداً منها حذراً من الإطالة.

روى مسنداً عن علي بن النعمان، عن أبي جعفر(عليه السلام) انه قال: يمصون الثماد، ويدعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله(صلى الله عليه و آله) ، والعلم الذي أعطاه الله، ان الله جمع لمحمد(صلى الله عليه و آله) سنن النبيين من آدم وهلم جراً إلى محمد(صلى الله عليه و آله) ، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وان رسول الله(صلى الله عليه و آله) صير ذلك كله عند أمير المؤمنين(عليه السلام) ، فقال له رجل: يا بن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول: إنّ الله يفتح مسامع من يشاء إني أحدثه أنّ الله جمع لمحمد(صلى الله عليه و آله) علم

النبیین، وإنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبیین؟ (١١٥)

### إيضاح مهم للحديث الأول

قوله (عليه السلام) في هذا الحديث الشريف: يمصون الثماد، ويدعون النهر، المص هو الشرب بالجذب كما يجذب الرضيع اللبن من ثدي أمه ويمصه، والثماد جمع، مفردة التمد، وهو الماء القليل المتجمع في الأرض والوحد، وأراد (عليه السلام) بهذا المثل أن يبين لنا أن الذي يأخذ العلم من غير طريق علي والأئمة مثله كمن يمص الماء القليل المخلوط بالطين، والذي ليس له مادة متصلة من ينبوع جارٍ، ويعني بذلك ان هذا العلم المأخوذ من غير طريقهم (عليهم السلام) كله مخلوط بالشبه والشكوك وغير معلوم اتصاله بالمنبع الأصيل، كما الثماد المخلوط بالطين والوحد، ومثل من يأخذ العلم من طريق أهل البيت (عليهم السلام) كمثل من يشرب الماء ويأخذه من النهر العظيم الجاري الذي لا ينقطع فحينئذ يكون علمه متصلاً بالعلم الذي أخذه رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الله عز وجل من طريق الوحي والإلهام، والذي جمع الله له علوم النبیین كلهم، وأخيراً أودعه كله عند علي أمير المؤمنين والأئمة من أبنائه (عليهم السلام).

وإلى هذه الحقيقة يشير النبي (صلى الله عليه و آله) بأحاديث كثيرة وشهيرة من طرق عديدة، مثل قوله (صلى الله عليه و آله):

{أنا مدينة العلم وعلي بابها... الخ} (١١٦).

وقوله (صلى الله عليه و آله): {علي والأئمة من بعده أبواب العلم في امتي} (١١٧).

وقوله (صلى الله عليه و آله) من جملة حديث: {علي وارث علم النبیین} (١١٨).

وذكر الكليني في (الكافي) باب "ان الأئمة (عليهم السلام) ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء" سبعة أحاديث نذكر واحداً منها مسنداً عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ان أول وصي كان علي وجه الأرض هبة الله (شيت) بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة

ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولوا العزم، نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد عليهم السلام، وان علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد (صلى الله عليه وآله) ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما إن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، على قائمة العرش مكتوب، حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء، وفي نواية العرش (أي أعلاه) علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فهذه حجتنا على من أنكر حقنا وجدد ميراثنا... الخ (١١٩).

وذكر الكليني في (الكافي) في باب "ان الأئمة (عليهم السلام) عندهم جميع الكتب التي أنزلت من عند الله عز وجل، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنها" حديثين نذكر واحداً منهما، يروي بسنده عن مفضل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله أي الصادق (عليه السلام) ونحن نريد الأذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهمنا انه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فإذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتينا نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا انه من السريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم: ذكرت إلياس النبي (عليه السلام) وكان من عباد بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، يقول المفضل: ثم اندفع الإمام فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قساً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به.

ثم فسّر لنا كلامه بالعربية فقال: كان يقول في سجوده أترك معذبي وقد أظمأت لك هواجري (١٢٠).

أترك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي، أترك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي، أترك معذبي وقد أسهرت لك ليلي: قال: فأوحى الله إليه، أن ارفع رأسك فأنى غير معذبك... الخ (١٢١).

وذكر الكليني في باب "ما عند الأئمة من آيات الأنبياء" خمسة أحاديث نذكر حديثاً منها حيث روى بسنده عن محمد بن الفيض، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كانت عصى موسى لـ(آدم) (عليه السلام) فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران، وإنها لعندنا، وان عهدي بها آفأ، وهي خضراء كهينتها حين أنتزعث من شجرتها، وإنها لتتطق إذا استنطقت، أعدت لقانمنا (عليه السلام) يصنع بها ما كان يصنع موسى، وإنها لتروّع وتلقف ما

يأفكون... الخ (١٢٢).

أقول: وفي بقية الأحاديث من هذا الباب ان عندهم أيضاً ألواح موسى، وحَجَّر موسى الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وخاتم سليمان، وقميص يوسف وهو القميص الذي انزله الله من الجنة على آدم (عليه السلام) وان كل نبي ورث علماً أو غيره وقد انتهى إلى آل محمد (صلى الله عليه وآله) وانهم ورثة الأنبياء.

وذكر الكليني في باب "ان الأنمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، وروى في هذا الباب أربعة أحاديث نذكر واحداً منها، روى بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال: ان لله عزَّ وجلَّ عُلَمِينَ علماً عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا (١٢٣).

### تعليق مهم على تلك الأحاديث

قد يتوهم بعض السامعين أو المطالعين - لهذه الأحاديث الواردة عن أئمة الهدى - انَّ فيها مغالاة أو مبالغة في علومهم، وقد يُشك في صحة ثبوتها عنهم أو عدم ثبوتها، ولكن التدبّر لما قدمناه من طرق علومهم الإلهامية، وعرض صحائف الأعمال عليهم دائماً وأبداً في حياتهم وبعد وفاتهم، وحديث الملائكة معهم، وعرض المقدرات ليلة القدر عليهم، وإيراثهم تلك العلوم كلها عن النبي (صلى الله عليه وآله) والتي من جملتها علوم القرآن المجيد الذي فيه تبيان كل شيء، وما مرّ من الدلائل الواضحة القطعية على ذلك فحينئذٍ - بهذا التدبّر - يزول ذلك التوهم، وهذا الشك، لأن تلك العلوم من تلك الطرق هي الأهم والأعظم من إيراثهم علوم الأنبياء وكتبهم.

ويؤيد ذلك ما ورد في بعض أحاديثهم (عليهم السلام) عن ضريس الكناسي قال: كنتُ عند أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده أبو بصير فقال أبو عبد الله: انَّ داؤد ورث علم الأنبياء وانَّ سليمان ورث داؤد، وانَّ محمداً ورث سليمان، وانَّا ورثنا محمداً (صلى الله عليه وآله) وانَّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى، فقال أبو بصير: (ويقال له أبو محمد أيضاً): انَّ هذا لهو

العلم، فقال الإمام (عليه السلام):

يا أبا محمّد ليس هذا هو العلم، إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوم، وساعة بساعة (١٢٤)، قول الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الحديث: {ليس هذا هو العلم، إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوم، وساعة بساعة} نفيه (عليه السلام) في هذا الحديث العلم الموروث من الأنبياء وكتبهم بقوله {ليس هذا هو العلم} إنما يريد به النسبة.

أي نسبة هذا العلم إلى العلم الذي يفيضه الله سبحانه من عنده على قلب المؤمن آنأ بعد آن، كأنه ليس بعلم، لأن ذلك العلم الموروث من الأنبياء وكتبهم مادي وتقليدي، قد يحصل من طرق السماع وقراءة الكتب أو حفظها، وقد تقع كتبهم بيد من لا يعرف تنزيلها وتأويلها ومفادها ولكن العلم الحقيقي هو العلم الذي يفيضه الله سبحانه على قلوب المخلصين من عباده في كل وقت من الليل والنهار ساعة بساعة، كما ورد: {إنّ العلم نور يقدفه الله في قلوب العارفين} وفي نص {العلم نور يقدفه الله في قلب من يشاء}، إذ بهذا العلم الحقيقي المستمد مباشرة من الله عزّ وجلّ وبلا واسطة هو الذي تسترّ به النفس الإنسانية السليمة، وينشرح به الصدر للمؤمن، ويتنور به القلب للمخلص، ويتحقق به العلم للعالم بحيث كأنه ينظر إليه ويشاهده.

وإلى هذا العلم يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الزمر/٢٣).  
وبقوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام/١٢٦).

ومن هنا قلنا – فيما مضى -: ان العلم الإلهامي هو أفضل طرق علومهم، وأساسها الذي تنفرع منه وترجع إليه جميع الطرق والجهات الأخرى.

بل قد تعتبر جميع طرق علومهم من عرض صحائف الأعمال، وعرض المقدرات من السنة إلى السنة في ليلة القدر، وعرض سائر الكتب الإلهية من صحف وتوراة وإنجيل وزبور وقرآن وغيرها من الكتب – التي سنذكرها فيما يلي – كلها تعتبر كجسم، وعلمهم الإلهامي روح لها.

فلولا هذا العلم الإلهامي من الله عَزَّ وَجَلَّ لهم لما استطاعوا ان يتفوقوا على جميع ما أودع في تلك الكتب من حقائق وعلوم ومعارف.

فهم(عليهم السلام) إنما يستمدون علومهم كلها - بجهد - من هذه المعروضات عليهم بواسطة الإلهام، لا أنهم يستمدون علمهم مما عند الناس الآخرين، حيث ان الله جلَّ وعلا قد أغناهم بهذه العلوم عما عند الناس من علم.

وقد اعترف بهذه الحقيقة وعرفها جيداً المأمون بن الرشيد العباسي بقوله لبني العباس لما أراد أن يزوج الإمام الجواد(عليه السلام) بابنته - لإغراض سياسية - ومنعه العباسيون من ذلك، قال لهم: ويحكم ان أهل هذا البيت علمهم من الله، ومواده، وإلهامه، لم تنزل أبواه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال... الخ(١٢٥).

بل قد اعترف بهذه الحقيقة لأنمة الهدى حتى يزيد بن معاوية بقوله لما طلب زين العابدين(عليه السلام) منه ان يخطب وأبى أن ياذن له، قال له أصحابه إنذن له يا أمير، قال: انه ان صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا له: وما قدر ما يحسن هذا؟ قال: انه من أهل بيت زقوا العلم زقا، أي زقوا العلم من الله بواسطة رسوله(صلى الله عليه و آله) ويشير بذلك إلى قول علي(عليه السلام) في بعض خطبه: هذا سفت العلم هذا لعاب رسول الله(صلى الله عليه و آله) هذا ما زقنيه رسول الله زقا، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين.

نعم هكذا عرف أعداء أهل البيت - وغاصبي حقهم - مقامهم السامي عند الله، وأنهم حجج الله بعد رسوله، وان علومهم كلها من عند الله، وأنهم مع الحق والحق معهم، ولكنهم كرهوهم، وغصبوا حقوقهم لكرههم الحق بعد أن عرفوه - إتباعاً للهوى، وركوناً إلى الدنيا - وهذا ما أنكره الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله تعالى: (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (المؤمنون/٧٠-٧٢)، وقال تعالى: (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (٧٨) أَمْ أَيْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ) (الزخرف/٧٩-٨٠)، وقال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَغُلُوًّا فَانظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل/١٥).

ومن مجموع ما تقدم علمنا علم اليقين ان أئمة الهدى من أهل بيت النبي(صلى الله عليه و آله) لا يقاس بهم أحد من الناس مطلقاً لتفوقهم عليهم بكل فضلٍ وفضيلة، وان الله قد آتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، لعلمه جلّ وعلا باستحقاقهم لهذا التفوق وهو الحكيم العليم. ويؤيد ذلك قول النبي(صلى الله عليه و آله) الشهير المروي بأسانيد عديدة وطرق كثيرة: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد(١٢٦).

وكان علي(عليه السلام) يصرّح بهذا على المنبر أمام الجماهير العامة فيقول: "نحن أهل بيت رسول الله لا يقاس بنا أحد"(١٢٧).

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب حينما سُئِلَ عن علي - بالنسبة إلى الصحابة - قال: علي من أهل بيت لا يقاس به أحد، وهو مع رسول الله(صلى الله عليه و آله) في درجته، ثم استدل على ذلك بقول الله تعالى: ان الله يقول:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) (الطور/٢٢)، ثم قال: ففاطمة مع رسول الله في درجته، وعليّ معهما(١٢٨).

فهذا علي وهؤلاء أبناؤه المعصومون هم أهل العلوم الإلهامية وهم مع رسول الله في درجته، وورثة علومه وعلوم الأنبياء والمرسلين من قبله الذين اجتباهم الله سبحانه وخاطبهم بقوله:(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى/١٤)(١٢٩).

فالرسل والأنبياء والأوصياء ونبينا وأئمة الهدى من أهل بيته هم كلهم حملة دين الله، وأمناؤه في أرضه، وحفظة سرّه كما جاء في دعاء الندبة بعد ذكر أولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى قال: وكلّ شرعت له شريعة، ونهجت له منهاجاً، وتخيرت له أوصياء مستحفظاً بعد مستحفظ من مدة إلى مدة إقامة لدينك وحجة علي عبادك... الخ.(١٣٠)

فهم سلسلة متواصلة غير منقطعة من آدم إلى الخاتم وإلى ان يرث الله الأرض ومن عليها، يرث الملاحق منهم السابق وأفضلهم - على الإطلاق - نبينا وأئمتنا الهداة(عليهم السلام) الذين ورثوا العلوم كلّها عن الله ورسوله وسائر رسله وأنبياؤه السابقين.

## نصوص من الزيارات

اقرأ ما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة التي هي أحسن الزيارات الجامعة متناً وسنداً وأكملها وأولها تقول: "أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله، ثم تكبر الله مائة مرة، ثم تقول:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخران العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخبار، وساسة العباد وأركان البلاد، وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته.

السلام على أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام النقى وذوي النهى وأولي الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته... الخ" (١٣١).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة المبعث النبوي ويومه على ما ذكر المفيد، والشهيد في مزاريهما، والسيد ابن طاووس في مصباح الزائر فقالوا: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة المبعث أو يومه فقف على باب القبة الشريفة مقابل ضريحه وقل:

"أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وان علي بن ابي طالب أمير المؤمنين عبد الله وأخو رسوله، وأن الأئمة الطاهرين من ولده حجج الله على خلقه، ثم ادخل وكبر الله مائة مرة وقل:

السلام عليك يا وارث آدم خليفة الله، السلام عليك يا وارث نوح صفوة الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد سيد رسل الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين... الخ" (١٣٢).

ومثل ذلك ورد في زيارة الإمام الحسين المعروفة بزيارة وارث، وجاء في كثير من زيارات

أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين (عليهم السلام) انهم ورثة علوم الأنبياء، وورثة علوم الأولين والآخرين.

ويؤيد ذلك ما تواتر عن النبي (صلى الله عليه و آله) بتشبيهه علي (عليه السلام) برسلى الله وأنبيائه فى أحاديث كثيرة، مثل قوله (صلى الله عليه و آله): {مَن أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، وإلى نوح فى تقواه، "وفى نص: فى طاعته، وفى نص: فى حكمه"، وإلى إبراهيم فى خَلْتَه، "وفى نص: فى حلمه"، وإلى موسى فى بطشه، "وفى نص: فى هيئته"، وإلى عيسى فى عبادته "وفى نص: فى ورعه"، فلينظر إلى علي بن أبي طالب}.

وفى بعض النصوص: وإلى يعقوب فى حزنه، وإلى يوسف فى جماله، وإلى سليمان فى ملكه، وإلى أيوب فى صبره، وإلى يحيى فى زهده، وإلى يونس فى سننه، وإلى محمد (صلى الله عليه و آله) فى خُلُقِهِ وجسمه وشرفه وكمال منزلته فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

ومصادر هذه الأحاديث كثيرة، وقد جمع بعضها صاحب (تعليقات إحقاق الحق) فراجع إذا شئت (١٣٣).

يقول الشاعر:

ليس على الله بمستنكرٍ \*\*\* أن يجمع العالم فى واحدٍ

ونختم هذا المورد بما جاء فى الصحيفة السجادية الجامعة ص ٤٣، ومنتخب الأدعية ص ١٣:-

"اللهم يا مَن خصَّ محمدًا وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وخصَّهم بالوسيلة، وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة (عليهم السلام) وعلمهم علم ما كان وعلم ما يكون، وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، فصلَّ على محمدٍ وآله الطاهرين وأفعل بنا ما أنت أهله فى الدين والدنيا إنك على كلِّ شيءٍ قدير برحمتك يا ارحم الراحمين".

### الطريق السادس من ينابيع علم الأئمة (عليهم السلام)

تفسير القرآن الذى ألفه أمير المؤمنين (عليه السلام)

بأمر النبي بعد وفاته (صلى الله عليه و آله)

السادس ممّا ورثه الأئمة من النبي(صلى الله عليه و آله) تفسير القرآن المجيد الذي ألفه الإمام علي(عليه السلام) بأمر النبي بعد وفاته(صلى الله عليه و آله) مباشرة، وهو(عليه السلام) أوّل من جمع القرآن وفسّره حسب النصوص الواردة من طرق عديدة.

قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابيه (المراجعات) و(مؤلفوا الشيعة في صدر الإسلام): وأوّل شيءٍ دونه أمير المؤمنين(عليه السلام) كتاب الله عزّ وجلّ، فإنه(عليه السلام) بعد فراغه من تجهيز النبي(صلى الله عليه و آله) آلى على نفسه ان لا يرتدي إلاّ للصلاة أو يجمع القرآن فجمعه مرتباً على حسب النزول(١٣٤).

وأشار إلى عامّه وخاصّه ومطلقه ومقتده، ومجمله ومبيّنه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وسننه وآدابه، ونبيّه على أسباب النزول في آياته البيّنات، وأوضح ما عساه يشكل من بعض الجهات.

وكان ابن سيرين يقول فيما نقله عنه ابن حجر في (صواعقه ص٧٦): لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم.

وقال (ابن حجر في الصواعق أيضاً ص٧٢): ان علياً جمع القرآن وعرضه على النبي(صلى الله عليه و آله) ، والصحيح ما قلناه، وبه تواترت الأخبار عن أبنائه الأخيار... الخ(١٣٥).

فكان جمع علي(عليه السلام) للقرآن وتأليفه له جمعاً مرتباً على حسب نزوله من جهة، ومفسّراً له من جهة ثانية(١٣٦).

وروى سُلَيْم بن قيس في كتابه في ضمن حديثٍ طويلٍ ينقله عنه سلمان الفارسي جاء فيه قوله: وأقبل علي(عليه السلام) على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه كلّه وكتبه بيده، تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، وبعث إليه أبو بكر أن أخرج وبيع، فبعث إليه علي: إني مشغول، وقد آليت على نفسي يمينا أن لا أرتدي رداءً إلاّ للصلاة حتّى أؤلف القرآن وأجمعه، فسكتوا عنه أياماً، فجمعه في ثوبٍ واحدٍ وخمته، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله(صلى الله عليه و آله) فنادى علي بأعلى صوته: أيها الناس إني لم أزل منذ قبض رسول الله(صلى الله عليه و آله) مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد، قلم يُنزل الله آيةً إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرّنيها رسول الله(صلى الله عليه و آله) وعلمني تأويلها لنلا تقولوا غداً إنّنا كنا

عن هذا غافلين، ولا يقولوا: إني لم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال عمر:  
ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعوننا إليه... الخ (١٣٧).

وقال المسعودي في (إثبات الوصية): ثم أَلَّفَ (عليه السلام) القرآن، وخرج إلى الناس وقد  
حمّله في إزارٍ معه، وهو ينطّ من تحته، فقال لهم: هذا كتاب قد أَلَفْتَهُ كما أمرني، وأوصاني  
رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما أنزل، فقال له بعضهم: اتركه وأمض فقال لهم: إن  
رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لكم: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، لن  
يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فإن قبلتموه فاقبلوني معه أحكم بينكم بما فيه من أحكام الله،  
فقالوا له: لا حاجة لنا فيه ولا فيك، فأنصرف به معك لا تفارقه ولا يفارقك، فأنصرف  
عنهم... الخ (١٣٨).

نعم وبقي ذلك القرآن في تفسيره الصحيح عند علي (عليه السلام) ومن بعده عند  
الحسن (عليه السلام) ، وهكذا صار من الموارث الخاصة بالأئمة الطاهرين، وهو الآن عند  
إمام العصر والزمان مهدي آل محمّد (عج).

ومن هنا ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال: إذا خرج "أي الإمام المهدي" يقوم  
بأمرٍ جديد، وكتاب جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد، على العرب شديد. (المجالس  
السنية) (١٣٩).

وعنه (عليه السلام) في حديثٍ آخر قال: لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبيع الناس بأمر  
جديد، وكتاب جديد، وسلطانٍ جديد من السماء، أما انه لا تُرد له راية أبداً حتى يموت (١٤٠).  
والمراد من الأمر الجديد والكتاب الجديد والسنة الجديدة والقضاء الجديد والسلطان الجديد  
إنما هو الإتيان بشريعة الإسلام الحقّة كما شرعها الله، والإتيان بالقرآن في تنزيله وتأويله،  
كما أنزل في تفسيره وبيان أحكامه، والعمل بما درس من الحق قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي  
الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء/١٠٦).

ووردت من طرق أهل السنة في جمع علي (عليه السلام) للقرآن مرتباً حسب النزول عدة  
روايات وتصريحات أخر منها، قال أبو الفرج محمّد بن اسحاق المعروف بابن النديم في  
(الفهرس) ما نصّه: ترتيب سور القرآن في مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم  
الله وجهه، قال ابن المنادي، حدثني الحسن بن عباس قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن حماد

عن الحكم بن ظهير السدي عن عبد خير، عن علي(عليه السلام) انه:  
رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي(صلى الله عليه و آله) فأقسم انه لا يضع عن ظهره  
رداءه حتى يجمع القرآن من قلبه... الخ(١٤١).  
وقال السيوطي في (الإتقان) قال ابن حجر: وقد ورد عن علي(عليه السلام) انه جمع القرآن  
على ترتيب النزول عقب موت النبي(صلى الله عليه و آله) أخرجه ابن أبي داود، وقال محمد  
بن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم(١٤٢).  
وأخرج أبو نعيم في (حلية الأولياء) بسنده عن عبد بن خير، عن علي(عليه السلام) قال: لما  
قبض رسول الله(صلى الله عليه و آله) أقسمت، أو قال: حلفت ان لا أضع ردائي عن ظهري  
حتى أجمع ما بين اللوحين، "القرآن الذي كان مجموعاً أيام النبي(صلى الله عليه و آله) قال:  
فما وضعتُ ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن"(١٤٣).

### الطريق السابع من ينابيع علومهم(عليهم السلام) التي قد ورثوها

الكتب التي أملاها رسول الله(صلى الله عليه و آله) على علي أمير المؤمنين(عليه السلام)  
السابع مما ورثه الأئمة من النبي الكتب التي أملاها(صلى الله عليه و آله) على علي أمير  
المؤمنين(عليه السلام) وقد دُونت تلك الكتب على صحائف من جلود الأنعام، من بقرٍ أو غنم  
أو أبلٍ أو معز... الخ.  
وكانت تُتخذ لكتابة العلم فيها لقلّة الورق في ذلك العصر، وكانوا يَضْمُون الجلود بعضها إلى  
بعض لعدم كفاية جلدٍ واحد للكتابة، وهي على أقسام.

### ١- الجَامعة

القسم الأول من تلك الكتب الجامعة، وهي كتاب طويل طوله سبعون ذراعاً، من إملاء رسول  
الله(صلى الله عليه و آله) وخطّ علي(عليه السلام) وتحتوي على جميع ما يحتاجه الناس من  
الحلال والحرام وسائر الأحكام، حتى أنّ فيها أرش الخدش، أي دية الخدش، وذلك كتفصيل

لما جاء في القرآن الشريف من الأحكام التي شرعها الله لعباده وبيان لها.

وقد ورد وصفها بذلك في روايات عديدة عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) وقد سميت في تلك الروايات - بالجامعة ، والصحيفة العتيقة، وقد رواها - عند الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) - بعض الرواة الثقة من أصحابهما كأبي بصير وغيره، وإن الأئمة(عليهم السلام) يتبعون ما في هذه الصحيفة ولا يحتاجون إلى أحد من الناس في علومهم(١٤٤).

كما صرح به الإمام الصادق(عليه السلام) في رواية بكر بن كرب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول: ان عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وأن الناس ليحتاجون إلينا، وان عندنا كتاباً يملأ رسول الله(صلى الله عليه و آله) وخطّ علي(عليه السلام) بيده، صحيفة فيها كل حلالٍ وحرام، وإنكم لتأتون بالأمر فتعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه(١٤٥).

ويشير(عليه السلام) بقوله:- فنعرف إذا أخذتم بهن ونعرف إذا تركتموه - إلى معرفتهم بأعمالهم بواسطة عرض صحائف الأعمال عليهم(عليهما السلام). وفي (بصائر الدرجات) قال(عليه السلام) وأنكم لتأتوننا فتدخلون علينا فنعرف خياركم من شراركم(١٤٦).

## ٢- الجفر الأبيض والجفر الأحمر

والقسم الثاني من الكتب التي ورثها عن رسول الله(صلى الله عليه و آله) الجفر الأبيض والجفر الأحمر، والجفر لغةً هو جلد شاة أو ثور أو بغير يكتب عليه، والجفران هما من مؤلفات أمير المؤمنين(عليه السلام) أملاها عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله) وجاءت فيهما أخبار صحيحة عن أهل البيت(عليهم السلام) وأكثرها عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) فمن تلك الأخبار ما رواه محمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) والكليني في (الكافي) وغيرهما بإسنادٍ عن الحسين بن عبد أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول: عندي الجفر الأبيض، قال: قلنا: أي شيء فيه؟ قال: فيه

زبور داؤد، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعج أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد. وعندي الجفر الأحمر، وما يدرهم ما الجفر الأحمر؟ قال: قلنا: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل، فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد، وطلب الدنيا على الجحود، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم(١٤٧).

### ٣- مُصْحَفُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

والقسم الثالث من الكتب التي ورثوها عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) مصحف فاطمة، وهو من مؤلفات أمير المؤمنين(عليه السلام) الموجودة عند الأئمة الأطهار، وقد تواترت بذلك الأخبار عنهم(عليهم السلام) وان فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، وإنه ما فيه من قرآنكم حرف واحد، أو آية واحدة.

وبعض تلك الأخبار تصرح بأنه أملاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخطّه علي أمير المؤمنين(عليه السلام) وبعضها تصرح بأنه أملاه جبرئيل على فاطمة(عليها السلام) بعد وفاة أبيها(صلى الله عليه وآله) وان فيه أسماء الملوك، وليس فيه لبني الحسن شيء من الخلافة، وفيه علم ما يكون من الحوادث.

وأقول: يمكن أن يكون قسماً منه إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) على علي(عليه السلام) أيام حياة النبي(صلى الله عليه وآله) وقسم منه من حديث جبرئيل لفاطمة بعد وفاة أبيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ ما كان يحدثها به جبرئيل - قطعاً - انه يُعرض أولاً على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم تُحدث به فاطمة(عليها السلام) فهو يصح أن يكون من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) وبأمره أيضاً، وبهاتين الجهتين أو باحديهما يرتفع الاختلاف بين التصريحين والله الحمد.

وان كان المشهور انه من إملاء جبرئيل على فاطمة بعد وفاة أبيها(صلى الله عليه وآله)

وقد جاءَ هذا بعدة أحاديث منها ما جاء في حديث أبي عبيدة أنه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن مصحف فاطمة، فقال (عليه السلام): إنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) خمسة وسبعين يوماً، وكان قد دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها، وكان علي يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة (عليها السلام).

وفي حديثٍ آخر مسندٍ عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة، قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صلى الله عليه و آله) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، فأرسل الله إليها ملكاً يسألها عمَّها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لها: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته، فجعل يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال: أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون (١٤٨).

وهذه الكتب من الجامعة، والجفر الأبيض والجفر الأحمر ومصحف فاطمة، وتفسير القرآن المجيد، وسائر العلوم التي أنزلها الله تبارك وتعالى على رسوله (صلى الله عليه و آله) وغيرها من كتب أخرى، وأسلحة كلّها ورثها الأئمة الهداة من نبي الرحمة نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) وهي الآن عند الإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين وعجل الله تعالى فرجه.

أما ما كان يحدث به جبرئيل وغيره من الملائكة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فلا غرابة فيه ولا بدعة، ولا منافاة للأدلة القطعية، بل هذه خصوصيات يخصّ الله بها من يشاء من عباده من الرجال والنساء.

وللتأكيد راجع ما مرّ عليك من (الطريق الثالث من ينابيع علم الأئمة - حديث الملائكة معهم (عليهم السلام) ومن جملة عناوين هذا الباب "المحدثون وليسوا بأنبياء من الرجال والنساء" و"الملائكة تحدث المؤمنين وغير المؤمنين عند حضور آجالهم") ونختم الموضوع بقوله تبارك وتعالى: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (البقرة/١٠٧) و(آل عمران/٧٦).

## عود إلى الصفات الخمس لنبينا في القرآن

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).

### الصفة الثانية والثالثة: كونه (صلى الله عليه و آله) مبشراً ونذيراً

الصفة الثانية كونه (صلى الله عليه و آله) مبشراً، أي يبشر كل من أطاع الله وأطاعه (صلى الله عليه و آله) – بمطلق ما جاء به من الدين عقيدة وعملاً – بحسن العاقبة في الدنيا، والجنة والنعيم المقيم في الآخرة.

والصفة الثالثة كونه (صلى الله عليه و آله) نذيراً أي يُنذر كل من عصى الله وعصاه – بمطلق ما جاء به (صلى الله عليه و آله) من الدين عقيدةً وعملاً بسوء العاقبة والعذاب الأليم في الآخرة.

وقد جاء هذا النص المخاطب به النبي (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) مكرراً في سورتى (الأحزاب) و(الفتح/٩) كما جاء في سورة الفرقان قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الفرقان/٥٦)، وقد قام النبي (صلى الله عليه و آله) – امتثالاً لأمر ربه – بواجب التبشير والتنذير بكل ما فيهما من معنى، حتى عُرف (صلى الله عليه و آله) وسمي بالبشير النذير.

ولم يقم بهذا الواجب الإلهي بتمامه وكمالهِ نيابة عن النبي (صلى الله عليه و آله) مثل ما قام به – بلا تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان – علي أمير المؤمنين وأبناؤه المعصومون من بعده، إذ هم أوصياؤه من بعده وخلفاؤه في أمته، وورثة علومه، وهم المبشرون والمنذرون بالتمام والكمال اللذين قام بهما النبي (صلى الله عليه و آله).

### الصفة الرابعة: كونه (صلى الله عليه و آله) داعياً إلى الله

والصفة الرابعة كونه (صلى الله عليه و آله) داعياً إلى الله بأذنه أي يدعو إلى الله من الإقرار

بتوحيده والامتثال لأوامره والانتهاه عن نواهيه وسائر عباداته جلّ وعلا.

وهذه الدعوة منه (صلى الله عليه و آله) بأذن تشريعي من الله له، أي ان الله هو الذي شرع له هذه الدعوة فهو إذا داعي الله في عباده، وما علينا نحن إلا أن نستجيب لهذه الدعوة المباركة التي تسبب لنا من جهة غفران ذنوبنا، وإخراجنا من العذاب الأليم، قال تعالى: (يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (الأحقاف/٣٢-٣٣).

ومن جهة أخرى ان استجابتنا له (صلى الله عليه و آله) تسبب لنا الحياة الروحية الحقيقية وبدونها نكون أمواتاً قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال/٢٥).

تدبروا هذه الآية الكريمة التي يخاطب الله بها المؤمنين بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) ثم يقول (إِذَا دَعَاكُمْ) ولم يقل: إذا دعاكم، فالضمير هنا يعود إلى الرسول فقط، ذلك لأن الرسول (صلى الله عليه و آله) هو المباشر لهذه الدعوة بأذن الله، وفلسفتها وعلتها، وفائدتها إنها جاءت لإحيائنا، ومعنى هذا إننا إن أجبنا دعوة نبينا فنحن أحياء وإلا فنحن أموات غير أحياء، كما قال عز من قائل: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النحل/٢٢).

وقال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) (النمل/٨١-٨٢)، و(الروم/٥١-٥٢).

ولم يقم أيضاً بهذه الدعوة إلى الله وإلى دينه القويم بتمامه وكماله نيابة عن النبي (صلى الله عليه و آله) مثل ما قام به - بلا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان - علي الذي يقول فيه النبي (صلى الله عليه و آله) " { لا يُوَدِّي عني إلا أنا أو علي } (١٤٩).

وهكذا أئمة الهدى الأحد عشر من أبنائه المعصومين من بعده وخلفائه في أمته وورثة علومه "الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه

بالقول وهم بأمره يعملون(١٥٠).

قال رسول الله(صلى الله عليه و آله): في كل خلفٍ من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إنّ أمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون(١٥١).

### الصفة الخامسة: كونه(صلى الله عليه و آله) سراجاً منيراً

والصفة الخامسة كونه(صلى الله عليه و آله) سراجاً منيراً "أي يصدر منه النور المعنوي من جهته - بأفعاله وأقواله وإقراره - كما يصدر الضياء من جهة السراج. هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يصدر منه النور المادي المشرق كإشراق الشمس نهاراً، والقمر ليلاً معجزةً يجريها الله تعالى له لتصديق ما جاء به من ادعائه النبوة، أو ادعائه بوجي خاص أوحاه الله إليه في بعض الأحيان، فهو السراج المنير معنوياً ومادياً، روحاً وجسماً.

أمّا جسمه الشريف فقد خلقه الله من أفضل طينة مباركة، وأمّا روحه الطاهرة فقد خلقها الله من نوره جلّ وعلا، وهكذا أهل بيته المعصومون من علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين(عليهم السلام) كلهم شاركوه في ذلك النور المادي والمعنوي والروحي والجسمي، وهم منه وهو منهم على ما تواتر ذلك عنه(صلى الله عليه و آله) ، وكلهم مخلوقون من طينة واحدة، ومن نور واحد، وتجد تحقيق ذلك، والاستدلال عليه في كتابنا (قبس من القرآن) في صفات الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله) في الفصل الأخير منه وعنوانه "الرسول الأعظم والنور الذي أنزل معه" من ص ٣٠٧-ص ٣٤٦، فراجع.

(وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) (طه/٤٨).

١ - (مجمع البيان) للطبرسي م ٣ ص ٣٧٨، و(تفسير القمي) ج ١ ص ٣٨٨، و(الميزان) ج ٢ ص ٣٤٩.

٢ - (الدّر المنثور) ج ١ ص ١٤٤، نقلاً عن رجل مجهول إنه سال ابن عمر فقال: "والأمة الوسط أمة محمد(صلى الله عليه و آله) جميعاً.

٣- (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٧، ويستدل بالآية على أحقية إجماع الأمة.

٤- (تفسير القرآن العظيم) ج ١ ص ١٩١.

٥- (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ١٠.

٦- راجع تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي ج ٢ ص ٩، و(البيضاوي) ج ١ ص ١٩٥، و(الدر

المنثور) للسيوطي ج ١ ص ١٤٤، و(ابن كثير) ج ١ ص ١٩١ وغيرها.

٧- راجع (البحار) ج ٢٣ ص ٣٥١ نقلاً عن (المناقب) لابن شهر آشوب، ونقله عنه مختصراً

الأستاذ الطباطبائي في (الميزان)، وكذا في (تفسير الصافي).

٨- (تفسير العياشي) ج ١ ص ٦٢، و(الصافي) ج ١ ص ١٤٧، و(البرهان) ج ١ ص ١٦٠،

و(البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٢ نقلاً عن (العياشي)، وعن (بصائر الدرجات) ص ١٩ وص ٢٤ من

طريقين، كما نقله المجلسي في (البحار) ص ٣٣٦ عن (الكافي) للكليني م ٣ ص ٧٤ وفيه

زيادة مهمة، والطبرسي في (مجمع البيان) م ١ ص ٢٢٤.

٩- (العياشي) في تفسيره ج ١ ص ٦٣، ونقله المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٣ عن

(بصائر الدرجات) ص ٢٣ وعن (العياشي)، وفي ص ٣٥٣ عن (محاسبة النفس) لابن

طاووس نقلاً عن كتاب (تفسير القرآن) لابن عقدة و(كتاب الدلائل) للحميري وغيرهم.

١٠- (البحار) ج ٢٣ ص ٣٣٣-٣٥٣ و(شواهد التنزيل) ج ١ ص ٩٢ والطبرسي ص ٣٢٤.

١١- المصدر السابق.

١٢- راجع (المرشد إلى آيات القرآن الكريم) ص ٩٧٤ باب كثر.

١٣- روى الثعلبي في تفسيره بسنده عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: "أقمن كان

على بينة من ربه (رسول الله صلى الله عليه وآله)) ويتلوه شاهد منه" علي خاصة، ونقلها

عن الثعلبي سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٢٠، ورواها القرطبي في تفسيره

(الجامع لأحكام القرآن) ج ٩ ص ١٢ ط القاهرة، والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة)

ص ٩٩ نقلاً عن الحموي في (فراند السمطين) عن ابن عباس، وعن زاذان، والزرندي في

(نظم درر السمطين) ص ٩٠ ورواها أخطب خوارزم الحنفي في (المناقب) ص ١٩٧، ونقلها

عنه صاحب الينابيع ص ٩٩، كما نقلها عن كل من الثعلبي، وأبي نعيم، والواقدي، بأسانيدهم

عن ابن عباس، وروى الثعلبي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال علي بن أبي طالب (عليه

(السلام): ما من رجلٍ من قريشٍ إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان، فقال له رجل: وأي آية نزلت فيك؟ فقال علي(عليه السلام) أما تقرأ الآية التي في سورة هود "وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" ورواها عن جابر الطبري في تفسيره ج ١٢ ص ١٠ ط الميمنية بمصر، ورواها النيشابوري في تفسيره بهامش تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٦، والعلامة الخازن في تفسيره ج ٣ ص ١٨٣ ط مصر، والسيوطي في (الدر المنثور) ج ٣ ص ٣٢٤ ط مصر قال: اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب (رض) قال: ما من رجل من قريش إلا نزلت فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال أما تقرأ سورة هود "أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" رسول الله (صلى الله عليه و آله) على بيّنة من ربه، وأنا شاهد منه، قال السيوطي: أخرج ابن مردويه، وابن عساكر عن علي في الآية أنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه و آله) على بيّنة من ربه، وأنا شاهد منه، وقال السيوطي أيضاً: واخرج بن مردويه من وجهٍ آخر عن علي (رض) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): "أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ" أنا، "وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" قال: علي، ونقلها عن علي(عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و آله) العلامة السيد الأوسي في تفسيره (روح المعاني) ج ١٢ ص ٢٥ ط المنيرية بمصر، وقال: واخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن علي(عليه السلام) قال: ما من رجل من قريش.. الخ، وقال أخرج المنهال عن عبادة بن عبد مثله.

وروى الثعلبي في تفسيره بسنده عن زاذان قال: سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها – أي لو كانت الأمور متمهدة لي – لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقاتهم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من قرشي جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له بسوقه إلى الجنة، أو بقوده إلى النار، فقام إليه رجل فقال: ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال "أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" ونقله عن الثعلبي سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ٢٠، وقريب منه نقله الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٩٩ عن ابن المغازلي بسنده عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً يقول في خطبته... الخ، وقال الشيخ سليمان: أيضاً عن زين العابدين والباقر

والصديق)عليهما السلام( ذكروا هذا الحديث، وقال أيضاً الحسن بن علي(عليه السلام) ذكر هذه الآية ويفسرها مثله في خطبته.

هذا وقد ذكر بعض المفسرين أن الآية نازلة بعلي من دون أن يذكروا الرواية كالفخر الرازي في تفسيره حيث أورد عن البعض أن المراد من الشاهد هو علي بن أبي طالب (رض) ثم قال: والمعنى أنه يتلو تلك البيعة، وقوله: منه أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد(صلى الله عليه و آله) ج ٥ ص ٤٦، وكأبي حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) ج ٥ ص ٢١١ ط السعادة بمصر، وهكذا صاحب (فتح البيان) وروى الكنجي الشافعي في (كفاية لطالب) ص ١١٠ بسنده أن رسول الله(صلى الله عليه و آله) قال: عليّ على بيّنةٍ من ربه وأنا الشاهد منه، راجع (إحقاق الحق) ج ٣ ص ٣٥٢-٣٥٧ و ج ٤ ص ٣٠٩ وما بعدها.

وروى نزول الآية في علي أيضاً عمرو بن العاص، وراجع (المناقب) للخوارزمي ص ١٢٨.

١٤- راجع (إحقاق الحق) ج ٥ من ص ٢٧٤-٣١٧ لتعلم تواتر الحديث وشهرته وكثرة مصادره في الصحاح والسنن والمسانيد والتفسير والتاريخ، وراجع كتابنا (قبس من القرآن) ص ٣٢٩ تحت عنوان "دلالة أحاديث النور" في معنى: أن علياً من النبي والنبي منه، وهكذا أهل بيته منه وهو منهم، وأنهم من نور واحد.

١٥- (تفسير الجلالين) ص ٢١٨.

١٦- راجع (الميزان) في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٢٥.

١٧- راجع (تفسير الرازي) ج ٢ ص ٦-٧.

١٨- راجع الحديث بطوله في كتابنا (قبس من القرآن) ص ٣٣٤، وقد نقلناه عن (ينابيع المودة) ص ٤٨٥ نقلاً عن المناقب، راجع القبس أيضاً في (بشائر الله لأنبيائه بنبينا وأهل بيته) من ص ٦٤-١١١.

١٩- (الكلمة الغراء في تفضيل فاطمة الزهراء) لسيدنا السيد عبد الحسين شرف الدين المطبوعة مع الفصول المهمة ص ٢٢٩.

٢٠- ذكرنا الشفاعة هنا مجملاً، ومن أراد التفصيل فعليه بـ(الميزان في تفسير القرآن) للعلامة الأستاذ السيد محمد حسين الطباطبائي فإنه ذكر بحثاً مهمة في ج ١ من ص ١٥٦-

ص ١٨٨ بهذه العناوين التالية: ما هي الشفاعة/ إشكالات الشفاعة/ فيمن تجري الشفاعة/ من تقع منه الشفاعة/ بماذا تتعلق الشفاعة/ متى تنفع الشفاعة/ بحث رواني في الشفاعة/ بحث فلسفي في الشفاعة/ بحث اجتماعي في الشفاعة، فما أجدد بالباحثين بالرجوع إلى كل تلك البحوث القيمة.

٢١- راجع تفسيرها في (الميزان) ج ٦ ص ٢-٢٤، و(الغدِير) ج ٢ ص ٤٧.

٢٢- (الشافعي في شرح أصول الكافي)، باب ٨٢، ص ١٤١-١٤٣، و(تفسير القمي) ج ٢ ص ١٥١، و(مجمع البيان) ج ٤ ص ٢٨٨، و(البحار) ج ٢٣ باب ١٠، فقد ذكر كثيراً من تلك الروايات من مصادر عديدة من ص ١٨٩-٢٠٤.

٢٣- (الشافعي) باب ١٠٨، جهات علومهم ص ٢٤٧-٢٤٨ م ٣ ج ٤.

٢٤- (عيون أخبار الرضا) ج ٢ ص ٦٩ الباب ١٣ الرقم ٣٢١، و(العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٢٣، وكتاب (زينب الكبرى) للشيخ جعفر النقدي ص ٤٥.

٢٥- (جامع السعادات) للنراقي ج ١ ص ١٢، و(الدين والإسلام) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ٨٢.

٢٦- (البحار) ج ٧٨ ص ٦٣.

٢٧- راجع (الشافعي في شرح أصول الكافي) باب ٦٨، في أن الأئمة شهداء الله على خلقه ج ٣ ص ٧٦، ونقله المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٢ عن كتاب (بصائر الدرجات) ص ٢٤.

٢٨- راجع نزول الآية الكريمة في علي(عليه السلام) ومباهاة الله به ملائكته (إحقاق الحق) ج ٦ من ص ٤٧٩-٤٨١ فقد نقله عن مصادر عديدة، والطوسي في أماليه ج ٢ ص ٨٣، والسيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) ج ٢ ص ١٣١.

٢٩- راجع (الشافعي في شرح أصول الكافي) ج ٣ ص ١٣٨.

٣٠- راجع (البحار) ج ٢٤ ص ١٢٨، وراجع ما مرّ ص ١١٨-١١٩ تحت عنوان "التحليل والدليل على تلقي الفيوضات الإلهية للمخلصين".

٣١- نسب البيتين إلى الشافعي صاحب كتاب (الائتني عشرية) ص ٤٤٦.

٣٢- راجع كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١، وراجع كتاب (الحقائق في الجوامع والفوارق) للعلامة الشيخ حبيب العاملي ج ١ ص ١٨ حين اختلف الصحابة بحصول الجنابة ووجوب الغسل منها، هل هو بالإنزال فقط؟ أو يكون بمجرد إلتقاء الختان بالختان وان لم ينزل؟ وأنهم لما رجعوا إلى علي أقام لهم الدليل الواضح على وجوب الغسل بمجرد الإلتقاء.

٣٣- راجع (الحقائق) للعاملي ج ١ ص ٩٨، تحت عنوان "رجوع أكابر المسلمين في أحكام الدين إلى أهل البيت، علي والأنمة من ولده (عليهم السلام)" ثم يذكر ص ١٠١: الرجوع لعلي على عهد أبي بكر (رض) وفي ص ١٠٤: الرجوع لعلي على عهد عمر، وفي ص ١١٥: الرجوع لعلي على عهد عثمان، وهكذا يذكر رجوع الأمويين والعباسيين وسائر الناس إلى الأنمة من الحسين إلى الإمام المهدي (عليه السلام) ص ١٦٤، وراجع (نوادير الأثر في علم عمر) في الغدير ج ٦ ص ٧٤-٣١٣ ط النجف، وكتاب (علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري من أوله إلى آخره.

٣٤- (الاختصاص) للمفيد ص ٩٩، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٨٥.

٣٥- (الشافعي في شرح أصول الكافي) ج ٤ ص ٦٤٦، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ص ٩٣ وكذا في (كشف الغمة) للأربلي ج ٣ ص ١٥٤ و(المناقب) لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٨٤ وغيرهم، {ملاحظة: حكم من أتى بهيمة أن يضرب دون الحد ويغرم ثمن البهيمة، ويُحرّم ظهرها وتناجها، وتُخرج إلى البرية حتى تأتي عليها المنية} راجع (البحار) ج ٥٠ ص ٩١.

٣٦- راجع (رجال الكشي) ص ٣٦٤، ونقله عنه الشيخ محمّد حسين المظفري في كتابه (الصادق) ج ١ ص ١٤٥.

٣٧- (إثبات الوصية) للمسعودي ص ١٨٤، و(دلائل الإمامة) ص ٢٠٥، ونقله عنه القرشي في (حياة الإمام الجواد) ص ٦١، والمجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٩٩ نقلاً عن (عيون المعجزات).

٣٨- موضوع تزويج المأمون للإمام الجواد بابنته أم الفضل ذكره الخاصة والعامّة، اختصره بعضهم وفصله آخرون، فراجع (الفصول المهمة) لابن الصبّاح المالكي ص ٢٤٩، و(الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١٢٣، و(نور الأبصار) للشبلنجي ص ١٤٨، وسبط ابن

الجوزي في (التذكرة) ص ٣٦٨ وقد ذكره مفصلاً و(إثبات الوصية) للمسعودي ص ١٨٧،  
و(الاحتجاج) للطبرسي ج ٢ ص ٢٤٠ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٧٤، والسيد  
الأمين في (المجالس) ج ٥ ص ٤٢٥ عن المفيد وغيرهم.

٣٩- (الصواعق المحرقة) ص ١٢٣، و(نور الأبصار) ص ١٥١.

٤٠- (الصواعق) ص ١٢٤.

٤١- (ينابيع المودة) ص ٤٥٢.

٤٢- (الفصول المهمة) ص ١٧٣، وراجع إذا شئت الفصل السادس من كتابنا (الرجعة على  
ضوء الأدلة الأربعة) وعنوان الفصل الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته وظهوره من  
ص ٢٤٩ - إلى آخر الكتاب ص ٣١٦ والله من وراء القصد.

٤٣- راجع (المرشد) إلى آيات القرآن الكريم ص ٣١١.

٤٤- (معاني الأخبار) للصدوق ص ١٤٤، ونقله عنه وعن تفسير (البرهان) السيد الطباطبائي  
في (تفسير الميزان) ج ٧ ص ١٥٩ وإذا أردت التفصيل فارجع إلى كتابنا (الحقائق الكونية)  
ج ١ ص ١١٥ وما بعدها ج ٢ ص ٣.

٤٥- رواه الخطيب في (تاريخ بغداد) بسنده ج ٤ ص ٤١٠، ونقله عنه ابن المغازلي في  
(مناقب أمير المؤمنين) والديلمي في (الفردوس) على ما في مناقب عبد الله الشافعي ص ٢٣  
مخطوط، وابن عساكر في (تاريخه) على ما في منتخبه ج ١ ص ٤٥٤ ط الترقي بدمشق وابن  
حسنويه الموصل في (در بحر المناقب) ص ٣٦ مخطوط وابن حجر العسقلاني في (لسان  
الميزان) ج ٤ ص ٤٧١ ط حيدر آباد الدكن والصفوري في (نزهة المجالس) ج ٢ ص ٢٠٨ ط  
القاهرة والسيوطي في (ذيل الآلي) ص ٦٣ وفي (الجامع الصغير) ج ٢ ص ١٤٥ ط مصر  
وابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة) ص ٧٥ ط الميمنية والمتقي الهندي الحنفي في  
(منتخب كنز العمال) ج ٥ مطبوع بهامش المسند والسيد علي الهمداني في (المودات) على ما  
في مناقب الكاشي ص ٨٩، ومحمد صالح الكشفي الترمذي في (المناقب المرتضوية) ص ٢١  
ط بمبي والمناوي في (كنوز الحقائق) ص ٩٩ ط بولاق، والبخشي في (مفتاح النجا) ص ٦١  
مخطوط والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٩١ و ص ١٢٥ عن طريق ابن المغازلي  
و ص ١٨٠ نقلاً عن (كنوز الحقائق) للمناوي و ص ١٨٦ نقلاً عن (الجامع الصغير)

وص ٢٣١ نقلاً عن كتاب (السبعين في فضائل أمير المؤمنين) الحديث الأول منها، وص ٢٥١ نقلاً عن (المودّات) للسيد علي الهمداني وص ٢٨٤ عن الخطيب البغدادي ورواه الحمزاوي في (مشارك الأنوار) ص ٩١ ط الشرقية بمصر وبهجت أفندي في (تاريخ آل محمّد) ص ١٢١ ط/٤ آفتاب، والشيخ عبيد الله في (أرجح المطالب) ص ٥٢٢ ط لاهور، نقلا عن الديلمي في (الفردوس) نقلنا الحديث بهذه المصادر عن (إحقاق = الحق) ج ٧ ص ٢٤٨-٢٥١ ونقله السيد مرتضى الفيروز أبادي في (فضائل الخمسة) ج ٢ ص ٢١٨ عن عدة مصادر.

٤٦- راجع تفسير (الفخر الرازي) ج ٤ ص ٤٩٦ و(الدر المنثور) للسيوطي ج ٣ ص ٢٧٥، و(تفسير ابن كثير دمشقي) ج ٢ ص ٣٨٦، و(المنار) ج ١١ ص ٣٣، و(الكشاف) للزمخشري ج ٢ ص ٣٠٨، و(البيضاوي) ج ٣ ص ٨٠، و(تفسير الجلالين) ص ١٥٦، و(الجواهر) للطنطاوي ج ٥ ص ١٢٧، و(المراغي) ج ١١ ص ٢٠، و(في ظلال القرآن) للسيد قطب ج ١١ ص ١٦ فكل هؤلاء وغيرهم بين من يصرّح، ومن يشير إلى ان "المؤمنين" هم الناس والمؤمنون عامة.

٤٧- راجع (تفسير المنار) ج ١١ ص ٣٤ فانه نقل الحديث عن المصادر المذكورة في الأصل، وفيما يأتي في الحاشية.

٤٨- وراجع (مفاتيح الغيب) للرازي ج ٤ ص ٤٩٧، و(تفسير ابن كثير) ج ٢ ص ٣٨٧، والسيوطي في (الدر المنثور) ج ٣ ص ٢٧٦ عن مسند أحمد بن حنبل، وأبي يعلى، وابن حبّان، والحاكم، والبيهقي في (الشعب)، وابن أبي الدنيا في (المختارة)، ويشير إليه صاحب (مجمع البحرين) كتاب الدال ما أوله شين ص ٢٠٢.

٤٩- راجع (الشافى في شرح الكافي) م ٢ ص ١٥٧، و(تفسير العياشي) ج ٢ ص ١٠٩، و(تفسير القمي) ج ١ ص ٣٠٤، و(الشافى)، و(بصائر الدرجات) ص ١٢٦، وراجع (البحار) ج ٣ ص ٣٣٧ وما بعدها فقد ذكر أكثر من خمسة عشر حديثاً من مصادر عديدة... الخ في ان المراد من المؤمنين هم الأئمة عليهم السلام.

٥٠- راجع (البحار) ج ٢٣ ص ٣٥٣ نقلاً عن محاسبة النفس ص ١٢٦.

٥١- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ١٠٩، و(تفسير القمي) ج ١ ص ٣٠٤، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٣ ص ١٥٦، و(معاني الأخبار) للصدوق باب النوادر ص ٣٧٢، و(البحار) ج ٢٣

ص ٣٤٠ نقلاً عن القمي في تفسيره، و(المعاني)، و(العياشي)، (بصائر الدرجات) لمحمد بن الحسن الصفار ص ١٢٦.

٥٢- (البحار) ج ٢٣ نقلاً عن كتاب (بصائر الدرجات) ص ١٢٧ و(الشافعي) ج ٥٣ ص ١٥٨، و(تفسير الصافي) عند تفسير الآية الكريمة.

٥٣- المصدر السابق نقلاً عن (أمالي الشيخ الطوسي) ص ٢٦١ وص ٣٤٤ وص ٣٤٥ وص ٣٤٦ وص ٣٤٧ وص ٣٤٨، نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ١٢٥-١٢٧.

٥٤- قال الطبرسي في (مجمع البيان) ج ١١ م ٣ ص ٦٩، وروى أصحابنا أنّ أعمال العباد تعرض على النبي (صلى الله عليه و آله) في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على الأمة فيعرفونها.. الخ، و(العياشي) ج ٢ ص ٥٥، و(القمي) ج ١ ص ٢٧٧، و(تفسير فرات بن إبراهيم) ص ٩٧، و(بصائر الدرجات) ص ١٣١.

٥٥- (العياشي) ص ١٠٩، و(القمي) ص ٣٠٤، و(الشافعي)، وراجع (البحار) من ص ٣٣٣-٣٥٣.

٥٦- (العياشي) في تفسيره ص ١٠٨، و(القمي) ج ١ ص ٣٠٤، و(البحار) ج ٢٣ ص ٣٣٨ عن مصادر.

٥٧- روى العياشي ج ١ ص ٢٥٦، والمفيد في (الاختصاص) ص ١٠٢ عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لأبي بصير: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: {وأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} فرسول الله في هذا الموضع النبي، ونحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون تسموا بالصلاح كما سماكم الله.

٥٨- (شرح الشافعي) للكافي ج ٣ ص ١٥٨ ونقله عنه الملا محسن الفيض في (الشافعي)، و(البحار) نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ١٢٣.

٥٩- طالما يتساءل عن الكتاب والعترة أيهما أفضل، فالجواب عن هذا التساؤل ذكره النبي (صلى الله عليه و آله) في هذه الخطبة بقوله: {إني أرى أنّ لا افتراق بينهما جميعاً، لو قيس بينهما بشعرة ما إنقاست... الخ} فإذا نهما في الفضل سواء، إلا أنّ الكتاب يقدم بالذكر قبل العترة تأدياً.

٦٠- تجد الخطبة في كتابنا (قبس من القرآن) ص ٣٤٣، وقد نقلناها عن (البحار) ج ٢٢

ص ٤٧٦، وقد نقلها المجلسي عن كتاب (الطرف) للسيد ابن طاووس، نقلاً عن كتاب (الوصية) لعيسى بن المستفاد الضرير عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).

٦١- (تفسير العياشي) ج ١ ص ٢٤٢، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٣، كما نقله عنه أيضاً العلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٧ ص ١٠٩، ورواه الملا محسن الفيض في تفسيره (الصافي) عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام).

٦٢- (الشافى في شرح الكافي) باب التوبة م ٦ ص ٥٦٦ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٧.

٦٣- (علل الشرائع) للصدوق ص ٣٤٣ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٨.

٦٤- راجع تفسير (الدر المنثور) للسيوطي ج ٦ ص ٣٨٠ نقلاً عن ابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) ونقله عن (الدر المنثور) الطباطبائي في (الميزان) ج ٢٠ ص ٤٨٦، ورواه مرسلًا كل من الطبرسي في (مجمع البيان) ج ٥ ص ٥٢٦، والرازي في تفسيره ج ٨ ص ٤٨٦ وغيرهم.

٦٥- و٦٦- (الدر المنثور) نقلاً عن احمد بن حنبل، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وقد صححه، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان)، ونقله ابن كثير الدمشقي في تفسيره ج ٤ ص ٥٣٩ عن عدة مصادر ومنها (معجم الطبراني).

٦٧- راجع (ضياء الصالحين) ص ٤٥٧، ونظير هذا المعنى منتشر في كثير من كتب الأدعية.

٦٨- راجع (البحار) ج ٦٠ ص ١٧٨.

٦٩- راجع (أعيان الشيعة) للسيد الأمين ج ٢ ص ٤٨ نقلاً عن (إعلام النبوة) للماوردي و(إعلام الورى بأعلام الهدى) للطبرسي ص ٣٢، وغيرهم.

٧٠- راجع (تفسير الجواهر) للطنطاوي ج ٩ ص ٦٦.

٧١- راجع (تفسير ابن كثير) ج ٣ ص ٥٢٦.

٧٢- راجع (تفسير الجواهر) للطنطاوي ج ٩ ص ٥٤ فيما نقل عن الشيرازي.

٧٣- أي ان الله تبارك وتعالى كشف لأهل مكة الحجب، وأراهم تلك القصور، كما قال تعالى:

"فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ".

٧٤- راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج ١ ص ٣٣١، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٥

ص ٢٦١ في ضمن حديث طويل احتج به أمير المؤمنين (عليه السلام) على يهودي.

٧٥- (ارتجس) أي اضطرب وتحرك حركة لها صوت.

٧٦- الأردن: جمع ردن، وهو أصل الكم.

٧٧- راجع (الأمالي) للصدوق ص ١٧١ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٥ ص ٢٥٧.

٧٨- قال تعالى في فرعون وآل فرعون بعد إهلاكهم: "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا

كَانُوا مُنظَرِينَ" (الدخان/٣٠) والمنطوق من هذه الآية الكريمة ان السماء والأرض ما بكت

عليهم، لكفرهم، والمفهوم منها إن المؤمنين الصالحين تبكي عليهم السماء والأرض بعد

فقدهم ولنا تحقيق حول هذه القصة وآياتها في ج ١ من (دراسات موضوعية في الإمام

الحسين وعشرة محرم) نسأل الله أن يوفقتنا لنشره قريباً.

٧٩- راجع (الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١١٥-١١٧ فقد نقل عن عشرات المصادر

انقلاب العالم بأسره وتأثره بقتل الحسين (عليه السلام) وكذا (إقناع اللائم) للسيد الأمين

العاملي ص ١٠-٢٨ فانه نقل عن المصادر العديدة تأثر أنواع المخلوقات.

٨٠- راجع الحديث بطوله في (البحار) ج ٤٥ ص ١٧٩ نقلاً عن كتاب (كامل الزيارات) لابن

قولوية ص ٢٦٠، ونقله عنه أيضاً الدكتور عبد الجواد الكليدار في كتابه (كربلاء وحائر

الحسين) ص ٧٧، ونقله عن البحار الشيخ مهدي المازندراني في (معالي السبطين) ص ٨٣،

ونقله عن الكامل الشيخ جعفر نقدي في كتابه (زينب الكبرى) ص ٥٣، وقد ذكرناه بكامله في

كتابنا (دراسات موضوعية في الإمام الحسين وعشرة محرم) في المجلس الرابع من الفصل

الأول.

٨١- هذا ما أجاب به أمير المؤمنين (عليه السلام) اليهودي الذي سأله عن مسائل عديدة منها

سؤاله عن أول حجر وضع على وجه الأرض فقال (عليه السلام): وأما سؤالك عن أول حجر

وضع على وجه الأرض؟ فان اليهود يزعمون انه الحجر الذي ببيت المقدس وكذبوا إنما هو

الحجر الأسود الذي هبط به آدم معه من الجنة، فوضعه على الركن في البيت والناس

يستلمونه ويقبلونه ويجددون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله، وكان أشدّ بياضاً من الثلج

فأسود من خطايا بني آدم، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت... الخ، راجع أسئلة اليهودي في الغدير ج ٦ ص ٢٥١ نقلاً من كتاب (زين الفتى في شرح سورة هل آتى) للحافظ العاصمي، ونقلها الشيخ نجم الدين العسكري قي (علي والخلفاء) ص ١٣٨ عن (فرائد السمطين) باب ٦٦ وعن زين الفتى، ورواها الصدوق في (إكمال الدين) من طريقين من ص ٢٨٨- ص ٢٩٣.

٨٢- راجع (علل الشرائع) ص ٤٢٤ و ص ٤٢٧.

٨٣- مصادر القصة: (مستدرك الحاكم) ج ١ ص ٤٥٧، و(تلخيص المستدرك) في الذيل للذهبي، و(سيرة عمر) لابن الجوزي ص ١٠٦، و(عمدة القارئ) للعيني ج ٤ ص ٦٠٦، و(إرشاد الساري) للقسطلاني ج ٣ ص ١٩٥ نقلاً عن (تاريخ مكة) للزرقي، و(الدر المنثور) للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ نقلاً عن كل من الخجندي في (فضائل مكة) وأبي الحسن القطان في (المطولات)، والبيهقي في (شعب الإيمان) وغيرهم، و(الجامع الكبير) للسيوطي أيضاً كما في (تربيته) ج ٣ ص ٣٥ عن مصادر عديدة، ومنهم ابن حيان، و(الفتوحات الإسلامية) لاحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٤٨٦، و(شرح النهج) لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٢، و(كنز العمال) للمتقي الهندي الحنفي ج ٥ ص ٩٣، و(أخبار الدول) للأسحاقي ص ٣١، و(أرجح المطالب) للشيخ عبد الله الحنفي ص ١٢٢، وغير هؤلاء، راجع (الغدير) للأمني ج ٦ ص ٩٥، و(الإحقاق) ج ٨ ص ٢٠٨-٢١٠، و(علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري ص ١١٢- ١١٧، و(البحار) للمجلسي ج ٩٩ ص ٢١٦ وذكرنا القصة، ومصادرنا في كتابنا (الشفاء الروحي والجسمي في القرآن) تحت عنوان "قصة ظريفة تتعلق بتقبيل النبي(صلى الله عليه وآله) للحجر الأسود"، وتجد القصة مفصلاً في (البحار) ص ٢١٦-٢١٩.

٨٤- راجع (المراجعات) لشرف الدين رقم ٦ ص ٤٦ نقلاً عن (نهج البلاغة) ج ٢ ص ٣٦ عدد ١٤٠، والنصوص التي قالها أمير المؤمنين(عليه السلام) في هذه الخطبة جاءت متواترة عن أئمة الهدى في محاجاتهم، وأدعيتهم، وأحاديثهم، راجع (الشافى في شرح أصول الكافي) م ٣ ص ١٦٢ وغيره من المصادر.

٨٥- راجع ما مر من كتابنا هذا الحديث الثالث من الفصل الثالث ص ٦٠ في مصادر حديث الشجرة، وبعض نصوصه.

٨٦- ذكرنا تفسير سورة القدر مفصلاً في ثلاث بحوث في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ١ من ص ٥٩-٩٠ واستشهدنا بالآيات من سورة الدخان، وما ذكرناه هنا سنذكره مختصراً من ذلك المفصل، فراجعه فإنه مهم.

٨٧- (الخصال) ج ٢ ص ٤٨٠، و(إكمال الدين) ص ٢٧٢ ونقله عن المصدرين المجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٥، و(الغيبة) ص ١٠٠.

٨٨- (الخصال) ص ٤٧٩، و(إكمال الدين) ص ٢٩٩، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٢ ص ٢١٠، و(البحار) ج ٩٧ ص ١٥.

٨٩- (تفسير القمي) ج ٢ ص ٢٩٠، و(بصائر الدرجات) ص ٢٢١، والمجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٣.

٩٠- (تفسير القمي) ج ٢ ص ٣٧٦، و(البحار) ج ٩٧ ص ١٤.

٩١- (معاني الأخبار) ص ٣٠٠ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٨.

٩٢- المصدران السابقان.

٩٣- (بصائر الدرجات) ص ٢٢٠، و(البحار) ج ٩٧ ص ٢٤.

٩٤- المصدران السابقان.

٩٥- قول أمير المؤمنين: ألا ان خير شيعتي النمط الأوسط إليه يشير بعض السادة الشعراء وهو السيد عدنان شبر:

إمام الهدى وغيث الورى \*\*\* وسيدها الحاكم المقسطُ

إمام به هلك المبعضون \*\*\* وفي حبه هلك المفرطُ

كلا الجانبين عدو له \*\*\* وشيعته النمط الأوسطُ

٩٦- المراد من الحصانة، أي المتحصن بالدليل، والحصافة استحكام العقل فيجوز هذا، وذاك، والله العالم.

٩٧- أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٣٨، ومجالس المفيد ص ٤، وبشارة المصطفى ص ٥، وكشف

الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٧، والمحتضر للحلي ص ٢٩، والبحار ج ٦ ص ١٧٨ نقلاً عن أمالي

الشيخ، ومجالس المفيد، وسيأتيك إن شاء الله تمام الحديث في الفصل التالي.

٩٨- راجع (البحار) ج ٩٧ ص ١٩-٢٠ نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ٢٢٢.

٩٩- المصدران السابقان.

١٠٠- راجع (الشافعي في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢١٤.

١٠١- راجع (الدر المنثور) للسيوطي ج ٦ ص ٣٧١ و ص ٣٧٢، و(مفاتيح الغيب) ج ٨ ص ٤٦٩.

١٠٢- حديث شهير متفق عليه، ترويه الصحاح والسنن والمسانيد وكتب التاريخ والفضائل والمناقب، راجع مصادره، ومفاده وموارده كتاب (المراجعات) لشرف الدين من ص ١٥٠-١٧١.

١٠٣- (علل الشرائع) ص ١٨٢ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٠٦ و ج ٤٣ ص ٢٧٨.

١٠٤- (الشافعي في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢٦٢، و(الاختصاص) ص ٢٨١ و(بصائر الدرجات) ج ٧ ص ٣٢١.

١٠٥- راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج ٢ ص ١٣٨ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٢١٥.

١٠٦- راجع المحاجة بتفصيلها في كتاب (عيون أخبار الرضا) لشيخنا الصدوق ج ١ ص ٢٢٨-٢٤٠ باب ٢٣، كما ذكرها في كتابه (الأمالي) المجلس ٧٩ ص ٣١٢-٣١٩، وقد نقلها عن العيون الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٤٣-٤٦ من الباب الخامس. وراجع إذا شئت (البحار) للمجلسي ج ٢٣ ص ٢١٢-٢٢٨ باب "ان من اصطفاه الله من عباده، وأورثه الكتاب هم الأئمة(عليهم السلام) وقد ذكر واحداً وخمسين حديثاً من مختلف المصادر الموثوق بها على ان الذين اصطفاهم الله هم الأئمة، وان الآية الكريمة نازلة فيهم.

١٠٧- راجع الأصناف الثلاثة في كتابنا (فاطمة والمفضلات من النساء).

١٠٨- راجع (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) للسيد شرف الدين مطبوعة مع (الفصول المهمة) لشرف الدين ص ١٩٧-٢٠٣ في نزول آية المباهلة.

- ١٠٩- راجع كتاب (حياة أمير المؤمنين) للسيد محمد صادق الصدر ط ٢ من ص ١١٣-  
ص ١٢٥، و(الغدِير) للأميني ج ٣ ص ١٠٤-١١٦ و ص ١٥٣ و ص ١٥٤.
- ١١٠- راجع المصدرين السابقين (حياة أمير المؤمنين) ص ١٦٧-١٨٦، و(الغدِير))
- ١١١- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ من ص ٢٥٠-٢٥٥.
- ١١٢- راجع (الغدِير) ج ٦ ص ٥١-٣٣٥ في ترجمة الشاعر شمس الدين المالكي وما  
علق على شعره ومما علق عليه قوله
- وقال رسول الله إني مدينة\*\*\* من العلم وهو الباب والباب فاقصد  
وقد علق على حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها.. الخ وذكر مصادره ومن أخرجه وهم جمع  
كثير من الحفاظ وأئمة الحديث فذكر له مائة وواحد وأربعين مصدراً من ص ٥٤-٦٩  
فراجع.
- ١١٣- راجع (الأمالي) للصدوق ص ٢٠٥-٢٠٨ الخطبة بكاملها، والأسئلة التي سُئِل عنها  
وأجاب، و(التوحيد) ص ٢٢٣-٢٢٦، و(الاختصاص) للمفيد ص ٢٢٩-٢٣٤ و(الاحتجاج)  
للطبرسي ص ٣٨٤ ج ١ ونقلها المجلسي في (البحار) عن المصادر الأربعة ج ١٠ ص ١١٧،  
وراجع (إحقاق الحق) ج ٧ ص ٦١٠-٦٢٣ في اختصاصه يقول: سلوني قبل ان تفقدوني،  
وبعض مواردها من طرق أهل السُنَّة.
- ١١٤- كتاب سليم بن قيس من ص ٨٣-٨٧.
- ١١٥- (الشافعي في شرح الكافي) م ٣ من ص ١٦٣-١٦٦ والحديث ص ١٦٥ وروى الحديث  
أيضاً الصفار في (بصائر الدرجات) ج ٥ ص ٢٢٨.
- ١١٦- راجع (إحقاق الحق) في مصادر الحديث، ج ٥ الباب التسع من ص ٤٦٨-٥٠٠.
- ١١٧- المصدر السابق ج ٤ ص ٥٩.
- ١١٨- (إحقاق الحق) ج ٤ ص ١٢٢.
- ١١٩- (الشافعي) ج ٣ ص ١٦٧-١٧٥ والحديث ص ١٦٩.
- ١٢٠- الهواجر، جمع هاجرة، تكن الناس في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا لشدة الحر.
- ١٢١- المصدر السابق م ٣ ص ١٧٦-١٧٨، و(الاختصاص) للمفيد ص ٢٨٦ بتغيير يسير

ومن طريقٍ آخر.

١٢٢- (الشافعي) ج ٣ ص ١٨٤-١٨٨ و(بصائر الدرجات) ج ٤ ص ١٨٣ ط٢.

١٢٣- (الشافعي) ج ٣ ص ٢٢٤-٢٢٦.

١٢٤- (الشافعي) ج ٣ ص ١٧١، و(بصائر الدرجات) ج ٣ ص ١٣٥ من طريقين.

١٢٥- راجع التفصيل في كتابنا هذا من ص ٨٤-٩٨.

١٢٦- راجع (نخائر العقبي) لمحِب الدين الطبري الشافعي باب ذكر أنهم لا يقاس أحد بهم

ص ١٧ نقلاً عن المَلّا في سيرته، و(أرجح المطالب) للشيخ عبيد الله الحنفي ص ٣٣٠، نقلاً

عن ابن مردويه في (المناقب) و(كنز العمال) للمتقي الهندي الحنفي ج ١ ص ٢١٨، والشيخ

سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) نقلاً عن الملا ص ١٩٢، و(مقام أمير المؤمنين) للشيخ

نجم الدين العسكري ص ٤٩.

١٢٧- (أرجح المطالب) نقلاً عن الديلمي في (فردوس الأخبار)، ونقله عن الفردوس أيضاً

المتقي الهندي في (كنز العمال) ص ٢١٨.

١٢٨- (ينابيع المودة) ص ٢٥٣ نقلاً عن كتاب (مودة القربى) للسيد علي الشافعي.

١٢٩- راجع (الشافعي في شرح أصول الكافي) م ٣ ص ١٦٧ فيما ورد من تفسير الآية

الكريمة.

١٣٠- (مفتاح الجنات) ج ٣ من ص ٣٢٨-٣٣٥ وسائر كتب الأدعية.

١٣١- (راجع) (مفتاح الجنات) ج ٢ ص ٢١١ وسائر كتب الأدعية.

١٣٢- راجع (البحار) ج ١٠ ص ٣٧٧، وفي الحاشية (مصباح الزانر) ص ٩٣ و(مزار

الشهيد) ص ٣٠، و(مفتاح الجنات) ج ٢ ص ٢٩١، و ص ٢٨٥، و ص ٣٠٤، و ص ١١١ وغيرها

من كتب الأدعية.

١٣٣- (إحقاق الحق) ح ٤ من ص ٣٩٢-٤٠٦، و ج ٥ ص ٤-٦.

١٣٤- القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام) وألفه هو هذا المجموع بين الدفتين،

والموجود بين الناس من سورة الفاتحة إلى سورة الناس بلا زيادة ولا نقصاً، ولا تغيير ولا

تبديل، وهو الحجة الباقية على الناس أجمعين، وبه يحتج الله تعالى يوم القيامة على العباد،

وهو الحجة البالغة، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر/٩)، نعم وهذا القرآن الموجود بيننا - بالإجماع - لم يرتب على حسب نزوله كما هو معلوم لدى القاصي والداني، والذي جمعه كما هو موجود الآن هو النبي(صلى الله عليه و آله) مع جبرئيل (عليه السلام) كما ورد: ان جبرئيل كان يعارض النبي(صلى الله عليه و آله) بالقرآن كل عام مرة، وانه عارضه به عام وفاته مرتين، أي كان يُدرسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة - وهي المقابلة، ومنه: عارضت الكتاب أي قابلته (راجع مجمع البحرين ص ٣٣٠ كتاب الضاد، باب ما أوله العين، وراجع - فيمن جمع القرآن، وفي صيانة من التحريف، بصورة مفصلة - البيان في تفسير القرآن، لآية الله السيد الخوئي (ره) من ص ١٣٦-ص ١٨١، وكتاب (سلامة القرآن الكريم من التحريف)، لفضيلة العلامة الشيخ باقر القرشي).

ولا يخفى ان هذا الجمع - بهذا النظام - يقصر عنه جميع الناس، ولا يستطيعه أحد منهم ولا كلهم، لأنه فعل الله، وبأمر الله، وكما أن الله ليس كمثله شيء، فكذلك فعل الله ليس كفعله خلقه.

ومن هنا نرى ان القرآن - من أوله إلى آخره - مرتبط ببعضه ببعض، في آياته وسوره كلها، ويبيّن ذلك الارتباط الكثير من المفسرين المحققين كما هو معلوم لدارسي تفسير القرآن، ومزاولي علومه، ولو جمع على حسب نزوله - للقراءة - لكان غير مرتبط ببعضه ببعض، ذلك لاختلاف الموارد التي تنزل فيها آياته فتدبر.

أما أمير المؤمنين(عليه السلام) فقد جمعه - بأمر النبي(صلى الله عليه و آله) - جمعاً مرتباً على حسب نزوله لتفسيره، وتحقيق معارفه كلها، وهو(عليه السلام) أعلم - بعد النبي(صلى الله عليه و آله) بها كما هو معلوم، والحمد لله.

١٣٥- (المرجعات) رقم ١١٠ ص ٣٣٣، و(مؤلفوا الشيعة في صدر الإسلام) ص ١٣.

١٣٦- راجع (البيان) للسيد الخوئي ص ١٧٢، ففيه زيادة إيضاح ونصوص.

١٣٧- راجع الحديث بطوله في كتاب (سُلَيْم بن قيس) ص ٦٣-٧٢.

١٣٨- راجع (إثبات الوصية) للمسعودي ص ١٢١.

١٣٩- راجع (المجالس السننية) ج ٥ ص ٦٣٤.

١٤٠- المصدر السابق.

- ١٤١- راجع كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) للسيد حسن الصدر ص ٣١٦.
- ١٤٢- راجع كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) للسيد حسن الصدر ص ٣١٦.
- ١٤٣- (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج ١ ص ٦٧ ونقله عنه السيد الفيروز أبادي في (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج ٣ ص ٥١، ونقله السيوطي في (الإتقان) عن الحلية، وعن الخطيب في (الأربعين)، ونقله عن الإتقان السيد حسن الصدر في (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) ص ٣١٦.
- ١٤٤- ذُكرت هذه الروايات في (بصائر الدرجات) تأليف الإمام محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة تسعين ومائتين وهو شيخ المحدثين القميين وقد أدرك الإمام الحسن العسكري، وقد كتب إليه بمسائل وتشرف بالجواب منه عليها، وذكرت هذه الروايات أيضاً في (الكافي) للكليني و(الوافي) للمولى محسن الفيض، وذكر هذه الروايات المجلسي في (البحار) ج ٧ من الطبع القديم باب جهات علومهم من ص ٢٨٦-ص ٣٢٢.
- ١٤٥- راجع (بصائر الدرجات) ج ٣ ص ١٤٢، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢٠٢.
- ١٤٦- (بصائر الدرجات) ج ٣ ص ١٤٢.
- ١٤٧- (بصائر الدرجات) ج ٣ ص ١٥٠، و(الشافى في شرح الكافي) ص ٢٠٠.
- ١٤٨- راجع (بصائر الدرجات) ج ٣ ص ٥٣ أو ص ١٥١، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢٠٠ و ص ٢٠٢.
- ١٤٩- راجع مصادر الحديث ونصوصه في كتاب (أبو هريرة) لآية الله السيد عبد الحسين شرف الدين ص ١١٩-١٣٥ ط بيروت/ المعارف.
- ١٥٠- (مفتاح الجنات) ج ٢ ص ٢١٢ من زيارة الجامعة الكبيرة.
- ١٥١- راجع مصادر الحديث في كتابنا (قبس من القرآن) ص ٢٣ فقد نقلناه عن (الصواعق المحرقة) ص ٩٠، و(نخائر العقبي) ص ١٧، نقلاً عن الملا في سيرته، و(ينابيع المودة) ص ٢٩٧، و(شرف النبوة) لأبي سعيد كما في (الصواعق) ص ١٤١، ورواه من علمائنا الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) ج ١ ص ٣٣٠ عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) ونصّه: ان في كل خلفٍ من أمتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وان أنتمكم وفودكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا من

تفتدون في صلاتكم ودينكم.

## الفصل الخامس

### تحقيق حضور النبي والأنمة عند المحتضرين

روي عن النبي(صلى الله عليه و آله) أنه قال: أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرافيل ثم ميكائيل ثم جبرئيل، وأول من أحبه من أهل السماء حملة العرش ثم رضوان خازن الجنان ثم ملك الموت وان ملك الموت ليرحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء(١).

يا لها من درجة عالية، ومنزلة راقية، وميزة عظيمة، ونعمة من الله تعالى جسيمة لمحبي علي أمير المؤمنين(عليه السلام) حيث ان ملك الموت يترحم عليهم – عند قبض أرواحهم – كما يترحم على الأنبياء الذين هم أفضل خلق الله عز وجل حسب نص هذا الحديث الشريف الذي رواه الخاص والعام بأسانيدهم عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود:

### وصية النبي(صلى الله عليه و آله)وأهل بيته ملك الموت بمحبهم

وإنما يترحم ملك الموت عليهم لان النبي(صلى الله عليه و آله) والأنمة إذا حضروا محبهم حال احتضاره يوصون ملك الموت به، فإذا ترحمه على المحبين لا من نفسه بل بوصية من النبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته.

وهذا ليس بغريب ولا عجيب من لطف أهل البيت وحنانهم لمحبيهم، لأن العادة قضت ان المحب الحقيقي يحضر عند محبوبه في وقت محتته وبلانه ليكون مساعداً له على ذلك. وليت شعري أي محنة وبلاء أعظم من ساعة انتزاع الروح من الجسد ومفارقة الأحباب والمال والجاه والحياة التي هي أعلى كل شيء.

ومعلوم ان رسول الله(صلى الله عليه و آله) والأنمة هم مثال العطف والحنان والرعاية والإحسان لشيعتهم ومحبيهم لذا يحضرون عندهم – وهم أحياء عند ربهم يرزقون – في مثل هذا المأزق الحرج والظرف العصيب ليكونوا مساعدين لهم ومنقذين لهم من ذلك البلاء،

ومبشرين لهم بالخير العميم الذي سيقدمون عليه في عالمي البرزخ والقيامة.  
يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لمسمع بن عبد الملك البصري وكان من شيعته: يا مسمع  
أما أنك ستري - عند موتك - حضور آبائي لك، ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من  
البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمة لك من الأم الشفيقة  
على ولدها (٢).

### من شؤون إمامة النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة حضورهم عند المحتضرين

وحضورهم (عليهم السلام) لم يكن عند المحتضرين من محبيهم فقط، بل يحضرون عند كل  
محتضر مؤمن وكافر محب ومبغض، إذ أنّ من شؤون إمامتهم العامة - على جميع الناس -  
حضورهم عند كل محتضر ليبشروا المؤمن المحب بحسن العاقبة والجنة، والكافر المبغض  
بسوء العاقبة والنار.

وقد تواتر هذا المعنى في أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الأطهار بتفصيل  
تارة، واختصار تارة أخرى، ومن تلك التفاصيل التي تفصل كيفية حضورهم عند المحتضرين  
ما رواه جَلّ علماننا كالكليني في (الكافي)، وابن شعبة في (تحف العقول)، وفرات بن إبراهيم  
في (تفسيره) وغيرهم من طرق عديدة بأسانيدهم عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال  
لجماعة من شيعته المؤمنين:

"منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر، انه ليس بين أحدكم وبين أن يُعْتَبَطَ، ويرى السرور وقرّة  
العين إلّا ان تبلغ نفسه ههنا - وأوماً بيده إلى حلقه - ثم قال: انه إذا كان ذلك وأحتضر،  
حضره رسول الله (صلى الله عليه و آله) وعلي وجبرئيل وملك الموت (عليه السلام) فيدنو منه  
علي (عليه السلام) فيقول: يا رسول الله ان هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول  
الله (صلى الله عليه و آله) يا جبرئيل ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه،  
ويقول جبرئيل لملك الموت: ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وأرفق به  
فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكأك رقبتك؟ أخذت أمان براعتك؟ تمسكت  
بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ قال: فيوفقه الله عزّ وجلّ فيقول: نعم، فيقول وما ذاك؟  
فيقول: ولاية علي بن أبي طالب فيقول: صدقت: أمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركته، ابشر

بالسلف الصالح مرافقة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و علي وفاطمة (عليهما السلام) ثم يسئل نفسه سلاً رقيقاً.

وفي بعض طرق الحديث قال الإمام الصادق (عليه السلام): ويناديه منادٍ من بطنان العرش يُسمعه ويُسمع من بحضرتة، "أي الذين حضروا قبض روحه من النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته والملائكة"، (يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر/٢٨-٣١].

وقال الإمام (عليه السلام): (يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده، (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً) بالولاية (مَرْضِيَّةً) بالثواب، (فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي) محمد وأهل بيته، (وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) غير مشوبة، أي غير مخلوطة، بكدر وهرم وما شاكل ذلك (٣).

ثم قال الإمام الصادق (عليه السلام) ثم يُنزل بكفنه من الجنة وحنوطه من الجنة بمسكٍ أذفر، فيكفّن بذلك الكفن، ويُحنط بذلك الحنوط، ثم يكسى حلّةً صفراء من حلل الجنة، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها، ثم يفتح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثم يقال له: نم نومة العروس في فراشها، ابشر بروح وريحانٍ وجنةٍ ونعيم، وربٍّ غير غضبان، ثم يزوره آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلتبون زمراً زمراً (٤).

فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المحلون "أي الذين لا يرون حرمة الأئمة ولا يتابعونهم" وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير، ونجا المقربون، من أجل ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلي: {أنت أخي، وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام}.

ثم قال الإمام (عليه السلام) في بقية حديثه: وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله (صلى الله عليه و آله) و علي وجبرئيل وملك الموت "أي كما يحضرون عند المحب المؤمن كذلك يحضرون عند المبغض الكافر" فيدنو منه علي (عليه السلام) فيقول: يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا أهل البيت فابغضه، ويقول رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا جبرئيل ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف به، ويقول جبرئيل: يا ملك الموت ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف به (٥).

فيديو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براعتك من النار؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول: ابشر يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار، أما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسأل نفسه سلاً عنيفاً، ثم يوكل الله بروحه ثلثمائة شيطان كلهم ييزق في وجهه، ويتأذى بروحه، فإذا وضع في قبره فُتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قبحها ولهبها(٦).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومروية عن النبي(صلى الله عليه وآله) وهذا التفصيل الوارد عن الإمام الصادق(عليه السلام) وورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين(عليهم السلام) مختصراً حيث قال(عليه السلام): والله لا يحبني عبدٌ أبداً فيموت على حبي إلا رأني عند موته حيث يحب، ولا يبغضني عبدٌ أبداً فيموت على بغضي إلا رأني عند موته حيث يكره(٧).

والأحاديث هي هذا المعنى كثيرة ومروية عن النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين، وبعضها مروى من طرق أهل السنة، وإليك هذا الحديث الذي رواه أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) بسنده عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): {والذي نفسي بيده، لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة، أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت ويراني ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به فإنه كان يحبني وأهل بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت شدّد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي ثم قال (صلى الله عليه وآله): لا يحبنا إلا مؤمن، ولا يبغضنا إلا منافق شقي(٨).

وينقل عن أمير المؤمنين(عليه السلام) انه قال لولده الحسن: أعلم يا بني انه لا تموت نفس في شرق الأرض وغربها إلا وأبوك حاضرها(٩).

وقال(عليه السلام) للحارث الهمداني وكان من خلص شيعته وأصحابه: يا حارث ابشر ليعرفني- والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - وليي وعدوي في مواطن شتى عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة، فقال الحارث: يا أمير المؤمنين وما المقاسمة؟ فقال(عليه السلام): مقاسمة النار أقاسمها قسمةً صحاحاً، أقول هذا وليي وهذا عدوي(١٠).

وإلى هذا يشير السيد الحميري حيث يقول:

قول علي لحارث عجباً \*\*\* كم ثم أعجوبة له حملاً

يا حار همدان من يمت يرني \*\*\* من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلاً

يعرفني طرفه وأعرفه \*\*\* بنعته واسمه وما عملاً (١١)

وأنت عند الصراط تعرفني \*\*\* فلا تخف عثرةً ولا زللاً

أسقيك من باردٍ على ظمأً \*\*\* تخاله في الحلاوة العسلاً

أقول للنار حين توقد للعرض \*\*\* دعيه لا تقربي الرجل

دعيه لا تقربه إن له \*\*\* حبلاً بحبل الوصي متصلاً

هذا لنا شيعة وشيعتنا \*\*\* أعطاني الله فيهم الأمل (١٢)

### حضور النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة عند المحتضرين بأدلة القرآن المجيد

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ حضور النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عند

المحتضرين – ولا سيما المؤمن – مشار إليه في القرآن المجيد الذي فيه تبيان كل شيء –

بآياتٍ عديدة منه، كما في كثيرٍ من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ومنها ما مرّ ذكره

علينا عن الإمام الصادق (عليه السلام) ي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي

إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً) حيث يقول الإمام: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) أي إلى محمد ووصيه

والأئمة من بعده، (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً) أي بالولاية، (مُرَضِيَةً) أي بالثواب، (فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي) محمد وأهل بيته، (وَادْخُلِي جَنَّاتِي) أي معهم... الخ.

ومن الآيات التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخْرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس/٦٤-٦٥].

وبيان ذلك نقول:

صرّحت هاتان الآيتان بأن (الَّذِينَ آمَنُوا)، أي صدّقوا بالله واعترفوا بوحدانيته، وبوعده

ووعيده على لسان رسوله، (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي يحذرون معاصيه، (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْأَخْرَةِ) ومما لا ريب فيه ان الله بشرّ عامّة المؤمنين المتقين في هذه الدنيا في

القرآن على إيمانهم وتقواهم مثل قوله تعالى مخاطباً رسوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [البقرة/ ٢٩]، وقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [يونس/ ٤]، إلى غير ذلك من الآيات، وقد قام النبي (صلى الله عليه و آله) – امتثالاً لأمر ربه – بالبشائر العديدة للمؤمنين المتقين، كما قام بالإنذار للكافرين والعاصين وهو البشير النذير.

وهذا لا ريب فيه، ولكن المؤمن المتقي هل يحصل عنده الجزم واليقين بصورة قطعية بأنه سيموت مؤمناً متقياً؟ وسيحظى بتلك البشائر التي بُشِّرَ بها في الدنيا؟ لا، ولكن يرجو تحصيل تلك البشائر، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزوع روحه وظهور ملك الموت له (١٣).

نعم لا يحصل اليقين بعد الرجاء للمؤمن إلا في وقت واحد وهو حضور أجله، إذا حضره نبيه وأهل بيته مع جبرئيل وملك الموت، فعند ذلك يبشرونه جميعاً – بصورة جزمية – بما سيقدم عليه من النعيم الخالد.

وهذا ما ذكرته الأخبار بصراحة، وأشار إليه القرآن المجيد بقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي تتأكد لهم البشرى فيها عند الاحتضار، (وَفِي الْآخِرَةِ) أي يوم القيامة عند خروجه من قبره، وفي حشره، وقوله تعالى: (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أشار به إلى ان تلك البشارة من القضاء المحتوم الذي لا يتغير ولا يتبدل، أي لا بد من وقوعها عند الاحتضار وفي القيامة، حيث وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الآيتين بالخصوص أخبارٌ عديدة، ومن تلك الأخبار ما رواه العياشي في (تفسيره)، وأبو جعفر البرقي في (المحاسن)، والكليني في (الكافي) وغيرهم عن عقبة بن خالد قال: دخلت أنا والمعلی بن خنيس على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تُقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه وأوماً بيده إلى رقبته ووریده ثم اتكأ "أي الإمام" وغمزني المعلی أن سألته، فقلت: يا بن رسول الله إذا بلغت نفسه الى هذه فأی شيء يرى؟ فقال (عليه السلام): يرى، فقلت بضع عشر مرة: أي شيء يرى؟ فقال في آخرها: يا عقبة، فقلت: لبيك وسعديك،

فقال: أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت نعم يا بن رسول الله إنما ديني مع دمي "أي ديني مقرون بحياتي، ومع عدم الدين فكأني لست بحي" فقال الإمام عند ذلك: يراهما والله، فقلت: بأبي وأمي من هما؟ فقال: (هما) رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام): يا عقبه لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما، فقلت: إذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ قال: لا بل يمضي أمامه، فقلت له: يقولان له شيئاً جعلت فداك؟ فقال: نعم، يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله عند راسه، وعلي عند رجليه، فيكبو عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: يا ولي الله ابشر أنا رسول الله، إنني خير لك مما تترك من الدنيا ثم يكبو عليه علي فيقول: يا ولي الله ابشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني أما لا نفعك ثم قال الإمام الصادق (عليه السلام): أما ان هذا في كتاب الله، قلت: جعلت فداك أين هذا من كتاب الله؟ قال: في سورة يونس (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١٤).

ومثل هذا الحديث وارد أيضاً عن عبد الرحيم القصير وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (١٥).

وكما يبشر المؤمن المتقي عند موته بما تقر به عينه كذلك يبشر الفاجر الشقي بما أعد له من الخزي والعذاب كما ورد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: كل نفس ذائقة الموت ومبشورة كذا أنزل بها على محمد (صلى الله عليه وآله) انه ليس أحد من هذه الأمة إلا ويبشرون، فأما المؤمنون فيبشرون إلى قرة عين، وأما الفجار فيبشرون إلى خزي الله إياهم (١٦).

وقد يظهر لكل من الطرفين ما يبشران به عند حضور المنية، وحضور النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت عندهما، بحيث روى الفضيل بن يسار عن الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) إنهما قالوا: حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة، محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقر عينها، أو تسخن عينها (١٧).

الاستدلال العلمي على حضور النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عند كل محتضر ولو قال قائل: كيف يحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وأهل البيت عند كل ذي روح محتضر، مؤمن وكافر محب ومبغض؟ وكيف تؤمن به وذلك يخالف الحس والوجدان

من جهة، والعقل من جهة أخرى؟، أما مخالفة الحس والوجدان فلأننا نحضر الموتى عند حضور آجالهم إلى قبض أرواحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأما مخالفة العقل فلأنه يمكن قبض أرواح الآلاف من الناس في آن واحد في أمكنة متعددة من شرق الأرض وغربها فكيف يحضرون عند كل من يموت في الشرق والغرب؟

فالجواب عن الأول وهو مخالفة الحس، فنقول:- ان الله قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا دون أبصار المحتضرين لضرب من المصلحة - وهو على كل شيء قدير - والدليل على ذلك ما ورد في أخبار أهل السنة والشيعه في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) [الإسراء/٤٦].

فقد ورد ان الله تعالى طالما أخفى شخص النبي (صلى الله عليه و آله) عن أعين أعدائه مع أن أولياءه كانوا يرونه وينظرون إليه.

قال الطبرسي في (مجمع البيان): (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) يا محمد (جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) وهم المشركون، (حِجَابًا مَسْتُورًا) قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحرث، وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه (١٨).

وقال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ما نصه: أخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) الآية قال: ذاك رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا قرأ القرآن على المشركين بمكة سمعوا صوته ولا يرونه (١٩).

وجاءت في هذا المعنى أخبار كثيرة (٢٠).

وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون مفهوم واضح من نفس الآية الكريمة فتدبرها: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) وقد وقع حجب أبصار المشركين عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) دون أبصار المؤمنين حفظاً لنبيه من أذاهم مراراً عديدة ومن ذلك ما أجمع عليه المفسرون والمؤرخون من حجب أبصار المشركين عن رؤيتهم للنبي (صلى الله عليه و آله) ليلة هجرته من مكة إلى المدينة، حيث كانت قريش قد بيّته في داره واجتمعت على باب الدار وهم حوالي أربعون نفرأ أو أقل يريدون قتله، وقد أوحى الله تعالى إليه أن يخرج من الدار عند اجتماعهم على بابها وأن يهاجر، فخرج (صلى

الله عليه و آله) امتثالاً لأمر ربه وقد تناول قبضة من التراب ووضع منه على رأس كل واحد منهم وهو يقرأ قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [يس/٩] وسار من بينهم ولم يره أحد منهم (٢١).

وشاهدنا من كل ذلك أنّ الله قادرٌ على أن يحجب أبصار الحاضرين دون أبصار المحتضرين

عن رؤية النبي وأهل بيته في حالة الاحتضار كما حجب أبصار المشركين عن رؤية النبي (صلى الله عليه و آله) دون المؤمنين هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي ان الله جلّ وعلا يزيد أبصار المحتضرين قوة عند حضور آجالهم، ويكشف لهم الحجب ويزيل عنهم الأغطية، وبذلك يختصون - دون غيرهم - بروية النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) ورؤية أعمالهم مع جزائها من النعيم أو الجحيم، وقد أشار القرآن المجيد إلى هذا المعنى بقوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (١٩) (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) (٢٠) (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (٢١) (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [ق/٢٠-٢٣].

أي حادٌ قويٌ ولذلك لا تقبل ولا تصح التوبة منه عند حضور أجله وكشف الحقائق له، كما قال تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (١٧) (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء/٢٧-٢٨]، وإلى كشف الحجب والأغطية للإنسان - عند حضور أجله، وكذلك يوم القيامة - ومشاهدة الحقائق بينهما - يشير إمامنا علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله الشهير: { لو كُشِفَ لي الغطاء ما أزددت يقيناً }.

وأما الجواب عن الإشكال الثاني وهو: كيف يحضرون عند كل من يموت في الشرق والغرب؟ وقد يموت الألوفاً أو الملايين من الناس في آنٍ واحدٍ في أمكنة متعددة في شرق الأرض وغربها؟

فنقول: ان الإشكال يكون صحيحاً فيما إذا كان حضورهم (عليهم السلام) حضوراً بأجسادهم المادية المكوّنة من لحمٍ وعظمٍ، والحال ان حضورهم روحياً إمّا في قالب أو قالب مثالية

لأجسادهم الطاهرة لا بأجسادهم نفسها فحينئذ ينحل الإشكال، لأن الأرواح لها قابلية التنقل في الشرق والغرب في الدنيا والآخرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يكون المراد - والله أعلم - ان صورهم المثالية لهياكلهم المقدسة تتجلى - طبق الأصل تماماً - لكل محتضر مؤمن وكافر، محب ومبغض كما تتجلى صورة الشيء في المرآة ولكن مع أرواحهم الشريفة، وما أكثر الدلائل الفعلية والوجدانية التي يستدل بها على ذلك ووقوعها بالفعل ومنها ما اخترعه المخترعون من أهل الشرق والغرب من الأقمار الاصطناعية وآلاتها المنوعة، وآلات التلفاز والفيديو وغيرها التي - بواسطة الكهرباء، وما أودع الله في هذا الفضاء من قابلية - تصوّر لمقتنيها والحاضرين عندها صورة الأشياء وصورة المذيع أو المذيعة وتسميعهم صوته، وتريهم حركاته وسكناته طبق الأصل في سائر أنحاء العالم، بل بواسطة الأقمار الاصطناعية وآلاتها يصورون لأهل الأرض ما في السماء وما في السماء لأهل الأرض. هذا ما اخترعه المخترعون من غربيين وشرقيين وأين مزاياهم من مزايا المبدع المكون، وفي الحقيقة لم يتوصل المخترعون لهذه المخترعات وأمثالها التي كانت غاية في الإبداع والدقة - إلا من فيض واجب الوجود الذي صرح في كتابه الكريم: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق/6]، أفترى أن الله الذي خلق كل شيء وهو على كل شيء قدير يعجزه ان يرى المحتضر مثلاً كاملاً لرسوله وأهل بيته مع أرواحهم الشريفة؟ ليرى محبهم جزاء محبته لله ولرسوله وأهل بيته؟ ويرى مبغضهم أيضاً جزاء بغضه لهم، كما قد وردت نصوص عديدة تصرح بأن المحتضر يمثل له النبي(صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار، ومن تلك النصوص ما رواه جَلَّ علمانا المحدثين كالكليني والصدوق، وابن شعبة، وغيرهم بأسانيدهم عن سدير الصيرفي قال: لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله انه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً(صلى الله عليه و آله) نبياً لأننا أوبر بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: ويمثل له رسول الله(صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر وينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة فيقول له: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) إلى محمد

ووصيّه وأهل بيته، (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً) بالولاية (مَرْضِيَّةً) بالثواب، (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) يعني محمداً وأهل بيته، (وَادْخُلِي جَنَّتِي) فما من شيءٍ أحب إليه من استدلال روحه واللحوق بالمنادي (٢٢).

ومن النصوص التي تصرح بأن المحتضر يُمثل له النبي (صلى الله عليه وآله) وسائر أصحابه إلى الله أحياناً كانوا أو أشراراً ما رواه الكليني في (أصول الكافي) بسنده عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انظروا من تحدثون فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلا مُثِّل له أصحابه إلى الله، وفي نص: مثَّلت له أصحابه في الله ان كانوا أحياناً فخيراً، وان كانوا أشراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلا تمثَّلت له عند موته (٢٣).

ومن جهة الثالثة يمكن أن يكشف الله الحجب ويزيل الأغطية عن أبصار المحتضرين ويريهم النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته بأجسادهم الطاهرة الأصلية، وأرواحهم المقدسة، ويسمعهم أيضاً كلامهم ويريهم سائر حركاتهم وسكناتهم (عليهم السلام) في جناتهم ومقامهم السامي عند ربهم.

ونستدل على هذا المعنى من عظيم قدرة الله عزَّ وجلَّ الباهرة بما قصّه الله لنا في القرآن المجيد من إنه تبارك وتعالى يُطلع أهل الجنة - وهم في الجنة - على أهل النار، كما يطلع أهل النار - وهم في النار - على أهل الجنة، ويخاطب بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم خطاب بعض، بالرغم مما بينهم من بعد المسافات وكثرة الحجب التي لا يعلمها إلا الله.

وهذا المعنى قد استعرضه الله سبحانه وآيات عديدة من القرآن المجيد منها قوله تعالى في سورة الأعراف: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) إلى قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) [الأعراف/٤٥-٥١].

ومن الآيات التي تصرح بتساؤل أهل النار قوله تعالى في سورة المدثر: (فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ) (٤٠) عَنْ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) [المدثر/٤١-٤٤]، ومنها في سورة الصافات مما يجري فيما بين أهل الجنة من

التساؤل: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَيْنَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِي (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ [الصفافات/٥١-٥٨].

ومنها في سورة المطففين حيث يصف أهل الجنة وانهم في جناتهم يشرفون على أهل النار ينظرون إليهم ويضحكون عليهم بقوله تعالى: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَانِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤبَى الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المطففين/٣٥-٣٧].

أي هل جوزي الكفار ما كانوا يفعلون؟ فيأتيهم الجواب منهم: نعم هذا عذابنا هو جزاء فعلنا.

### المكتشفات العلمية، ومشاهد عالمي البرزخ والقيامة

وهكذا استعرض الله سبحانه في كتابه المجيد، والنبى وأهل البيت (عليهم السلام) في أحاديثهم الشريفة كثيراً من مشاهد عالمي البرزخ والقيامة، وعالمي الجنة والنار وصوّروا لنا تلك المشاهد الغيبية تصويراً حسيّاً متحرّكاً، وتلك المشاهد كان المسلمون والمؤمنين يؤمنون بها ويصدقونها لعلمهم ان الله على كل شيء قدير، ولكن شاء الله – في قرننا هذا – ان تظهر للناس أمثلة رائعة لتلك الحقائق والمشاهد الغيبية بواسطة المكتشفات العلمية الحديثة التي جاءت مدعمة ومؤيدة لما جاء به الدين القويم في كتابه، وعلى لسان رسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

ولكن – ممّا يبعث على الأسف والأسى أنه – كلما ازدادت تلك المكتشفات العلمية وتجيئ مؤيدة لما جاء به الدين يبتعد الناس أكثر عن الدين اتّباعاً للنفس الأمارة بالسوء، وركوناً إلى الدنيا وزينتها الخداعة، واستجابة لدعوة شياطين الإنس والجن دون الاستجابة لله ولرسوله التي بها حياتهم الحقيقية في الدنيا والآخرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال/٢٥].

إمارات وتصريحات على ألسن بعض المحتضرين

وعلى كلِّ حضور النبي(صلى الله عليه و آله) والأئمة الأطهار من أهل بيته قد جاءت به الأخبار الكثيرة المتواترة تواتراً قطعياً، والتي نقلنا بعضها ممّا فيه الكفاية، والتي أشار إليها القرآن المجيد، وأيدها العلم الحديث.

كما جاءت إمارات وتصريحات واضحة جلية على ألسن بعض المحتضرين تدل على مشاهدتهم للنبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته منها:

### قصة السيد الحميري فيما جرى له عند وفاته

من تلك الإمارات الدالة على ذلك قصة السيد الحميري وما جرى له وما صدر عند وفاته وهي قصة شهيرة رواها الخاص والعام وشاهدها كل من كان حاضراً عنده من المحبين والمبغضين وجاءت بطرق عديدة عن بعض الحاضرين عنده فمنها.

ما رواه الشيخ الطوسي في (أماليه)، وابن شهر آشوب في (المناقب)، وعلي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) وغيرهم كثير مسنداً عن علي بن الحسين بن عون عن أبيه انه قال: دخلت على السيد الحميري عانداً له في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة، عريض ما بين السالفتين(٢٤).

فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه اسوداداً فاغتم لذلك من حضر من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث على ذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد بيباضاً وتنمي حتى أسفر وجهه وأشرق واقترب السيد ضاحكاً(٢٥).

وأنشأ يقول:

كذب الزاعمون ان علياً\*\*\* لا ينجي محبته من هنات(٢٦)

قد وربّي دخلت جنة عدن\*\*\* وعفى لي الإله عن سيئاتي

فابشروا اليوم أولياء علي\*\*\* وتولّوا عليّ حتى الممات

ثم من بعده تولوا بنيه\*\*\* واحداً بعد واحد في الصفات

ثم اتبع قوله هذا: اشهد ان لا إله إلا الله حقاً وأشهد ان محمداً رسول الله حقاً وأشهد ان علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، أشهد ان لا إله إلا الله. ثم غمض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة طُفنت أو حصاة سقطت (٢٧).

قال الراوي علي بن الحسين بن عون: قال لي أبي الحسين بن عون: وكان أديناً حاضراً، فلما شاهد ما شاهد مما جرى للسيد عند احتضاره، فقال: الله أكبر ما من شهد كمن لم يشهد أخبرني - وإلا صمتاً - الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وعن ابنه جعفر (عليهما السلام) انهما قالوا: حرام على روح ان تفارق جسدها حتى ترى الخمسة محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقر عينها أو - تسخن عينها، فانتشر الحديث في الناس، وشهد جنازة السيد - والله - الموافق والمفارق (٢٨).

وممن شاهد حالة السيد عند احتضاره بشير بن عمار، وحدث بما شاهد، وذكر حديثه المؤرخون ومنهم أبو الفرج الاصفهاني في كتابه (الأغاني)، ونقل عنه الشيخ الأميني في (الغدِير) قال بشير بن عمار: حضرت وفاة السيد في الرميّة ببغداد (٢٩).

فوجه رسولاً - قبل وفاته - إلى جماعة الكوفيين يعلمهم بحاله، وقرب وفاته، فغلط الرسول فذهب إلى جماعة من غيرهم، فشتموه ولعنوه، فعلم الرسول أنه غلط فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفنًا، قال: وحضرناه جميعاً، وانه ليتحسر تحسراً شديداً، وان وجهه لأسود كالفار، وما يتكلم، إلى ان أفاق أفاقة وفتح عينيه، فنظر إلى ناحية القبلة "جهة النجف الأشرف" ثم قال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليك؟ قالها ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى، قال: فتجلى والله في جبينه عرق بياض فما زال يتسع ولبس وجهه حتى صار كآلة البدر، وتوفي، فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنيّة (٣٠)، ببغداد وذلك في خلافة الرشيد (٣١).

وممن نقل حالة السيد عند احتضاره أبو سعيد محمد بن رشيد الهروي، وقد ذكر حديثه كل من ابن الشيخ الطوسي في (أماليه)، والكشي في (رجالهم)، والطبري الإمامي في (بشارة المصطفى) مسنداً عن أبي سعيد الهروي: ان السيد أسود وجهه عند الموت فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ قال: فأبيض وجهه كأنه القمر ليلة البدر، وآخر شعر قاله السيد

الحميري قبل وفاته:

أحب الذي مَن مات من أهل وده\*\*\* تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك  
ومن مات يهوى غيره من عدوه\*\*\* فليس له إلا إلى النار مسلك  
أبا حسن أفديك نفسي وأسرتي\*\*\* ومالي وما أصبحت في الأرض أمك  
أبا حسن إني بفضلك عارف\*\*\* وأني بحبل من هواك لممسك  
وأنت وصي المصطفى وابن عمه\*\*\* فإننا نعادي مبغضك ونترك  
ولاح لحاني في علي وحزبه\*\*\* فقلت لحاك الله إنك أعفك (٣٢)  
موالك ناج مؤمن بين الهدى\*\*\* وقاليك معروف الضلالة مشرك (٣٣)

السبب في اسوداد وجهه أولاً وإشراقه ثانياً

وهنا قد يُتساءل ويقال: لم اسود وجه السيد أولاً؟ ثم أبيض حتى أسفر وجهه ثانياً؟  
فالجواب واضح، وهو ان السيد الحميري – ومما لا ريب فيه – كان أولاً كيساني العقيدة  
يقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد إمامة علي والحسن والحسين، ويعتقد غيبته وله في ذلك  
شعر معروف، ثم أدركته السعادة ببركة الإمام الصادق(عليه السلام) حيث رأى منه علامات  
الإمامة، وشاهد منه دلائل الوصية، وسأل الإمام عن الغيبة فذكر له: إنها حق، ولكنها تقع  
في الثاني عشر من الأنمة(عليهم السلام) وأخبره بموت محمد بن الحنفية، وان أباه محمد بن  
علي الباقر(عليه السلام) شاهد دفنه، فرجع السيد الحميري عن مقالته واستغفر الله من  
اعتقاده، ورجع إلى الحق عند اتضاحه له، ودان الله بالإمامة، وقال في ذلك أشعاراً كثيرة  
ومنها قصيدته التي يقول فيها:

تجعفرت باسم الله والله أكبر\*\*\* وأيقنت ان الله يعفو ويغفر

ودنت بدين غير ما كنت دابناً\*\*\* به ونهاني سيد الناس جعفر

ومعلوم ان السيد كان شخصية لامعة، وهو كما عبر عنه الإمام الصادق(عليه السلام) بسيد

الشعراء(٣٤).

كما انه كان – ولا سيما بعد تصحيح مذهبه – عظيم الولاء لأهل البيت لذلك وغير ذلك شاء

الله أن تكون له هذه المكرمة الخالدة تذكر له مدى الدهر وتكون تلك المكرمة – من جهة

تشير إلى ضلاله أولاً، واهتدائه إلى الحق أخيراً لذلك، - عند احتضاره اسود وجهه ثم ابيض وأشرق.

ومن جهةٍ أخرى كانت بذلك عبرة واضحة للناس بحسن عاقبته بسبب ولانه الخالص الأخير لأئمة الهدى، وانهم قد حضروه عند احتضاره وأنقذوه بشفاعتهم له عند الله، كما قد أشار إلى ذلك بشعره بعد ما ابيض وجهه بقوله:

كذب الزاعمون ان علياً\*\*\* لا ينجي محبه من هنات

فقصته فيها إمارة واضحة على حضور النبي وعلي وأهل البيت عند محبتهم حال احتضاره من حيث يحب (٣٥).

قصة خطاب الجهني واستغاثته عند احتضاره

وبالعكس هناك إمارات وتصريحات تدل على حضورهم عند مبغضهم من حيث يكره، ومن ذلك ما رواه الكليني في (فروع الكافي)، والحسن بن علي بن شعبة في (تحف العقول) وغيرهما مسنداً عند ابن أبي يعفور قال: كان خطاب الجهني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمد (صلى الله عليه و آله) وكان يصحب نجدة الجروري قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية فإذا هو مغمى عليه في حد الموت، فسمعتة يقول: مالي ولك يا علي؟ فأخبرت بذلك أبا عبد الله (عليه السلام) فقال أبو عبد الله: رآه ورب الكعبة، رآه ورب الكعبة، رآه ورب الكعبة (٣٦).

فخطاب لو لم يكن قد شاهد علياً - عند احتضاره - من حيث يكره لما استغاث قائلاً: مالي ولك يا علي؟ فنسأل الله - بنيات صادقة - ان يرزقنا حسن العاقبة والممات على ولاية الله ورسوله وأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) إذا الإنسان مات على الولاية نجا وفاز وإلا هلك وخاب وخسر خسران الأبد.

قصة واقعية، في رؤيا صادقة

وبهذه المناسبة أسجل قصة واقعية حدثني بها فضيلة العلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وقد نقلها لي:

١- عن آية الله السيد علي شبر والد الخطيب السيد جواد شبر نقلاً عن فضيلة العلامة الشيخ

راضي آل نصار والد الشيخ محمد حسين آل نصار.

٢- وعن الشيخ راضي نفسه (ره) انه قال لي: رأيت - في منامي - وأنا في النجف الأشرف - ليلة من ليالي الأربعاء قبل طلوع الفجر وقت السحر الأخير بحيث انتبعت عند الآذان - كأنَّ الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن الزكي، والإمام الحسين المظلوم، والإمام الحجة (عج) قد دخلوا داري، وحين استقر بهم الجلوس قال الإمام الحجة المهدي كالمخبر: "فلان مات" فالتفت الإمام أمير المؤمنين فقال: إنَّ الرجل تعب كثيراً ولكن الذنوب حالت بينه وبين الولاية عند الموت، يقول الشيخ راضي:

ثم انتبعت وإذا المؤذن يقول: الله أكبر، قال: ولم تمضي عن تلك الرؤيا إلا مقدار الزمن الذي يُنقل به جثمان الميت من منطقة ذلك الرجل الذي أخبر الإمام الحجة المهدي (عليه السلام) بموته، وإذا بأخ المتوفي يطرق الباب، وعند مشاهدتي له قلت: ما الخبر؟ فأجاب: ان فلاناً مات، وجننا بجثمانه، فقلت: بأي ليلة وبأي ساعة توفي؟ قال: ليلة الأربعاء عند السحر المقارب لطلوع الفجر، فقلت في نفسي: سبحان الله، يقول الشيخ منعم الفرطوسي: قد أزعجتني هذه الرؤيا وتركت في نفسي اضطراباً كثيراً وبقيت أفكر في عظم الذنوب وجنسها التي تحول بين الإنسان وبين هذه الولاية(٣٧).

مع أنَّ الولاية تجري في الإنسان مجرى الدم في عروقه، ولشدة اضطرابي نظمت أبياتاً جعلت الولاية والدين فيها وديعة مني عند أمين الله في أرضه أمير المؤمنين(عليه السلام) وصرت أقرأها عند زيارتي للإمام في أكثر الأوقات وهذه هي الأبيات:

إمام هدىً ولي الله حقاً\*\*\* وحجته على نهج الهداية  
وصي محمد(صلى الله عليه وآله) من القرآن ينطق بالوصاية  
وكفاه نصّ غداة تنزلت بغدير خمٍ\*\*\* ببيعته من التنزيل آية  
واني مؤمن بولا عليٍّ\*\*\* محب في البداية والنهاية  
مقر بالأنمة من بنيه\*\*\* وهم أهل المودة عن دراية  
ولكنني أخاف لعظم ذنبي\*\*\* بساعات النزاع من الغواية  
وقد أودعته ديني وأني\*\*\* به أرجو الممات على الولاية

ونقل لي فضيلة العلامة السيد حسين زيني (ح ه) عن والده السيد كاظم زيني (ره) ما يقارب هذا النص نقلاً منه عن الشيخ راضي آل نصار، ومضافاً إلى ذلك إن الشيخ راضي حاول

جاهداً أن يشارك عائلة المتوفى في التشييع فلم يوفق، وكذلك لم يوفق لحضور مجلس العزاء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنََّّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [الإنسان/٣١].

تصريح أمير المؤمنين بروية رسول الله (صلى الله عليه و آله) والملائكة والنبیین عند وفاته وممن صرح بملاقاته لرسول الله (صلى الله عليه و آله) مع الملائكة والنبیین عن احتضاره علي أمير المؤمنين، وفي ذلك روايات من طرق عديدة منها ما روى الصدوق في (الأمالي) بسنده عن حبيب بن عمرو قال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) في مرضه الذي قبض فيه، فحل عن جراحته، فقلت: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء، وما بك من بأس، فقال لي: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة، قال: فبكيت عند ذلك، وبكت أم كلثوم – من وراء الحجاب – فقال لها: ما يبكيك يا بنية؟ فقلت: ذكرت يا أبة انك تفارقنا الساعة فبكيت، فقال لها: يا بنية لا تبكين فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت، قال حبيب: فقلت له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا حبيب أرى ملائكة السماء والنبیین بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله) جالس عندي يقول: إقدم فإن ما أمامك خير لك مما أنت فيه، قال: فما خرجت من عنده حتى توفي.. الخ (٣٨).

ومنها ما رواه ابن الأثير في (أسد الغابة) بسنده ونصه: عن عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي (عليه السلام) بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أرني ضربتك، قال: فحلها فقلت: خدش وليس بشيء، قال: إني مفارقكم، فبكيت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي فلو ترين ما أرى لما بكيت، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبیون، وهذا محمد (صلى الله عليه و آله) يقول: يا علي ابشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه (٣٩).

وهكذا بقية أئمة الهدى (عليهم السلام) يصرحون – عند احتضارهم – بملاقاتهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسائر آبائهم الطاهرين ويقولون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [الزمر/٧٥]

وممن صرح بملاقاته رسول الله (صلى الله عليه و آله) عند احتضاره علي بن الحسين الأكبر،

فأنه لما صُرِعَ يوم عاشوراء نادى أباه – كما ذكر أرباب المقاتل من الخاصة والعامة -: أبتاه هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول لك العجل العجل فإن لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة (٤٠).

رؤيا أم سلمة، وعبد الله بن عباس يوم عاشوراء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه شهد قتل الحسين آنفاً

وروى علماء التاريخ والصحاح والسنن والمسانيد بالاتفاق أنّ أم سلمة أم المؤمنين رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامها يوم عاشوراء، وعلى رأسه ولحيته التراب، فجعلت تنفضه بكمها وهي تقول: ما لك يا رسول الله مغبراً ومتى أهملت نفسك هكذا؟ فقال (صلى الله عليه وآله): شهدت مقتل الحسين آنفاً (٤١).

وكذلك رآه عبد الله بن عباس – في ذلك اليوم نصف النهار في منامه – أشعث أغبر – وفي يده قارورة فيها دم يلتقطه فقال: يا رسول الله ما هذا الدم؟ فقال:

هذا دم ابني الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم (٤٢).

(سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) [فصلت/٥٤-٥٥].

١- راجع كتاب (المناقب) لإخطب خوارزم الحنفي ص ٣١ ط النجف، و ص ٤٢ ط تبريز، و(مقتل الحسين) للخوارزمي أيضاً ج ١ ص ٣٩ ط النجف ونقله عن الخوارزمي الشيخ سليمان الحنفي في (بنابيع المودّة) ص ١٣٣ ط إسلام بول ونقله صاحب (إحقاق الحق) ج ٦ ص ١١١ عن الشيخ عبيد الله الحنفي في (أرجح المطالب) ط لاهور ص ٥٢٦، وقد رواه عن كتاب (اليواقيت).

٢- حديث الإمام الصادق مع مسمع طويل يرويه ابن قولوية في (كامل الزيارات) رقم ٧ ص ١٣٤ على ما في كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص ٨٩ وينقله المجلسي في (البحار) ج ٤٤ ص ٢٨٩ عن (الكامل) ص ١٠٠ وينقله الحائري في (معالي السبطين) ج ١ ص ٩٣.

٣- راجع كتاب (الشيعة والرجعة) للعلامة الطبسي ج ٢ ص ٨١ نقلاً عن تفسير فرات بن

إبراهيم ص ٥٣٦ وكون ولاية علي~ هي العصمة الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى قرنها وعطفها على ولاية رسول الله (صلى الله عليه و آله) وولايته جل وعلا في قوله: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" [المائدة/٥٦]، حيث أجمع المفسرون انها نزلت في علي أمير المؤمنين~ بعدما تصدق بخاتمه في الصلاة وهو راع.

٤- هذا نص صريح في بعث الله وإرجاعه المؤمنين إلى الدنيا أيام قيام القائم المهدي~ وانهم يلتبون الله تعالى أي يستجيبون له زمراً زمراً - أي جماعات جماعات - راجع تفاصيل الرجعة بأدلتها القطعية كتابنا (الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة).

٥- مما يلزم إلفات النظر إليه - في هذا المقام - هو ان علياً يقول - بالنسبة إلى المؤمن - : يا رسول الله انّ هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، فيقول رسول الله(صلى الله عليه و آله): يا جبرئيل ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه... الخ ويقول علي - بالنسبة إلى المبغض -: يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، فيقول رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا جبرئيل ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه... الخ، وهذا مما يدل على أن من أبغض أهل البيت فقد أبغض الله ورسوله وأهل البيت، ومن أحب أهل البيت فقد أحب الله ورسوله وأهل البيت، ذلك لأنهم مع الله ورسوله(صلى الله عليه و آله) فكونوا عباد الله - دائماً وأبداً - مع أهل البيت الذين هم مع الله ورسوله ومع الحق والهدى.

٦- راجع (البحار) للمجلسي ج ٦ ص ١٩٧-١٩٩ نقلاً عن (الكافي في الفروع) للكليني ج ٣ ص ١٣١ ط طهران، و(تحف العقول) للحسن بن شعبة ص ٣٦، وكتاب (الحسين بن سعد) أو لكتابه النوادر، كما رواه أيضاً بسنده فرات بن إبراهيم في تفسيره ص ١٣٦ ونقله عنه الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٨١، ونقله عن فروع الكافي السيد عبد الله شبر في (مصابيح الأنوار) ج ٢ ص ١٧٢.

٧- المصادر السابقة وقوله~: "لا يحبني عبدٌ أبداً فيموت على حبي"، فيه اشتراط البقاء على حبه إلى حين موته وكذا قوله "لا يبغضني عبدٌ أبداً فيموت على بغضي" لأن المحب قد يرتد عن حبه والعياذ بالله، والمبغض قد يهتدي قبل موته، نسأل الله تعالى حسن العاقبة.

٨- (مقتل الحسين) للخوارزمي ص ١٠٩ وينقله عنه صاحب (تعليقات إحقاق الحق) ج ١ ص ٤٥٨.

٩- هذا الحديث لم استحضر له مصدراً في الحال وقد سمعته من بعض الخطباء وهو مؤيد بأحاديث أخرى كثيرة مما ذكرنا، ومما يأتي ومما لم نذكره، ومؤيد بالأدلة العلمية كما سيأتي.

١٠- حديث أمير المؤمنين~ مع الحارث الهمداني من الأحاديث المهمة، وهو حديث طويل ويشتمل على فوائد جمة، وقد ذكرناه في كتابنا (الشفاء الروحي والجسمي في القرآن)

ص ٧١-٧٥، ويرويه الشيخ الطوسي في (أماليه) ج ٢ ص ٢٦٨ والطبري من علماء الإمامية في (بشارة المصطفى) ص ٤ ونقله المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٧٨ عن كل من مجالس

المفيد وأمالى الشيخ، ورواه الاربلي في (كشف الغمة) ج ٢ ص ٣٠٧ ونقله عن كتاب

(المحتضر) ص ٢٩ للشيخ حسن بن سليمان، ويرويه المفيد في (أوائل المقالات) ص ٨٩.

١١- كون علي~ يعرف من يحضره عند الاحتضار - من مؤمن وكافر ومنافق - باسمه

ونعته "أي صفته" وعمله لم يكن قول الشاعر مغال أو وهمي أو خيالي بل هو الواقع المدعم بالأدلة، راجع كتابنا هذا (الطريق الثاني من ينباع علم الأئمة عرض صحائف الأعمال).

١٢- قد نسب بعض هذه الآيات إلى أمير المؤمنين بعض المفسرين كعلي بن إبراهيم في

تفسير قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" [حم، فصلت/٣١] ج ٢ ص ٢٢٦

ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٨١، والطبرسي في (مجمع البيان) ج ٢ ص ١٣٨ وكذا الشيخ المفيد في (أوائل المقالات) ص ٨٩ ط الثالثة، وابن أبي الحديد في (شرح النهج)،

ولكن الظاهر انه اشتباه، لأن الآيات للسيد الحميري وقد نظم فيها بعض ما قاله أمير

المؤمنين~ في حديثه للحارث الهمداني وكل من ذكر حديثه~ للحارث ذكر الآيات للسيد

الحميري كالشيخ الطوسي في (الأمالي)، والمجلسي، والمفيد، والاربلي.

١٣- (البحار) ج ٦ ص ١٧٩ نقلاً عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري.

١٤- راجع تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٥ رقم ٣٣، و(المحاسن) للبرقي ص ١٣٣، ونقله

المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٨٥ عن المصدرين، و(تفسير البرهان)، و(الصافي).

١٥- تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٤-١٢٦.

١٦- (البحار) ج ٦ ص ١٨٨، نقلاً عن العياشي.

- ١٧- (كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج ٢ ص ٤٠، و(البحار) ج ٦ ص ١٩١ برقم ٣٧.
- ١٨- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤١٨، صيدا، العرفان.
- ١٩- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٧٨، أوفسيت على ط مصر.
- ٢٠- راجع (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٨٦-١٨٧، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير الدمشقي ج ٣ ص ٤٣ و(مفاتيح الغيب) للرازي ج ٥ ص ٤٠١ وغيرها.
- ٢١- (أمالي الشيخ الطوسي) ج ٢ ص ٨١، و(أعيان الشيعة) ج ٢ ص ١٣٢.
- ٢٢- (فروع الكافي) ج ٣ ص ١٢٧ ط طهران، و(تحف العقول) ج ١ ص ٣٥، و(فضائل الشيعة) للصدوق كما في (علي والشيعة) ص ١٥٢ ط الآداب النجف، والمجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٩٦ نقلاً عن (الكافي) و(تحف العقول).
- ٢٣- (الشافى في شرح أصول الكافي) ج ٧ ص ٢٣٣.
- ٢٤- السالفتين: ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلّت الترقوة (البحار).
- ٢٥- أفتت الرجل: ضحك ضحكاً حسناً أو المراد أفتت أي دار بوجهه.
- ٢٦- الهنات: الداهية.
- ٢٧- الذبالة: الفتيلة في الشمعة.
- ٢٨- (أمالي) الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٤٠ ط النجف، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٢٠ ط قم، و(كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج ٢ ص ٤٠ ط قم، و(البحار) للمجلسي ج ٦ ص ١٩٢ ط الحديث نقلاً عن المصادر الثلاثة السابقة، وكذا الشيخ الأميني في (الغدِير) ج ٢ ص ٤٨ ط النجف وغيرهم كثير.
- ٢٩- الرميلة: محلة في بغداد.
- ٣٠- الجنينة: تصغير جنة، والمراد بها الحديقة، أو البستان.
- ٣١- (الأغاني) لأبي الفرج ج ٧ ص ٢٧٧، ونقل الحديث عنه الشيخ الأميني في (الغدِير) ج ٢ ص ٢٤٧ ط النجف.
- ٣٢- لاح: أي لانم، لحاني أي لامني، لحاك الله أي لعنك وقبحك، أعفك، أي أحمق، قال أي مبغض.

٣٣- (أمالي الشيخ) ج ١ ص ٤٨ ، (رجال الكشي) ص ٢٤٣ ، (بشارة المصطفى) ص ٩١ ، ونقله الأميني في (الغدِير) ج ٢ ص ٢٤٨ ، وفي الحديث اختلاف يسير واتفق الجميع على الاسوداد والإشراق.

٣٤- كان السيد الحميري معاصراً للإمام الصادق~ وكان قد لقبته أمه بالسيد عرف بهذا اللقب واشتهر به ثم عرف بسيد الشعراء وكان السبب في ذلك على ما روى الكشي في (رجاله) ص ٢٤٥ ، ان أبا عبد الله~ لقي السيد ذات يوم فقال له: سمّتك أمك سيداً ووفقت في ذلك وأنت سيد الشعراء فأنشد السيد في ذلك:

ولقد عجبت لقائلٍ لي مرّةً \*\*\* علامة فهم من الفقهاء  
سمّاك قومك سيداً صدقوا به \*\*\* أنت الموفق سيد الشعراء  
ما أنت حين تخصّ آل محمدٍ \*\*\* بالمدح منك وشاعر بسواء  
مدح الملوك ذو العطا لعطائهم \*\*\* والمدح مثل لهم بغير عطائي  
فابشر فإنك فائز في حبهم \*\*\* لو قد وردت عليهم بجزاء  
ما يعدل الدنيا جميعاً كلها \*\*\* من حوض أحمد شربة من ماء

٣٥- راجع ترجمة السيد وشعره مفصلاً في كتاب (الغدِير) ج ٢ ص ١٩٣-٢٦٩.

٣٦- (فروع الكافي) ج ٣ ص ١٣٣ ط طهران، و(تحف العقول) ج ١ ص ٣٧ كما في (البحار) ج ٦ ص ١٩٩.

٣٧- لعل من أهم ما يحول بين الإنسان وبين الولاية عند الموت هو موالاته أعداء الله ومعاداة أولياء الله، والحكم بغير ما انزل الله، وغصب حقوق الناس بأنواع الظلم والغش والسرقات والخيانات وترك أركان الدين الخمسة مع الإصرار عليه إلى غير ذلك من الإصرار على كبائر الذنوب بلا ندم ولا توبة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" [التحریم/٩].

٣٨- (أمالي الصدوق) مجلس ٥٢ ص ١٩٢ ، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٤٢

ص ٢٠١ وما في معناه تجده في كتاب (نزهة المحبين) للشيخ جعفر النقدي ص ١٥٨.

٣٩- راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج ٣ ص ٧٣ نقلاً عن (أسد الغابة) ج ٤

ص ٣٨.

٤٠- (مقتل الحسين) لأخطب خوارزم ج ٢ ص ٣١، وسائر المقاتل.

٤١- روى ذلك الترمذي في (سننه) وهو أحد الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٠٦ في "مناقب الحسن والحسين" ط بولاق، والحاكم في (المستدرک) ج ٤ ص ١٩ ط حيدر أباد، والذهبي في (تلخيصه)، وابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) ج ٢ ص ٣٥٦ ط حيدر أباد، وابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) ص ١١٥، ومحب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) ص ١٤٨ ط القدسي نقلاً عن الترمذي والبعثي في (الحسان)، وأخطب خوارزم في (المقتل) ج ٢ ص ٩٦، وروى ذلك الصدوق في (الأمالي) ص ٨٤ بسنده عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) عن أم سلمة، وكذلك رواه الشيخ المفيد في (المجالس)، والشيخ الطوسي في (أماليه) من طرق عديدة، راجع (البحار) ج ٤ ص ٢٣٠، و(إقناع اللانم) ص ٣٨.

٤٢- روى ذلك الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ٢٤٢ ط الميمنية بمصر من طريقتين، والحاكم في (المستدرک) ج ٤ ص ٣٩٧، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج ١ ص ١٤٢ ط السعادة بمصر، وابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٢ ص ٢٢ ط الوهيبية بمصر، وابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ١ ص ١٤٤ ط حيدر أباد، وج ١ ص ٣٨٠ مصر، وابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ٢ ص ١٧ ط كلكتة، وج ١ ص ٣٣٤ ط مصر سنة ١٣٥٨هـ، وابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) ص ١١٦ ط الميمنية بمصر، وأخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج ٢ ص ٩٤، راجع (فضائل الخمسة) للفيروز أبادي، ج ٣ ص ٢٨٨ ط النجف، ورواه العلامة الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ٢١٠.

## الفصل السادس

### عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير

هنيئاً هنيئاً ليوم الغدير\*\*\* ويوم الحبور ويوم السرور

ويوم الكمال لدين الإله\*\*\* وإتمام نعمة ربّ غفور

ويوم الفلاح ويوم النجاح\*\*\* ويوم الصلاح لكل الأمور

ويوم الإمارة للمرئضى\*\*\* أبي الحسنين الإمام الأمير

ويوم الخطابة من جبرئيل\*\*\* بتقدير ربّ عليم قدير

ويم اشتراط ولاء الوصي\*\*\* على المؤمنين بيوم الغدير

ويوم الولاية في عرضها\*\*\* على كل خلق السميع البصير

ويوم الصلاة على المصطفى\*\*\* وعترته الأطهرين البدور (١)

إنّ حديث يوم الغدير كان محلّ العناية السامية، والرعايات العالية، عنايات ورعايات عظيمة ومتواصلة من الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين جيلاً بعد جيل من يومه الأول وإلى الآن وإلى يوم القيامة.

وأي عناية ورعاية من الله جلّ وعلا في حديث أعظم من عنايته بحديث يوم الغدير، والذي من عنايته به أن أوحاه إلى رسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) مراراً عديدة، وأنزل فيه قرآناً يرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار.

الآيات النازلة في الحديث

انزل فيه آيات ناصعة عديدة لا آية واحدة، منها آية التبليغ وهي قوله تعالى: (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" [المائدة/٦٨].

ومنها آية الإكمال وهي قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [المائدة/٤].

وبعد هاتين الآيتين انزل جلّ وعلا ثلاث آيات آلا وهي آيات العذاب الواقع على الكافرين بحديث الغدير وهي قوله تعالى: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ] [المعارج/١-٤].

وقد ذكر شيخنا الأمين في موسوعته الضخمة الغدير في الجزء الأول ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة من مفسرين ومؤرخين ومحدثين في نزول آية التبليغ في ولاية أمير المؤمنين يوم غدير خم، وستة عشر مصدراً من مصادرهم الموثوقة في نزول آية الإكمال في ذلك اليوم، وثلاثين مصدراً في نزول آيات العذاب الواقع للكافرين بحديث الغدير، فتكون مجموع هذه المصادر التي ذكرها الأمين في نزول الآيات في شأن حديث الغدير ستة وسبعون مصدراً.

### السبب في نزول آيات العذاب الواقع على الكافرين بالحديث

وذكر المفسرون – من أهل السنة – ومنهم الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان) سبب نزول آيات العذاب الواقع للكافرين بحديث الغدير وهو انه -: لما كان الرسول (صلى الله عليه و آله) بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك – أحد أعدائه وهو الحرث بن النعمان الفهري (٢).

فأتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) على ناقه له فنزل عنها وأناخها فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا ان نصوم شهر رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض عنا حتى رفعت بضبعي ابن عمك فضلتنا علينا وقتلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجلّ فقال (صلى الله عليه و آله): والذي لا إله إلا هو ان هذا من الله، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم، فما وصل ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله.

وأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ

وَأَقِيع... الخ (٣).

نعم ذكر شيخنا الأمين لهذه الواقعة ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة، وأما من طرفنا فهي شهيرة ومسلم بها إلى غير ذلك من الآيات النازلة في حديث الغدير وفي المخالفين له. وأما الآيات التي تؤيد حديث الغدير فهي أكثر من ثلثمائة آية، وإذا كانت العنايات من الله – بحديث الغدير – بهذا الشكل، فلا غرو ان تكون العنايات الهامة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) بنشر هذا الحديث على جميع الناس.

### إعلان النبي (صلى الله عليه و آله) عن حجة الوداع

ولذا أن النبي (صلى الله عليه و آله) لما علم دنو أجله ونعيت إليه نفسه في ذلك العام أعلن (صلى الله عليه و آله) إلى الناس وأذنّ فيهم قبل موسم الحج في الأقطار والأمصار انه سيحج في هذا العام حجة الوداع، أي هي آخر حجة حجها، فمن أحب منكم أن يحج معي فليحج بي، فوافاه الناس من كل فج عميق، حتى خرج من المدينة ومعه أكثر من مائة ألف حاج وحاجة.

ولما كان يوم الموقف بعرفة خطب في الناس وأشاد بفضل علي أمير المؤمنين وأهل بيته الأظهر ونادى في الناس:

"علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي" يعني تأدية رسالته بتمامها وكمالها .

ولما قفل راجعاً بمن معه من تلك الألوف، وقارب مكان غدير خم، في مكان يقال له ضجنان،

هبط عليه الأمين جبرئيل وأمره عن الله عزّ وجلّ أن يبلغ الناس ولاية علي أمير المؤمنين

من بعده، فراجع النبي بذلك جبرئيل – خوفاً من مخالفة قومه – وقال: أخي جبرئيل ان الناس

جديد عهد بالإسلام فلعلهم لا يمتثلون أمري في ولاية علي أو ينالنا منهم سوء، فخرج جبرئيل

ثم هبط على النبي (صلى الله عليه و آله) وقد وصل إلى غدير خم، وقد جاءه بهذه الآية عن

الله تعالى: [يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ".

فحينما جاءه الأمر من الله بالعزيمة ووجوب التبليغ، عند ذلك نزل النبي (صلى الله عليه و

آله) بذلك المكان وحط رحله هناك حتى لحق به من تأخر عنه، وأرجع إليه من تقدمه، وكان من ذلك المكان تنتشعب منه الطرق، طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وغيرهم. فجمع رسول الله الناس قبل أن يتفرقوا، ولما اجتمعوا صلى بهم الفريضة، ثم خطبهم - عن الله عزَّ وجلَّ - بخطبة جامعة ذكر فيها أصول الدين وفروعه وسائر أحكامه، وحث الناس فيها على إطاعة الله في أوامره والانتهاز عن نواهيه.

وأشاد بفضل القرآن وأهل بيته وإنهما الثقلان اللذان خففهما على الأمة، ثم تناول علياً بيده المباركة من يده الكريمة ورفعته حتى بان بياض إبطيهما، ونادى فأسمع: أيها الناس أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من أخذه وأدر الحق معه حيث دار.

بيعة الناس لعلي(عليه السلام) وبخبخة الشيخين له

وبعد ذلك نصب لعلي خيمةً فجلس فيها، وأمر(صلى الله عليه و آله) أولئك الجماهير بأن يسلموا عليه بأمره المؤمنين وبياعوه، لتتم له البيعة في حياته، ولا يختلف فيه أحد بعد وفاته، فتسابق الناس للسلام عليه بأمره المؤمنين وتهنئته بالمقام الرفيع.

وكان من جملة المبايعين والمهنيين له الشيخان أبو بكر وعمر، فدخل كلُّ منهما على عليّ وهناه بالولاية الكبرى وقال كلُّ منهما له، بخِ بخِ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة، وقد ذكر شيخنا الأمين لبخبختهما لعلي بالولاية ستين مصدراً من مصادر أهل السنّة في كتابه (الغدير)(٤).

وبعد ان تمت البيعة له انزل الله على رسوله آية الإكمال: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] [المائدة/٤]، فكان إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بالإسلام ديناً للمسلمين بولاية علي أمير المؤمنين، ولقد أجاد من قال:

مواهب الله عندي جاوزت أملي لكنّ \*\*\* وليس يبلغها قولي ولا عملي

أشرفها عندي وأفضلها \*\*\* ولايتي لأمير المؤمنين علي

**تواتر حديث الغدير والاحتجاج به**

وقد حمل حديث الغدير عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كل من كان معه من تلك الجماهير التي كانت تربو على مائة ألف من بلدان شتى، فلذا شاع حديث الغدير وتواتر عند جميع المسلمين وبقي خالداً بذكره العطرة في الأجيال كلها.

على ان لأنمة الهدى e وسائر أهل البيت وشيعتهم من الصحابة والتابعين والعلماء والمؤلفين والشعراء والأدباء طرقتاً تمثل الحكمة في بثه وإشاعته في الأعصار والأمصار.

فقد قام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتج به على الناس مراراً عديدة أيام خلافة الخلفاء، وأيام خلافته احتج به على الناس حتى يبقى خالداً، ومن ذلك:

ما احتج به أيام خلافته (عليه السلام) إذ جمع الناس في الرحبة ليناشد كل أمرئ مسلم سمع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام وشهد بما سمع، وانه لا يقيم ويشهد به إلا من رآه بعينه وسمع مقالته بأذنه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثني عشر بدرياً، فشهدوا ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) أخذ بيده وقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، فقال (صلى الله عليه و آله):

من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وقعد عن الشهادة بالحديث - يومئذ - ثلاثة نفر أقدمهم البغض عن القيام بواجب الشهادة فأصابتهم دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) كأنس بن مالك حيث قال له علي: مالك القوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال علي (عليه السلام) له: ان كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا تواريه العمامة، فما قام حتى أبيض وجهه برصاً على ما ذكر المؤرخون ذلك من الفريقين.

وممن احتج به الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء كما جاء في (أسنى المطالب) مسنداً عن ابنتها أم كلثوم إنها قالت محتجة على القوم: أنسيتم قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

واحتج به الإمام السبط الحسن المجتبي في خطبة له عام الصلح قال من جملتها: وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم وقال لهم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب... الخ.

واحتج به الإمام الحسين (عليه السلام) قبل هلاك معاوية، في اجتماع كبير يضم المنات من

الصحابة والتابعين بمنى في موسم الحج، وخطب فيهم وقال من جملتها: أنشدكم الله أتعلمون ان رسول الله(صلى الله عليه و آله) نصبه يوم غدیر خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب، قالوا: اللهم نعم.

إلى غير ذلك ممن احتج بحديث الغدير، راجع التفصيل في كتاب (الغدير) ج ١ من ص ١٥٩- ص ٢١٣.

[ إِنَّ هَذِهِ تَذَكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا" ] [المزمل/٢٠].

حديث الغدير، والشعراء قديماً وحديثاً

وقد نظم حديث الغدير الشعراء، وأكثروا من نظمه منذ عهد الصحابة إلى هذا اليوم، وهم أوف مؤلفة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل.

وممن نظم حديث الغدير شعراً من الصحابة حسان بن ثابت شاعر النبي(صلى الله عليه و آله) نظمه شعراً في ذلك الحشد الرهيب وأنشده عند النبي وقال له النبي(صلى الله عليه و آله) : يا حسان لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا أهل البيت، وهذه أبياته:

يناديهم يوم الغدير نبيهم \*\*\* بخم وأسمع بالنبي مناديا

فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ \*\*\* فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت نبينا \*\*\* ولم تلق منا في الولاية عاصيا

فقال له: قم يا علي؟ فأنني \*\*\* رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه \*\*\* فكونوا له اتباع صدق مواليا

هناك دعا اللهم؟ وال وليه \*\*\* وكن للذي عادى علياً معاديا(٥)

وممن نظم حديث الغدير شعراً من الصحابة أيضاً قيس بن سعد بن عبادة الصحابي الجليل

المخلص أنشد أبياتاً يوم صفين بين يدي أمير المؤمنين(عليه السلام) ، منها:

قلت لما بغى العدو علينا \*\*\* حسبنا ربنا ونعم الوكيل

حسبنا ربنا الذي فتح البصر \*\*\* رة بالأمس والحديث طويل

ويقول فيها:

وعلي إمامنا وإمام \*\*\* لسوانا أتى به التنزيل

يوم قال النبي: من كنت مولاً\*\*\* ه فهذا مولاه خطب جليل

إنما قاله النبي على الأمة\*\*\* حتم ما فيه قال وقيل(٦)

وممن نظم حديث الغدير من الصحابة عمرو بن العاص المحارب لعلي يوم صفين، أيضاً نظم الحديث في قصيدته الشهيرة المعروفة بالجلجلية التي بعث بها إلى معاوية حينما أراد عزله عن ولاية مصر فبعث إليه عمرو بهذه القصيدة والتي منها يقول:

وكم قد سمعنا من المصطفى\*\*\* وصايا مخصصة في علي  
وفي يوم خم رقى منبراً\*\*\* يبلغ والركب لم يرحل  
وفي كفه كفه معلناً\*\*\* ينادي بأمر العزيز العلي  
ألسنت بكم منكم في النفوس\*\*\* بأولى؟ فقالوا: بلى فأفعل  
فانحله أمره المؤمنين\*\*\* من الله مستخلف المنحل  
وقال: فمن كنت مولاً له\*\*\* فهذا له اليوم نعم الولي  
فوال مواليه إذا الجلال\*\*\* وعاد معادي أخ المرسل  
وقال: وليكم فاحفظوه\*\*\* فمدخله فيكم مدخل  
ولا تنقصوا العهد من عترتي\*\*\* فقاطعهم بي لم يؤصل  
فبخبك لما رأى\*\*\* عرى عقد حيدر لم تحلل(٧)

وممن نظم حديث الغدير شعراً صاحب الغدير نفسه وهو علي أمير المؤمنين(عليه السلام)  
نظمه في أبيات بعث بها إلى معاوية قبل حرب صفين، حينما بعث إليه معاوية كتاباً يقول فيه:  
إن لي فضائل، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله  
وخال المؤمنين، فقال أمير المؤمنين(عليه السلام): أبا الفضائل يبغي علي ابن آكلة الأكباد:  
أكتب يا غلام

محمد النبي أخي وصهري\*\*\* وحمزة سيد الشهداء عمي  
وجعفر الذي يضحى ويمسي\*\*\* يطير مع الملائكة ابن أمي  
وبنت محمد سكني وعرسي\*\*\* منوط لحمها بدمي ولحمي  
وسبطاً أحمد ولداي منها\*\*\* فأيكم له سهم كسهمي

سبقتمكم إلى الإسلام طراً\*\*\* على ما كان من فهمي وعلمي  
وأوجب لي ولايته عليكم\*\*\* رسول الله يوم غدیر خم  
فویل ثم ویل ثم ویل\*\*\* لمن یلقى الآله غداً بظلمي(٨)

- ١- الأبيات من قصيدة طويلة للشيخ الكفعمي وتجدها في مصباحه ص ٩٢٧-٩٣٥.
- ٢- في رواية الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره (غريب القرآن) ان الذي أتى رسول الله، واعترض عليه هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي، ولا يبعد صحة ذلك حيث ان جابراً هذا قد قتل والده النضر يوم بدر صبراً علي أمير المؤمنين بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد ان أسير فكان قلبه يغلي حقدًا وبغضاً على رسول الله(صلى الله عليه و آله) وعلى أمير المؤمنين، فلذا لما نص رسول الله على ولاية أمير المؤمنين يوم غدیر خم وبلغه ذلك جاء إلى النبي(صلى الله عليه و آله) معترضاً عليه.
- ٣- راجع (الغدیر) ج ١ ص ٢١٤-٢٦٦، تحت عنوان "التدبر في الكتاب العزيز" ويذكر نزول الآيات البينات، ومصادرها، وما يتعلق بها من بحوث وشواهد وأشعار.
- ٤- راجع (الغدیر) في تفاصيل التهنية والبيعة وعيدها، ج ١ من ص ٢٦٧-٢٨٩ وما بعدها.
- ٥- راجع ترجمة حسان وشعره، وما يتبعه في الغدیر ج ٢ ص ٣٢-٥٩.
- ٦- راجع ترجمة قيس، وشعره ومقاماته السامية في الغدیر ج ٢ من ص ٦٠-١٠٠.
- ٧- راجع ترجمة عمرو وشعره ونسبه وإسلامه وشجاعته ووفاته في الجزء الثاني من الغدیر من ص ١٠١-١٦٠.
- ٨- راجع الجزء الثاني من الغدیر في ترجمة أمير المؤمنين وشعره وما يتبع من ص ٢٤-٣١، "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى".

## خاتمة الكتاب

قصيدة عاشق لصاحب الغدير لولدنا علي

عشقتُ علياً

مهداة إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين الإمام (علي بن أبي طالب عليه السلام)

راجياً الشفاعة

عشقتُ علياً أميراً علياً\*\*\* فصار هواه أميراً علياً  
يسدُّ عليّ دروب ضلالي\*\*\* فأسلكُ فيه "صراطاً سوياً"  
وأظفر منه "بصكِّ نجاتي"\*\*\* وأسقى شراباً به كوثرها  
وأولد حياً وأدفن حياً\*\*\* وأبعث بعد وفاتي حياً  
فمذ كنت في نطفةٍ مستكيناً\*\*\* عقدت بحبك عقداً وفيها  
وحال ولدتُ حلت بسمعي\*\*\* أذناً تردد من والديا  
ولما استبينا عن اسمي قالاً\*\*\* علي أسم الأمير يُسمى عليا  
بلغتُ وجدتكُ شرعاً\*\*\* لكلِ قويمٍ وحقاً جلياً  
عرفتُ الجنان لحبك وقفاً\*\*\* تُكفر من لا يراك ولياً  
وإني "برفضي" سادعي إليها\*\*\* ومنه ساجني قطافاً جنياً  
فرحنتُ أناجيك في كلِّ همٍ\*\*\* وأسمع منك "نداء خفياً"  
تفكرتُ فيك وما أنت فيه\*\*\* تمعنتُ فيك ملياً ملياً  
فأيقنتُ أنك صنو النبي\*\*\* وأنتك لولاه كنت النبيّا

\* \* \*

هواك بصلبِ كياني مقيمٍ\*\*\* وأقربُ مني مراراً إليا  
تشيعت فيك ولولاك فيه\*\*\* نقضتُ التشيع من راحتيا  
ولو جئتُ أمدحُ فيك خصالاً\*\*\* لافنيتُ عمري وما جئتُ شيئاً

فسيفك لا سيف إله نادى \*\*\* بذلك جبريل صوتاً عليا  
ولولاك ما عاش للدين ذكر \*\*\* ولا عرف الكون طه النبيّا  
أبى العلم الآك باباً إليه \*\*\* فقلت: "ادخلوا بسلام" عليّا  
وقلت: "سلوا قبل أن تفقدوني" \*\*\* فكل علوم الرسول لدينا  
وراية خيبر لم تعل حتى \*\*\* تكفلتها فارساً حيدرنا  
فما احتملت غير كفك كفأ \*\*\* ولا عشقت غير فيك فيّا  
سلوا باب خيبر من قد دحاها \*\*\* ومن ذا طواها بكفيه طيا  
وذاك فراش النبي سلوه \*\*\* من البات فيه ونام هنيا  
وأسياف غدر على الباب تجثوا \*\*\* تراه طعاماً إليها شهيا  
ومن ذا سواه له الشمس ردت \*\*\* وصار له غربها مشرقيا  
ولدت بكعبة ربك طهراً \*\*\* وأشرقت الأرض نوراً بهيا  
وفيها رقيت على كتف طه \*\*\* وحطمت أصنام من ضل غيا  
وباهل فيك الرسول بنص \*\*\* فكان وأياك في النفس رسيّا

\* \* \*

"من المؤمنين رجال" ومن ذا \*\*\* عداه تسيدهم هاشميا  
"يجاهد في الله حق جهاد" \*\*\* ويوتي الزكاة ركوعاً خشيا  
على حبه يطعم الزاد زلفى \*\*\* فتى "يقرض الله قرضاً" سخيا  
توغل في البر حتى تناهى \*\*\* فطهر من كل رجس نقيّا  
ويوم "الغدیر" تعلی إماماً \*\*\* وأضحى على كل عبد وليّا  
فتمت رسالة أحمد فيه \*\*\* وبلغ أمر الإله جليّا  
فيا مؤمنون اتقوا الله حقاً \*\*\* وكونوا مع الصادقين" سويّا  
فهذا عليّ بأي الكتاب \*\*\* فما قولكم أين نلقى عليّا؟

\* \* \*

ألفاً أموت وأحيى \*\*\* بكل لحيلة عمر لدينا

لأعشقُ مني غروبي \*\*\* إذا رحمتَ تشرقُ في ناظريا  
وأغبطُ في موتها كلَّ عينٍ \*\*\* وكلَّ ضريحٍ لميتٍ تهبها  
سرى بعروقي ولاءٍ عليّ \*\*\* ففاضتُ معانيه من أصغريا

\* \* \*

وللآن ألفي جراحك ينمو \*\*\* أساها فتذرفُ دمعاً هميا  
وتذهلُ رؤياك في كنهِ خلقٍ \*\*\* يعيثُ فساداً وينطقُ غيا  
وكم أقرضتكُ الهمومُ هموماً \*\*\* وما كنتُ يوماً لهم نسيا  
لأنك حيٌّ تمنوكُ ميتاً \*\*\* فأكثرهم يكرهُ الحقَ حيا  
شهيذاً بمحرابِ نُسكٍ \*\*\* وفزتَ وربك فوزاً عليا  
فعثتَ علياً ومتتَ علياً \*\*\* وعاش وماتَ المعادي شقيا  
بأمرك تُدخلُ من ضلِّ ناراً \*\*\* وتُدخلُ جنَّةً عدنٍ تقيا  
وهذا مزاركُ آياتٍ صدقٍ \*\*\* يعيشُ كما الخلدُ للدهرِ حيا  
بكلِّ مكانٍ وفي كلِّ حينٍ \*\*\* نَظْلُ ننادي علياً عليا

\* \* \*

علي عبد اللطيف البغدادي

١٩٩٨/٩/١٠ م

ألقيت في مجلس الشعريات الأسبوعي العامر بتاريخ ١٩٩٨/١١/١٩ م